الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –
كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ

رقم الإيداع: .....
الرقم التسلسلي: .....

البيئة والحياة الحضرية بالمغرب الأوسط
(ق.05 - 10 هـ / ق. 11 - 16 م)
عنابة نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تخصص: المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي ق. 01 – 13هـ/ ق. 07 – 19م

إعداد الطالب:
كمال منصوري

إشراف الأستاذ الدكتور:
إسماعيل سامعي

أعضاء لجنة المناقشة

أ. د. محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة
أ. د. إسماعيل سامعي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة
د. يوسف عابد	أستاذ محاضر	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة
د. رشيد باقة	أستاذ محاضر	عضوا	جامعة باتنة

السنة الجامعية
1432- 1433 هـ / 2011- 2012م

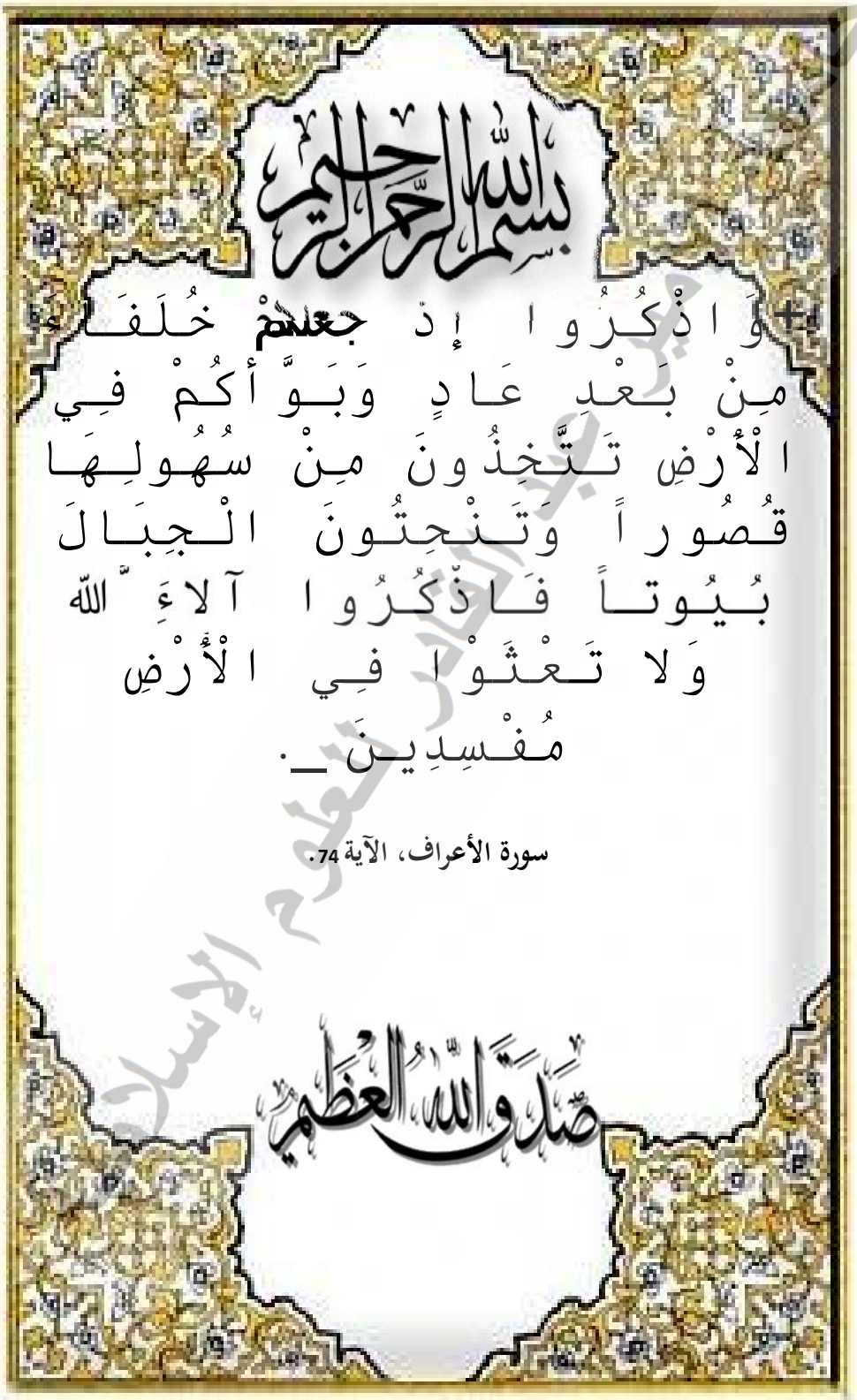
بسم الله الرحمن الرحيم
وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.
سورة الأعراف، الآية 74.
صدق الله العظيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي، الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة، ولما قدمه لي من دعم، وتشجيع وتوجيهات قيمة وسديدة، كان لها الأثر الأكبر في إتمام هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين شرفوني بقبول مناقشة هذه المذكرة، وإبداء الملاحظات والاقتراحات التي من شأنها أن تعني وتفيد البحث العلمي.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى رئيسة مصلحة أمانة المجلس الشعبي لبلدية عنابة السيدة سعدي بوزيد عتيقة، والتي زودتني بمجموعة من الكتب والمجلات، التي تتناول تاريخ مدينة عنابة.

ويسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور أحمد زغب أستاذ الأدب الشعبي بجامعة الوادي، والذي دقّق المذكرة من الناحية اللغوية، وكل التحية والشكر إلى العاملين في مكتباتنا العامة والخاصة، لما قدموه من مساعدة، وأخص بالذكر مكتبات مدينتي الوادي وعنابة، والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

كمال منصوري

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

أصبح موضوع البيئة من أكثر القضايا المعاصرة إثارة للجدل لارتباطه بحياة الإنسان اليومية؛ فقد ظهرت مؤشرات خطيرة رهنت مصير الأجيال نتيجة استنزاف الطبيعة، وسوء استغلالها، وانتشار ظاهرة التلوث، والاحتباس الحراري، هذه الظواهر التي شكلت تهديدا للنظام البيئي، ومستقبل الحياة على سطح الأرض، الأمر الذي جعل الكثير من الدول يلحق هذا الملف بمكتب رئيس الدولة حتى يتكفل به شخصيا، وأُعتبر قضية أمن عليا.

من حق المرء أن يعجب لهذا الإنسان الذي يدعي التمدن والتقدم في شتى مناحي الحياة، غير أنه وقف عاجزا أمام ظاهرة تسبب هو في حدوثها، ولم يتبين عواقبها الوخيمة إلا أنه حينما يستدرك ذلك بعقله وجميع حواسه يكتشف الحقيقة التي أضاعها بفهمه الخاطئ للتمدن حيث انساق وراء المظهر المادي واغفل عن الجوهر الروحي والأخلاقي الذي له دور في توجيه التمدن.ومن واجبنا نحن أن نتقصى دور المسلمين في المشاركة في معالجة مشاكل البيئة في مواطنهم، وفي وضع حلول لقضاياها على المستوى العالمي إبّان تطورهم الحضاري.

إن التحدي الكبير يتمثل في التأسيس لثقافة بيئية انطلاقا من تعاليم القرآن وهدي السنة النبوية وإضاءات التراث الإسلامي الفقهية والقضائية والحسبية والتاريخية والجغرافية والأدبية والعلمية، بغية إثراء معارفنا بإطار نظري من خلاله يصبح الضمير أكثر وعيا بمشاكل البيئة من وجهة نظر إسلامية، ليستطيع المسلمون التموقع بقوة في رواق المساهمين في معالجة الأزمة البيئية المعاصرة، ويتكوّن لديهم سلوك واع يقدر البيئة، وينميها، ويحافظ عليها.

إن أغلب الدراسات الإسلامية المعاصرة التي تناولت قضايا البيئة اعتمدت على النصوص القرآنية والنبوية وأهملت المصادر التراثية وهو الأمر الذي جعلها تقتصر على الجانب التوجيهي الأخلاقي، وأفقدها مسؤولية المشاركة في مكافحة الأخطار التي تتهدد البيئة. وعليه فإن الدراسات المستقبلية في التاريخ الإسلامي مطالبة بالتركيز على محاولة الإجابة عما تثيره القضايا المعاصرة من أسئلة وما تطرحه من مشكلات.

وبما أن مشاكل البيئة مصدرها حضري فإن حظ المدينة الإسلامية في العصر الوسيط يبقى ضئيلا في هذا الشأن الحيوي والخطير في آن واحد، وقد حان الوقت أمام الباحثين لطرق مثل هذه القضايا بعد إعادة قراءة المصادر التاريخية وكتب التراث.

ومن هنا راودتني فكرة البحث في موضوع البيئة باعتماد إحدى مدن المغرب الأوسط في العصر الإسلامي الوسيط نموذجا، فوقع اختياري على مدينة عنابة، فكان عنوانه كالآتي: " البيئة والحياة الحضرية بالمغرب الأوسط (ق. 05 . 10 هـ / ق. 11 . 16 م) عنابة نموذجا ".

مبررات البحث:

إذا كانت معظم الدراسات التاريخية السابقة، قد ركزت على الأحداث التي ارتبطت بالشؤون السياسية، فإن الدراسات المعاصرة، أخذت تتعمق في شؤون المجتمع، لتتناول قضايا تهم الحياة اليومية للسكان، منها قضية البيئة التي تستحق المعالجة خاصة وأن المسلمين في العصر الإسلامي (الوسيط) قد تفوقوا في الكثير من التجارب الحضارية، وعليه فقد استوقفتني هذه التوجهات، ودفعتني إلى محاولة الإسهام في طرق هذا الموضوع، معززة بدوافع أخرى، يمكن سردها كالآتي:

- قلة البحوث و الدراسات الحضرية المتخصصة في المكتبات العامة والخاصة.
- ندرة الدراسات الأكاديمية التي تتناول موضوع حماية البيئة في المدينة بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط.
- عدم استقطاب المدينة الإسلامية في المغرب الأوسط لمعظم الدارسين الجزائريين.
- غياب الثقافة البيئية في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة.
- تركيز الدراسات البيئية العربية المعاصرة على الجانب النظري.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات تناولت مدينة عنابة عبر التاريخ، وأثناء العصر الإسلامي، عالجت قضايا مختلفة، ولم تدرس موضوع البيئة بشكل مستقل حسب اطلاعي، ولاسيما في الجامعة الجزائرية، وقد رجعت إلى العديد منها في بحثي، مثل: كتاب سعيد دحماني "**من هيبون – بونة إلى عنابة تاريخ**

تأسيس قطب حضري"، وكتاب محمد بن إبراهيم جندلي "**عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا**". وانطلاقا من هذه المعطيات، أحسب أنني سأجد صعوبات في اقتحام هذا الجانب، الذي يقترن بالبيئة والحياة الحضرية.

الإطار المكاني والزماني:

ركز الموضوع على الحدود المكانية والزمانية التالية:

– الحدود المكانية: اعتماد مدينة عنابة نموذجا لدراسة علاقة التفاعل بين البيئة والحياة الحضرية في المدينة.

– الحدود الزمانية: عالج هذا البحث فترة زمنية عرفت فيها عنابة (بونة) تحولات عميقة، حيث امتدت مابين القرنين 05 - 10 هـ / 11 - 16 م.

إشكالية البحث:

يتناول هذا الموضوع مدينة عنابة نموذجا لدراسة علاقة البيئة بالحياة الحضرية في المدينة الإسلامية، وسأحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

- هل تم طرح قضية البيئة في تاريخ المغرب الأوسط خصوصا وتاريخ المسلمين عموما كما تطرح اليوم؟
- هل تم اعتماد العامل البيئي في اختيار موقع مدينة عنابة؟
- ما مدى تجسيد تعاليم الإسلام حول البيئة في تخطيط وإدارة المدينة؟
- ما علاقة البيئة بالتخطيط العمراني للمدينة؟
- هل بناء المدينة الإسلامية تم بعشوائية آنية؟
- كيف تعامل المسلمون في العصر الوسيط مع مخاطر البيئة؟ وما هي الحلول؟

أهمية البحث:

يمكن تلخيص أهمية موضوع الدراسة في ثلاث نقاط:

- تكريس مبدأ لا ضرر ولا ضرار، وعدم الفساد في الأرض من خلال المحافظة على البيئة.

- إعادة قراءة تراثنا لاستنباط نماذج فكرية وعملية تساعدنا على مواجهة أخطار البيئة.
- إعادة الاعتبار للتاريخ الحضري كمصدر للتخطيط العمراني الإسلامي المعاصر.

أهداف البحث:

قمت برصد جملة من الأهداف أملا في الوصول إلى الجديد و محاولة مني لتبرير الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا المشروع:

- تأصيل موضوع البيئة تاريخيا من خلال مدينة عنابة.
- استكشاف دور الحضارة الإسلامية في حماية البيئة.
- استدعاء بعض الصور التاريخية حول أهمية سلامة البيئة.
- إبراز أهمية البيئة في الفكر العمراني عند المسلمين.
- البحث عن حقيقة ما يشاع حول الفوضى والعشوائية التي تميز عمارة المدينة الإسلامية في العصر الوسيط.
- التعرف على قضايا البيئة بمدينة عنابة في العصر الإسلامي (العصر الوسيط).
- إضافة عمل علمي وأكاديمي للجامعة الجزائرية.
- إثراء المكتبة التاريخية بمثل هذه البحوث.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على:

– المنهج التاريخي: وتم من خلاله جمع المعلومات من المصادر والمراجع التي تناولت عنابة (بونة) أثناء الفترة الممتدة ما بين القرنين 05 - 10 هـ / 11 - 16 م، خاصة تلك التي سلطت الضوء على المدينة في المجال الحضري.

–المنهج التحليلي: ويتمثل في إبراز أهمية العلاقة بين البيئة الطبيعية للمدينة، ومظاهرها العمرانية، ومعاملات السكان.

– المنهج المقارن: وسمح بمناقشة، واستقراء المعلومات المختلفة، والمتنوعة، التي جاءت بها المصادر والمراجع خلال الفترة المدروسة.

صعوبات البحث:

لقد واجه الباحث أثناء إعداد هذه المذكرة بعض الصعوبات، كان من أهمها:

– طبيعة الموضوع المركزة التي ألزمتني بتوسيع قاعدة المصادر والمراجع، والتدقيق في القراءة، ومحاولة استنباط المعلومة.

– قلة المصادر والمراجع الخاصة بمدينة عنابة، والتي تتناول موضوع البحث "البيئة والحياة الحضرية".

– عدم توفر المادة العلمية بشكل مباشر في المصادر المختلفة، حيث تناثرت المعلومات في ثنايا الكتب والمراجع، مما دفع الباحث إلى بذل الكثير من الجهد في استخلاص هذه المعلومات.

– صعوبة الوصول إلى المعلومة في المكتبات العمومية، حيث اعترضت الباحث عدة عقبات من أجل الحصول على بعض المصادر والمراجع.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وذلك بناء على المعطيات المتوفرة، وتوجيه الأستاذ المشرف.

تضمنت **المقدمة** أهمية البحث، وسبب اختيار الموضوع، كما أعطت نظرة عامة عن موضوع الدراسة، وحدودها الزمكانية.

تناول **الفصل الأول** التعريف بالبيئة ومدينة عنابة، وتكوّن من مبحثين، الأول تحدث عن الفكر البيئي في الحضارة الإسلامية، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي ومصادر التراث، أما الثاني فعرف مدينة عنابة بيئيا وتاريخيا، حيث تطرق إلى تسمية المدينة ومدى ارتباطها ببيئتها الطبيعية، فضلا عن تأسيس المدينة وتطورها التاريخي.

أما **الفصل الثاني** فتكلم عن العلاقة بين البيئة والتخطيط العمراني لمدينة عنابة، واحتوى مبحثين، الأول خصص للحديث عن العوامل البيئية المؤثرة في اختيار موقع المدينة، أما الثاني فركّز على تأثير الاعتبارات البيئية على تخطيط مدينة عنابة.

أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان الكوارث الطبيعية وأثرها على البيئة، وقسّم إلى ثلاثة مباحث، فقد اشتمل المبحث الأول على الأسباب التي أدت إلى حدوث الكوارث الطبيعية التي أصابت المدينة، أما الثاني فرصد بعض أنواع تلك الكوارث مثل: الزلازل والفيضانات والجفاف والجراد، أما الثالث فعالج أثر تلك الجوائح على دور المدينة ومكانتها، وحالة السكان وردود أفعالهم، إضافة إلى إبراز دور فقه النوازل ونظام الحسبة في حماية البيئة بمدينة عنابة.

أما **الخاتمة** فقد كانت حوصلة للنتائج المتوصل إليها في هذا البحث، حيث ذُيّلت بملاحق وقائمة المصادر والمراجع وفهارس.

عرض ونقد لأهم المصادر والمراجع:

ما كان لهذه الدراسة أن تستوي على صورتها الحالية، وتأخذ بعدها العلمي، وإن افتقرت إلى الكمال لولا توفيق الله .، ثم العودة إلى نخبة من المصادر والمراجع المتنوعة، التي سنسرد بعضها في عرض سريع:

لقد فرضت كتب الجغرافيا والرحلات نفسها في انجاز هذا البحث، وذلك لما تضمنته من معلومات تاريخية وجغرافية وعمرانية وحضارية هامة حول مدينة عنابة (بونة)، ويمكن الإشارة هنا إلى كتاب "**صورة الأرض**" لابن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت. 367 هـ / 977 م)، الذي زار المدينة في ن الرابع الهجري قبيل الفترة المدروسة، ووصفها بأنها متوسطة الحجم، وأشاد بموقعها الممتاز، وتجارتها الرائجة، وكتاب "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" للمقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. 380 هـ / 990 م)، الذي ظهر في نفس القرن وأكد الموقع البحري للمدينة، وذكر سورَها، وأن مصدر مياهها الرئيس هو الآبار. أما كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" للبكري أبي عبيد الله (ت. 487 هـ / 1094 م)، فقد سبق غيره في الإشارة إلى التطور المكاني للمدينة، ووصف بونة الحديثة، التي تشكل محور الدراسة وصفا دقيقا من حيث الموقع،

والخصائص الطبيعية، والتركيبة السكانية، وتنوع مواردها المائية والاقتصادية، و"**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**" لكاتب مراكشي مجهول عاش في القرن 06 هـ / 12 م، أشار إلى أن المدينة متجذرة في التاريخ، لها موقع منيع، وتتمتع بإقليم غني بالثروات البحرية، والزراعية، والحيوانية، وذكر أن لها ميناء مشهورا، وكتاب "**الرحلة المغربية**" لمحمد العبدري البلنسي (ت. بعد 688 هـ / 1289 م)، الذي زارها في ظروف تعرضت فيها إلى غزو أجنبي، الأمر الذي لم يسمح له بوصف المدينة بشكل دقيق، فضلا عن سفره الذي ألحّ عليه بعدم المكوث فيها لفترة، وكتاب "**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**" للعمري شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله (ت. 749 هـ / 1348 م)، الذي أكد حصانة المدينة وتمدنها، وتوفرها على عدة مرافق في حديثه عن مدن الدولة الحفصية التي كانت بونة (عنابة) من توابعها، وكتاب "**الروض المعطار في خبر الأقطار**" للحميري محمد بن عبد المنعم (ت. 900 هـ / 1494 م)، الذي لخص الأوصاف، والمعطيات الجغرافية، والطبيعية، والتاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والعمرانية التي ميزت عنابة (بونة)، وكتاب ليون الإفريقي (الحسن الوزان) "**وصف إفريقيا**"، ب أكد المميزات الطبيعية للمدينة، ووصف عمرانها، وسكانها، واقتصادها، وباديتها، وتجارتها، وذكر القلعة الحفصية، وأن المدينة كانت تتعرض باستمرار لهجمات القراصنة، وأما كتاب "**إفريقيا**" للإسباني مارمول كربخال (عاش في القرن 10 هـ / 16 م)، فقد أكد ما أورده الوزان وأفاد البحث بمعلومات قيّمة حول تسمية المدينة، وموقعها الجغرافي، وأقاليمها، وأنشطتها الممارسة، ومواردها، وعمرانها في نهاية فترة الدراسة.

ومن أجل الإحاطة ببعض جوانب الموضوع، خاصة التخطيط العمراني، والتطور الحضاري للمدينة، اعتمد البحث على مصدرين اهتما بتاريخ مدينة عنابة (بونة) بعد القرن 10 هـ/ 16 م، وهما كتاب "**الهدايا الملكية**" لمجهول عاش في القرن 10 هـ / 17 م، وضع مخططا للمدينة في فترة قريبة زمنيا لتلك التي يدرسها البحث، وكتاب "**التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**" لأحمد بن القاسم البوني (ت. 1139هـ / 1726 م) الذي أشاد بالمدينة، وردّ على ما جاء في كتاب العبدري.

ومن المصادر التي تم الاعتماد عليها كتب الفتاوى والنوازل، منها كتاب "**فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**" للبرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي

التونسي (ت.841 هـ / 1438 م)، الذي تناول عدة مظاهر سلوكية ارتبطت بالبيئة، جعلت الفقهاء يتدخلون لإصدار فتاوى تعبر عن رأي الدين، وكتاب "**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**" للونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت. 914 هـ / 1508 م)، الذي تعرض بدوره إلى انشغالات المسلمين البيئية، خاصة تلك التي لها علاقة بالتلوث في الشوارع والأحياء والأسواق.

أما كتب الحسبة فقد أفادتنا في نقل بعض الصور العملية لمكافحة التلوث ونشر الثقافة البيئية، منها كتاب "**آداب الحسبة والمحتسب**" لابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله (ت. 424 هـ / 1032م)، الذي أشار إلى دور المحتسبين في تنظيم الشوارع والأسواق والمحافظة على النظافة العامة.

وبخصوص الفكر العمراني، استفاد البحث من مصدرين مهمين، وهما: كتاب "**الإعلان بأحكام البنيان**" لابن الرامي البناء أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي (ت. 734 هـ / 1334 م)، الذي أثرى الموضوع بعدة قضايا بيئية، وقدم لها الحلول لمكافحتها، وكتاب "**المقدمة**" لابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت. 808 هـ / 1406 م)، الذي كان متنوعا في المعلومات، وغذى البحث بعدة معطيات فكرية حول البيئة والعمران وشروط بناء المدن ونظام الحسبة.

ويعتبر كتاب "**الحكمة في مخلوقات الله**" لأبي حامد الغزالي الطوسي (ت. 505 هـ / 1111م)، من أهم المصادر التي رصدت المفهوم الإسلامي للبيئة من خلال تفسيره للعديد من الآيات القرآنية.

ومن أبرز المراجع التي تناولت موضوع البيئة، كتاب "**رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة**" لعبد الله شحاتة، وكتاب "**رعاية البيئة في شريعة الإسلام**" ليوسف القرضاوي، وكتاب "**قضايا البيئة من منظور إسلامي**" لعبد المجيد عمر النجار، وكتاب "**الإنسان والبيئة**" لراتب السعود، وكتاب "**البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث**" لمحمد عبد القادر الفقي، حيث ساعدت في تحديد المفهوم الاصطلاحي للبيئة وعلاقتها بالحياة الحضرية.

واستفاد البحث من كتاب سعيد دحماني "**من هيبون – بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**"، الذي ساهم في رصد أهم المحطات التاريخية والحضارية لمدينة عنابة عبر التاريخ، إضافة إلى كتاب محمد بن إبراهيم جندلي "**عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا**"، واستعنت به كذلك في

تأطير المعطيات الجغرافية والتاريخية للمدينة.

ومما يجدر ذكره تلك لمجموعة من المقالات المتنوعة التي احتوتها مجلة الأصالة – في عددها الخاص رقم 35/34 بمناسبة انعقاد الملتقى العاشر للفكر الإسلامي بمدينة عنابة عام 1396 هـ / 1976م، وهي "**جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور**" للمهدي البوعبدلي، و"**حول مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة**" لعبد الرحمن الجيلالي، و"**عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي**" لليلى الصباغ، و"**عنابة قبل الإسلام**" لعثمان الكعاك، و"**عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي**" لرشيد بورويبة، و"**عنابة في عهد الحفصيين**" لعبد الحميد حاجيات، و"**عنابة في نظر الرحالين الألمان**" لأبي العيد دودو، و"**الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني**" لناصر الدين سعيدوني، و"**هيبون القديمة**" لمحمد بشير شنيتي، والتي ساعدت على التعرف على جوانب من تاريخ عنابة السياسي، والاقتصادي، والعمراني.. عبر العصور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول
البيئة ومدينة عنابة

المبحث الأول: الفكر البيئي في الحضارة الإسلامية.

أولا: مفهوم البيئة لغة واصطلاحا.

ثانيا: البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثا: البيئة في التاريخ الإسلامي ومصادر التراث.

المبحث الثاني: التعريف بمدينة عنابة.

أولا: أصل التسمية وتطورها.

ثانيا: تأسيس المدينة وتطورها التاريخي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الفكر البيئي في الحضارة الإسلامية:

أولا: مفهوم البيئة لغة واصطلاحا:

1. لغة:

إن لفظ البيئة مشتق من المادة المعجمية «بوأ» وصيغة الفعل من هذا الجذر هو «باء، يبوء، بوءًا». وقد استخدم الفعل «باء» في أكثر من معنى، حيث ورد بمعنى رجع، وباء بذنب أي احتمله واعترف به، وأبوءُ بذنبي أي التزم وأرجع وأقرّ، وبوّأهم منزلا نزل بهم، وأبأت بالمكان: أقمت به، وبوّأتك بيتا: اتخذتُ لك بيتا، وتبوأه: أصلحه وهيأه، وتبوأ فلان منزلا: اتخذه لمبيته، وتبوّأ: نزل وأقام، وتبوّأ المكان: حلّه، وأباء عليه ماله: أراحه. والاسم منه: البيئة والباءة والمباءة، أي: المنزل، والباءة والباء: النكاح.[1] وجاءت المباءة بمعنى بيت النحل في الجبل ومتبوّأ الولد من الرحم، ومعطن الإبل[2]، والبيئة: الحالة، حيث يقال: إنه لحسن البيئة.[3] ويمكن القول أن كلمة البيئة في اللغة العربية قد يقصد بها المكان أو الحالة، التي عليها الكائن بفعل الظروف المحيطة به.[4]

وقد استعملت مشتقات كلمة البيئة في القرآن الكريم في عشرة مواقع، منها قوله -: ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً**﴾[5]، أي جعلها لكم منزلا، وقال أ: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً**﴾[6]، أي اتخاذ مصر منزلا لقومكما تسكنون فيها. ويقول لأ:

---

[1]- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت. 396 هـ / 1005 م)، **الصحاح**، تح. أحمد عبد الغفور عطّار، (ط.4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990 م)، 37/1. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت. 711 هـ / 1311 م)، **لسان العرب**، تح. عبد الله علي الكبير وآخرين، (القاهرة : دار المعارف، د.ت)، مج. 1، ج. 5، 380-382.

[2]- **معطن الإبل**: مبرك الإبل حول الحوض أو الماء، ومعاطن الإبل تعني مواضعها، وأعطن الإبل: سقاها ثم أناخها، وحبسها عن الماء، فبركت بعد الورود، لتعود فتشرَبَ. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 4، ج. 31، 3000 – 3001.

[3]- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت. 817 هـ / 1414 م)، **القاموس المحيط**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.)، 08/1- 09. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت. 1205 هـ / 1790 م)، **تاج العروس**، تح. عبد الستار أحمد فراج، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965 م)، 156/1- 157.

[4]- شحاتة، عبد الله، **رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة**، (ط.1، القاهرة : دار الشروق، 2001 م)، 07.

[5]- الأعراف، 74.

[6]- يونس، 87.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] أي تهيئ لهم أماكنهم في الحرب.

يتبين من الآيات الكريمة أن معاني البيئة في القرآن الكريم جاءت في معظمها بمعنى المنزل والإقامة بمكان. ولم تشذ السنة النبوية عن هذا السياق ،إذ قال الرسول ﷺ: ﴿**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**﴾[2]. أي تكون النار مثوى له أو مكانا.

وعليه يتضح لنا أن اللغة العربية، موثقة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، أكدت عروبة كلمة البيئة[3]. أما كلمة البيئة في المعاجم الفرنسية (Environnement) فهي مشتقة من (environ)، وتعني: المحيط، أو الوسط[4]. وجاءت في المعاجم الانجليزية (Environment) بمعنى مجموعة الظروف أو المؤثرات الخارجية التي لها تأثير في حياة كائنات عالم الأرض[5]. يعّبر المفهومان عن المفهوم العام للبيئة التي تتكون من عناصر حيوية مثلك المياه، والأرض، والهواء، وعناصر حيوانية، وعناصر نباتية. والبيئة كنظام حيوي تتفاعل مع بعضها البعض لتكون مصدرا لاحتياجات الإنسان.

2. اصطلاحا:

البيئة مصطلح حديث[6]، شائع الاستخدام يرتبط مفهومه بنمط العلاقة بينه وبين مستخدمه، فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة الصحية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية، والبيئة سياسية. ويعني ذلك علاقة النشاطات البشرية المتعلقة بهذه المجالات. ويتضح من ذلك أن إيجاد تعريف شامل للبيئة لا يتيسر بسهولة إلا إذا ألممنا بإطار كل مجالات استخدامها المختلفة.[7]

---

[1]- آل عمران، 121.

[2]- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت. 261 هـ / 874 م)، **الجامع الصحيح**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، مج. 1، ج.1 ، 08.

[3]- السعود، راتب، **الإنسان والبيئة**، دراسة في التربية البيئية، (عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2004 م)، 16- 17.

[4]- **Nouveau petit Larousse**, (Paris: Liberairie Larousse, 1972), 381.

[5]- **Learner's dictionary**, (London: Collins Cobuild, 1996), 367.

[6]- أبو زريق، علي راضي، **الإنسان والبيئة**، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1416 هـ)، 05.

[7]- الحمد، رشيد؛ وصباريني، محمد سعيد، **البيئة ومشكلاتها**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979 م)، ع. 14/22.

وقد تشكل هذا المفهوم الاصطلاحي العام بالتدرج، حيث توسع مدلوله بإضافة عناصر جديدة حتى أصبح على هذا النحو من الشمول، وذلك تبعا لما كان يكتشف من أثر تلك العناصر في حياة الإنسان وفي مجموع الحياة المحيطة به عموما، فكلما تبيّن أن دورة الحياة تأثرت بعنصر جديد، أخذ مفهوم البيئة يتطور. وكان هذا المفهوم مقتصرا في البداية على مكونات الطبيعة من جماد ونبات أي البيئة المكانية التي توسعت إلى البيئة الحيوانية، ثم إلى العناصر الغازية والضوئية، فالأنظمة والتوازنات التي تحكم تلك العناصر، لتنتهي عند المنشآت التي شيدها الإنسان على الأرض.[1]

وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك اتفاق بين الباحثين والعلماء على تحديد معنى البيئة اصطلاحا بشكل دقيق إلا أن أغلب التعريفات نشذ عن المعنى نفسه، حيث وردت بمعنى المجال الذي يعيش فيه الإنسان وينتفع منه بمقومات حياته ويمارس فيه علاقته الإنسانية. وأخذت مفهوم الوسط المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثرا ومتأثرا، وهذا الوسط قد يمتد إلى منطقة كبيرة جدّا، وقد يقتصر على منطقة صغيرة جدّا، قد تكون رقعة البيت الذي يسكن فيه.[2]

وجاء في تعريفها أيضا أنها: "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقته مع أقرانه من بني البشر" [3]. وعُرّفت البيئة حديثا بأنها " الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من عناصر طبيعة وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها "[4].

أما يوسف القرضاوي، فرأى أن مكونات البيئة، تضم البيئتين الجامدة والحية، البيئة الجامدة تشمل البيئة الطبيعية التي خلقها الله -، والمشيدة التي صنعها الإنسان، وتتمثل فيما يحفره من قنوات، وما يغرسه من أشجار، وما يمده من طرقات، وما ينجزه من أبنية، وما يصنعه من أدوات للسلم والحرب. أما البيئة الحية فتشمل الإنسان والحيوان والنبات. وأشار إلى أن البيئة الطبيعية تتميز بأنها المتنوعة لخدمة الإنسان، وتوفير حاجاته. وأنها بجوانبها المختلفة،

---

[1]- النجار، عبد المجيد عمر، **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، (قطر: مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999 م)، 19.

[2]- السعود، المرجع السابق، 17- 18.

[3]- الحمد، وصباريني، المرجع السابق، 24- 25.

[4]- الفقي، محمد عبد القادر، **البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث**، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، 1993 م)، 10.

متفاعلة، ومتكاملة، ومتعاونة، وفق نظام كوني[1]. فمن خلال هذه الرؤية، يمكن حصر مفهوم البيئة في الحديث عن عناصرها الطبيعية والصناعية، وعن الظروف والعوامل التي تتفاعل معها الكائنات الحية بما فيها الإنسان الذي تربطه بها علاقة عضوية.

ستخدمت المصادر العربية مصطلح البيئة بشكل واسع، إلا أنها تناولت قضايا البيئة المختلفة بشكل منفصل ومتباعد. ويعد مسلمة بن أحمد المجريطي[2] أول من استعمل كلمة البيئة بالمعنى الاصطلاحي وأثبت تأثيرها في الأحياء في كتابه: " في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية "، وتكلم فيه عن مراتب الهيمنة بين الحيوانات[3].

ووردت لفظة البيئة بمفهومها الاجتماعي، وهو أحد أبعاد المفهوم الاصطلاحي الشامل، حيث ذكرها صاحب كتاب "نفح الطيب" في القرن 11 هـ / 17 م أثناء سرده لخصال أحد علماء الأندلس: "نشأ في بيئة كريمة"[4]. إلا أنه يبدو أن عدم مزاوجة المسلمين الأوائل بين الكلمة، ومفهومها الاصطلاحي، يعود إلى اهتمامهم بالجانب التطبيقي للبيئة؛ فهم لم ينظروا إليها نظرة شاملة، تربط الأمور بعضها ببعض.

ثانيا: البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

على الرغم من أن لفظ البيئة لم يذكر في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة، فإن مفهومها، الذي يشير إلى الأرض، ومكوّناتها الجامدة، والحية، قد ورد في سور قرآنية مختلفة، وأحاديث نبوية عديدة.[5]

---

[1]- القرضاوي، يوسف، **رعاية البيئة في شريعة الإسلام**، (ط.1، القاهرة: دار الشروق، 2001 م)، 12- 14.

[2]- **المجريطي**: هو عالَم أندلسي عاش في الفترة ما بين(339 - 398 هـ / 950 - 1007 م)، ينسب إلى مجريط (مدريد)، له عدة مؤلفات في الرياضيات والفلك والكيمياء. **أنظر**: فارس، محمد، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، (ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م)، 191- 192.

[3]- النجار، المرجع السابق، 43.

[4]- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت. 1041 هـ / 1631 م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988 م)، 524/2.

[5]- مقري، عبد الرزاق، **مشكلات التنمية والبيئة والعلاقات الدولية**، (ط.1، الجزائر: دار الخلدونية، 2008 م)، 294.

1. البيئة في القرآن الكريم:

غيّر القرآن الكريم نظرة مخاطبيه نحو العالم، وشكّل فكرا أساسه التوحيد. فالطبيعة التي أخفق لإنسان في فهم حقيقة وجودها، قد عرّفها القرآن من جديد بأنها آية من آيات الله، وهي إشارة إلى أحد الشروط الواجبة للوصول إلى الإيمان الحقيقي الذي يقوم على التأمل والتفكر في الطبيعة[1]، قال -: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[2].

ومن هذا المنظور تبرز الأدلة عناية القرآن بالبيئة من خلال أسماء السور العديدة التي تسمت بأسماء حيوانات وحشرات ونباتات ومعادن وظواهر طبيعية. فنجد من أسماء السور من الحيوانات: سورة البقرة، وسورة الأنعام، وسورة الفيل، وسورة العاديات وهي الخيل. ومن الحشرات: سورة النحل، وسورة النمل، وسورة العنكبوت. ومن النباتات: سورة التين. ومن المعادن: سورة الحديد. ومن الظواهر الطبيعية: سورة الرعد، وسورة الذاريات وهي الرياح، وسورة النجم، وسورة الفجر، وسورة الشمس، وسورة الليل، وسورة الضحى، وسورة العصر، وسورة الطور وهي ترمز إلى الجبال. أما الأماكن فوردت فيها سور البلد، والأحقاف[3]، والحِجْر[4]، والكهف[5].[6]

فيما يلي نستعرض موقف الإسلام في القرآن من البيئة ومكوّناتها، التي تضم الإنسان والحيوان والنبات والأرض والماء والهواء:

---

[1]- أوزدمير، إبراهيم، "**البيئة في القرآن الكريم**"، مجلة حراء، ع. 07، السنة 02، أبريل- يونيو 2007 م، ISIKOZEL Egitim,T اسطنبول-تركيا، 30- 31.

[2]- يوسف، 105.

[3]- **الأحقاف**: موطن عاد بأرض اليمن وهم قوم هود عليه السلام. **أنظر**: أبو خليل، شوقي، **أطلس القرآن**، (ط.1، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2003 م)، 30. الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، (ط.5، الجزائر: موفم، 1990 م)، 191/3.

[4]- **الحِجْر**: ديار قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام، وهي واد بين المدينة والشام، أي بين الحجاز وتبوك، وكانت منازلهم منحوتة في الجبال. **أنظر**: أبو خليل، المرجع السابق، 34. الصابوني، المرجع السابق، 105/2. ابن جنيدل، سعد بن عبد الله، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم**، (ط.1، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1424 هـ / 2003 م)، 115- 126.

[5]- **الكهف**: أشتهر بأصحابه، وهم فئة مؤمنة، فرّت بدينها من بطش الحاكم الروماني الوثني دقيانوس. ويوجد الكهف بأفسُوس شمال غرب طَرَسُوس الواقعة جنوب غرب تركيا. إلا أن رأيا آخر يقول بوجود الكهف قرب مدينة البتراء في الأردن، وهناك من يزعم وجوده قرب مدينة عمّان. **أنظر**: أبو خليل، المرجع السابق، 136- 139. ابن جنيدل، المرجع السابق، 178.

[6]- القرضاوي، المرجع السابق، 54- 55.

أ. الإنسان:

دعا الإسلام إلى حماية الإنسان ومتعلقاته المختلفة، وتتجلى هذه الدعوة في مقاصد الشريعة[1] والتي حدّدها أغلب العلماء في خمس كليات: حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال.[2]

وقد أكد القرآن الكريم على حرمة الإنسان، ونهى على قتله بغير وجه حق[3]، قال لأ: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[4]، وهي دعوة إلى تكريم الإنسان باعتباره أهم عناصر البيئة، التي هيئت له، لتكون المجال الطبيعي لحياته.

حرّم الإسلام قتل الأولاد مخافة الفقر، واعتبره جُرما كبيرا، وحذر من فاحشة الزنا، ومنع الإسراف في القتل، أي عدم تجاوز الحد المشروع، بأن يقتل غير القاتل، أو يمثل به، أو يقتل اثنين بواحدة، مثلما كان يفعل أهل الجاهلية، فعلى صاحب الحق، أن يكون عادلا في قصاصه[5] . قال -: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً، وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً، وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً**﴾[6]. تضمنت الآية عدة رسائل

---

[1]- يرى الشاطبي أن الشريعة وُضِعت لرعاية مصالح العباد في كل وقت، وذلك لوجود هذه المصالح بوضوح في الكثير من الأحكام. **أنظر**: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت. 790 هـ/ 1388 م)، **الموافقات في أصول الشريعة**، (ط.1، بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.)، 6/2. أي أن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ أسس التعايش فيها، واستمرار صلاحها، وصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل، واستقامة، وصلاح في العقل، والعمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع. **أنظر**: ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تح. محمد الطاهر الميساوي، (ط.2، الأردن: دار النفائس، 2001 م)، 273. الفاسي، علال، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، (ط.5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993 م)، 45 - 46.

[2]- ابن عاشور، المرجع السابق، 168. القرضاوي، المرجع السابق، 44.

[3]- الصابوني، المرجع السابق، 339/1.

[4]- المائدة، 32.

[5]- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت. 774 هـ / 1372 م)، **تفسير القرآن العظيم**، تح. مصطفى السيد محمد وآخرين، (ط.1، القاهرة: مؤسسة قرطبة، 2000 م)، 05/9- 08. الصابوني، المرجع السابق، 158/2- 159.

[6]- الإسراء، 31 - 33.

توضح خطورة شيوع الفاحشة بمظاهرها المختلفة، وانعكاساتها السلبية على السلم الاجتماعي، خاصة وأن الإنسان من أهم مكونات البيئة، فبصلاحه تصلح البيئة، وبفساده تفسد؛ لذلك فالتمسك بتعاليم الإسلام السمحة من أهم عوامل المحافظة على سلامة البيئة.

ب. الحيوان:

لقد حرص الإسلام على العلاقة السليمة مع الحيوانات فحض المسلم على حسن معاملتها، حيث وردت عدة آيات قرآنية تشير إلى أهمية هذه الكائنات.

قال -: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[1]، ومعنى ذلك أن الحيوانات والطيور مخلوقات، مثل الإنسان، خلقها الله -، وقدّر أحوالها، وأرزاقها، وآجالها دون غفلة[2] فضلا عن أنها جزء من التوازن البيئي، ومصدر لحاجات الإنسان المختلفة، فالمحافظة عليها من متطلبات حماية البيئة.

وقال لأ: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[3]. وهي دعوة إلى تدبر قوة الجمال العجيبة وانقيادها للإنسان، وصبرها على العطش وكثرة منافعها[4]، وتأقلمها مع البيئة الصحراوية.

وقال أ: ﴿**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[5]. وتذكّر هذه الآيات الإنسان بالنعم التي بسطها الله لأ له، فسخّر له الأنعام والخيل والبغال والحمير مستفيدا من أصوافها، وأوبارها، وحليبها، ولحمها وركوبها، وحملها، وجمالها، وكلها رحمة ورأفة به.[6] وهي إشارة إلى أن هذه الخيرات تشكل بيئة صالحة للإنسان، لتكون فضاء لعبادة الله سبحانه وتعالى.

---

[1]- الأنعام، 38.

[2]- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 30/6- 33. الصابوني، المرجع السابق، 389/1.

[3]- الغاشية، 17.

[4]- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 333/14. محمد علي الصابوني، المرجع السابق، 553/3.

[5]- النحل، 5-8.

[6]- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 291/8- 295. محمد علي الصابوني، المرجع السابق، 119/2- 120.

ج. النبات:

صنّف القرآن الكريم النبات تصنيفا شاملا ودقيقا، فذكر الحبوب والنخيل والأعناب والزيتون والرمان: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1]. ويشير هذا التنوع إلى قدرة الله عز وجل، والفوائد الغذائية التي يتمتع بها كل نوع من هذه النباتات.

وخص بعض الخضروات: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا[2] وَفُومِهَا[3] وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾[4]، ويتبيّن مما سبق أن نمو المحاصيل الزراعية، وتنوعها، له علاقة بالمناخ وعناصره خاصة الماء، فضلا عن التربة باعتبارها الوسط الطبيعي الذي يحتضن النبات.

ويذكر الله لأ عدّة أنواع من طعام الإنسان والأنعام: ﴿**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِه، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً، وَعِنَباً وَقَضْباً[5]، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً، وَحَدَائِقَ غُلْباً، وَفَاكِهَةً وَأَبّاً[6]، مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ....** ﴾[7]. فالآية الكريمة تحض الإنسان على التدبّر في علاقة التفاعل التي تتم بين عناصر الطبيعة، وما يترتب عنها من منافع. وقد أقسم الله أ بالثمرتين المباركتين: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾[8] لإبراز فضلهما غذائيا وصحيا، وأنهما من آيات الله، ودليل على صلاح البيئة.

---

[1]- الأنعام، 99.

[2]- **قثّائها**: أي القِثّاء، نوع من البطيخ يشبه الخيار، يعرف بالفقوس. **أنظر**: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (ط.4، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2004 م)، 715. الصابوني، المرجع السابق، 62/1.

[3]- **فومها**: أي الثوم. **أنظر**: الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، (1980 م)، 158/4. الصابوني، المرجع السابق، 62/1.

[4]- البقرة، 61.

[5]- **قضبا**: القَضْب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة، أو هو العلف. **أنظر**: الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 117/1. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 252/14.

[6]- **أبّا**: الأبُّ هو المرعى أو ما تأكله البهائم من العشب. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 86/1. الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 35/1. الزبيدي، **تاج العروس**، (ط.2، 2004 م)، 5/2. الصابوني، المرجع السابق، 521/3.

[7]- عبس، 24- 32.

[8]- التين، 1.

د. الأرض:

خلق الله تعالى الأرض من عدد كبير من العناصر المعدنية، والصخرية والمواد العضوية تظهر في شكل مظاهر تضاريسية، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المظاهر في إشارات عامة شاملة ومطلقة وصادقة.[1] وهي عناصر ضرورية لاكتمال بيئة الأرض، وتسهيل مهمة الإنسان على سطحها منتفعا، وعابدا لله سبحانه وتعالى. قال لأ: ﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾[2]، وقال -: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا**﴾[3]، وقال لأ: ﴿**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[4]، وقال أ: ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾[5]، وقال -: ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾[6]، وقال أ: ﴿**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**﴾[7][8]، وقال لأ: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[9]، وقال -: ﴿**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ**﴾[10].

وقد فسّر أبو حامد الغزالي هذه المعاني التي وردت في الآيات الكريمة موضحا الحكمة من خلق الأرض، وفوائد مظاهرها السطحية، فالله سبحانه وتعالى ذلّل طرقها لطلب الرزق، ووضعها لبقاء النسل من جميع الكائنات، وجعل فيها الاستقرار، ولين سطحها للزراعة، ومهده لجريان الماء، ويسّرها نفر الآبار في الأماكن المحتاجة، وسخّر ترابها، وطينها في البناء، وصناعة أواني الفخار، وسهل الانتفاع بمعادنها مثل: النحاس والحديد، وألهم الناس استخراج ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك،

---

[1]- خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم**، (ط.2، الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1985 م)، 373 - 374.

[2]- الذاريات، 48.

[3]- نوح، 19- 20.

[4]- النحل، 15.

[5]- النازعات، 30- 33.

[6]- فاطر، 27.

[7]- **القِطْر**: النحاس الذائب. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 796/2. الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، (1978 م)، 117/2. الصابوني، المرجع السابق، 548/2.

[8]- سبأ، 12.

[9]- الحديد، 25.

[10]- الحجر، 82.

وذكر أهمية الجبال في التوازن البيئي، وتوفير المياه في شكل عيون، وانهار، وثلوج، وإنبات الأشجار للعقاقير، والأخشاب، وإيواء الوحوش، والنحل، واستخدامها معالم لاستدلال الطرقات، واتخاذها أماكن محصنة من طرف الفئات القليلة الخائفة.[1] وهذا في حد ذاته إشارة واضحة إلى دور الأرض في تكوين البيئة الصالحة، و البيئة الفاسدة، حيث بها تنهض الأمم، وتتقدم الحضارات، إذا تم استغلالها بحكمة، والاستفادة من ثرواتها السطحية، والباطنية[2].

ولما كانت هذه العناصر تتفاعل مع بعضها وفق نظام دقيق، في تكامل وتوافق رائع باعتماد مجموعة على المجموعة الأخرى السابقة لها بما يضمن حفظ توازن النظام البيئي، فإن حدوث أي خلل أو نقص في مكونات أي مجموعة يؤثر في طبيعة التفاعل، ومن ثم يبدأ النظام في الخلل، فيفقد توازنه[3]. وعليه فإن ذلك الاضطراب يؤدي إلى ظهور عدة مشاكل بيئية عديدة، مثل: التلوّث، والاحتباس الحراري، وذوبان الجليد، وانحسار مساحة اليابس، وكثرة التقلبات الجوية، والأعاصير وغيرها.

هـ. الماء:

اعتبر القرآن الكريم الماء أهم عناصر النظام البيئي، وذكر مصادره السبعة: الأمطار، والأنهار، والبحار، والعيون، والآبار السطحية، والينابيع، والمياه الجوفية، حيث أكد الله لأ أن الماء مصدر الحياة: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[4].

---

[1]- الغزالي، أبو حامد الطوسي (ت. 505 هـ / 1111 م)، **الحكمة في مخلوقات الله**، تح. محمد رشيد رضا قباني، (ط.3، بيروت: دار إحياء العلوم، 1986 م)، 31- 39.

[2]- السرطاوي، فؤاد عبد اللطيف، **البيئة والبعد الإسلامي**، (ط. 1، عمّان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1999 م)، 48.

[3]- الفقي، المرجع السابق، 23.

[4]- الأنبياء، 30.

أما ماء المطر فورد في عدة سور منها قوله لأ: ﴿**هُوَ الَّذي أَنزَلَ منَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾[1]، و قوله -: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾[2].

أما الأنهار فقد جاء ذكرها: ﴿**ثمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلكَ فَهِيَ كَالْحجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وإِنَّ من الْحجارة لَما يتفجَّر منْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ منْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ منْهُ الْمَاء وَإِنَّ منْهَا لَمَا يَهْبِطُ منْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[3].

وأشار الله أ إلى العيون: ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ من نَّخيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا منْ الْعُيُونِ**﴾[4]. ووردت البئر في قوله لأ: ﴿**فكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ**﴾[5]. أما الينابيع فذكرها أ: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ منَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلكَ لَذكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾[6]. أما المياه الجوفية فجاءت في قوله لأ: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ**﴾[7].

وذكر القرآن الكريم البحار في مواطن كثيرة منها: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ منَ السَّمَاءِ من مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا من كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[8]، وقوله لأ: ﴿**وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ منْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ منْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ من فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ**

[1]- النحل، 10.
[2]- ق، 9.
[3]- البقرة، 74.
[4]- يس، 34.
[5]- الحج، 45.
[6]- الزمر،21.
[7]- الملك، 30.
[8]- البقرة، 164.

تَشْكُرُونَ﴾[1]، وقوله -: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[2]. ولأهمية الماء شرع الإسلام صلاة الاستسقاء عند الجفاف والجدب، فيخرج المسلمون تضرّعا إلى الله سبحانه وتعالى طلبا للغيث[3]. ولخص أبو حامد الغزالي منافع هذا المورد قائلا: " فأنظر في عموم هذه النعمة وسهولة تناولها مع ة عن قدرها، و مع شدة الحاجة إليها، فلو ضاقت لكدرت الحياة في الدنيا، فعلم بهذا أن الله تبارك وتعالى، أراد بإنزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعدن، إلى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها من يروم حصرها، فسبحان المتفضل العظيم"[4].

ويستنتج من ذلك أن الماء سر الحياة وروحها، فهو العنصر الأساسي للحياة، واستمرارها لجميع الكائنات والنباتات، فلا حياة بدونه، فالإنسان قد يعيش فترة طويلة دون طعام، ولكن إذا فقد الماء، فقد حياته.

و. الهواء:

الهواء عنصر حيوي، منافعه للكائنات الحية لا يمكن حصرها، حيث حدّثنا عنها أبو حامد الغزالي في عدة عبارات عند تفسيره لقوله لأ: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[5]، فأشار إلى أن الهواء تتخلله الرياح، وباستنشاقه تعتدل الحرارة في الجسم، وشبهه من حيث الأهمية بماء البحر بالنسبة للأسماك، ولولاه لتسربت الحرارة إلى القلب، وأهلكت الإنسان والحيوان. وذكّر بدور الرياح في سوق السحب من مكان إلى آخر، لتسقي الأرض، وفي دفع السفن عبر البحار، والتي تفوق حمولتها الدواب. ثم يعرض إلى فوائدها في تلطيف الجو، وطرد الأوبئة والعلل وتنقية عفن الأرض والمساكن، وكيف تؤدي حركة الهواء إلى تفريق المطر إلى قطرات حتى لا يهلك ما يقع عليه على سطح الأرض.[6]

---

[1]- النحل، 14.

[2]- الرحمن، 22.

[3]- جيرة، عبد الرحمن، **الإسلام والبيئة**، (ط.1، القاهرة: دار السلام، 2000 م)، 46.

[4]- الغزالي، **الحكمة في مخلوقات الله**، 47.

[5]- الحجر، 22.

[6]- الغزالي، **الحكمة في مخلوقات الله**، 48 - 50.

يزخر القرآن الكريم بوصف الطبيعة والكون، ليغرس في النفس التفكر، والتدبر في معجزات الله، ومن ثمّ الإيمان والتسليم له. فالمسلم ينظر إلى الكون على أنه منظومة من المخلوقات متحدة في عبادة الله. وإنما ميزه الله سبحانه بمسؤولية التكليف والخلافة على الأرض حتى قبل أن تبرز في الأفق أخطار البيئة.[1] لذلك يمكن القول أن علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية مرتبطة بثلاث دوائر، الاستخلاف، والتسخير، والاعمار[2].

لقد سخر الله سبحانه وتعالى كل ما في الكون للإنسان، بعد أن حمّله أمانة الخلافة، وأدخله في رحلة اختبار طويلة لرعاية البيئة، واعمارها، خاصة وأن هذا الإنسان، يمتاز عن غيره من الكائنات بميزات الاستقامة، ونمو الحواس، وخاصيّة التّفكير، والقدرة على السّمو الرّوحي.[3] وما يمكن استنتاجه، أن الآيات القرآنية المذكورة أعلاه، قد أكدت أن مفهوم البيئة في الإسلام، هو مفهوم شامل، فهي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- هوفمان، مراد، **الإسلام كبديل**، تعريب عادل المعلم، (ط.1، القاهرة: دار الشروق، 1997 م)، 100.

[2]**- الدوائر الثلاث**:

- **الاستخلاف**: يعرف المسلم الحقيقي أنه لا يملك شيئا في الكون، وإنما هو مستخلف فيه، ينتفع بخيراته، لكن بشروط، فهو لم يرث الأرض ليمارس سيادته المطلقة عليها، قال لأ: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾. البقرة، 30. وقال -: ﴿ **وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾. الأعراف، 129. وهي مسؤولية انفرد بها عن بقية المخلوقات، فقد خصه الله سبحانه وتعالى بنعمة العقل والأفضلية في قوله لأ: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وحملْنَاهُم فِي الْبَرِّ والْبحرِ ورزقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾. الإسراء، 70. وجعل الله سبحانه وتعالى الكون أمانة في يد الإنسان، لذا يجب أن يتصرف فيه وفق المسؤولية المحددة، قال أ: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾. الأحزاب، 72.

- **التسخير**: لقد سخّر الله سبحانه وتعالى السموات، والأرض، والبحار، والأنهار، والرياح، والدواب، والأنعام من أجل الإنسان، ليدعم استخلافه، ويعينه على أداء وظيفته الأساسية، وهي العبادة، قال لأ: ﴿ **وسخَّر لَكُم مّا فِي السّماواتِ وما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾. الجاثية، 13.

- **الاعمار**: إن من شروط الاستخلاف حسن استغلال البيئة وتنميتها بعد الانتفاع بها والمحافظة عليها من أي تدمير، قال -: ﴿... **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**...﴾. هود،61 وأمر الله عز وجل المسلمين بالاعتدال والوسطية في السلوك، ونهى عن الفساد والإسراف، ودعا إلى الإصلاح، قال لأ: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وسطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ**... ﴾. البقرة، 143. وقال:

﴿...**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾. الأعراف، 85. وقال: ﴿ **وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** ﴾. الشعراء، 151-152. وقال: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**... ﴾. الروم، 41.

[3]- الحلبوسي، سعدون سلمان نجم، **الفلسفة التربوية البيئية**، دراسة في تطور الفكر التربوي البيئي منذ بدء التاريخ حتى الفكر الفلسفي المعاصر، (فاليتا، مالطا: منشورات ELGA، 2002 م)، 59 - 77.

تعني السماء، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والنباتات، والحيوانات، والحشرات، وغيرها من المخلوقات، بما فيها الإنسان، الذي سخر له الله سبحانه وتعالى تلك المخلوقات.

2. البيئة في السنة النبوية:

وردت البيئة في الكثير من الأحاديث والمواقف النبوية. رغم أن قضايا البيئة في ذلك الوقت لم تكن معقدة بهذه الصورة التي نعرفها الآن، فإن الرسول ﷺ قد ذكر العديد من المشكلات البيئية التي مازال يعاني منها العالم اليوم.[1]

أ. الطهارة والنظافة العامة:

أكد الإسلام على أهمية الطهارة في حفظ البيئة، وجعلها من شروط بعض العبادات خاصة الصلاة، لذا شاعت بين المسلمين مقولة "النظافة من الإيمان"[2]، والتي اعتبرها الرسول ﷺ نصف الإيمان: ﴿**الطهور شطر الإيمان**﴾[3]، وأوجب الاغتسال: ﴿**حق لله على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده**﴾[4]، ورغّب في نظافة الفم: ﴿**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**﴾[5]، وأمر بنظافة بعض مواطن الجسم الحسّاسة صحيا، واعتبر العناية بها من الفطرة: ﴿ **الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب وتقليم الأظافر، ونتف الآباط**﴾[6]، وحذّر من إساءة الطرقات: ﴿**الإيمان بضع وسبعون بابا، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله**﴾[7]، وقال: ﴿**وتميط الأذى عن الطريق صدقة**﴾[8]، ونهى الرسول ﷺ عن البصاق على الأرض

---

[1]- شحاتة، المرجع السابق، 52.

[2]- القرضاوي، المرجع السابق، 75- 76.

[3]- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، مج. 1، ج. 1، 140.

[4]- أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة، مج. 3، ج. 2،4.

[5]- ابن حنبل، أحمد (ت. 241 هـ / 855 م)، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تح. شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995 م)، 186/1.

[6]- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت. 256 هـ / 869 م)، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، مج. 3، ج.7، 206.

[7]- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت. 279 هـ / 892 م)، **الجامع الكبير** (سنن الترمذي)، تح. شعيب الأرنؤوط، هيثم عبد الغفور، (ط.1، دمشق: دار الرسالة العالمية، 2009 م)، 566/4.

[8]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، مج. 2، ج. 3، 83.

خاصة في المساجد: ﴿**البصاق في المسجد خطيئة، وكفارته دفنه**﴾[1]، بل نظافة أي مكان على سطح الأرض، قال ﷺ: ﴿**وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**﴾[2].

إن سلامة البيئة من جميع الأضرار والأخطار من واجبات المؤمن، قال الرسول ﷺ: ﴿**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**﴾[3]، فالإنسان المؤمن له مسؤوليات تجاه محيطه العام، تتطلب منه التخلص من ذاتيته، والمساهمة في نظافة ذلك المحيط من كل الآفات، ومكافحة كل مظاهر الفساد، والسعي إلى تنميته بشكل متواصل.

ب. مكافحة تلوث المياه:

نهى الرسول ﷺ عن تلويث الماء: ﴿**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثمّ يغتسل منه** ﴾[4]، وذكر أن هذا السلوك السيئ، يجلب لصاحبه اللعن: ﴿**اتقوا الملاعن الثّلاثَ: البَرَاز في الموارد، والظّلِّ، وقارعة الطريقِ**﴾[5]، وهو تنبيه خطير للمفسدين، الذين لا يكترثون برمي الملوّثات في المرافق امة مثل: مصادر المياه من آبار وأنهار، والغابات والأماكن الظليلة التي يرتادها الناس، والشوارع والطرق والأسواق، والبحار والمحيطات.

ج. الرفق بالحيوان:

الحيوانات جزء من النظام البيئي، منافعها كثيرة ومتنوعة، لذلك فالإنسان مطالب بحسن معاملتها، وعدم إيذائها، رغم أن الرسول ﷺ قد أباح قتل بعض الدواب: ﴿**خمس فواسق يقتلن في الحرم، العقرب، والفأرة، والحديا، والغراب، والكلب العقور**﴾[6]، لأنها حيوانات خطيرة، تهدد حة الإنسان وأمنه. وفي نفس السياق نهى عن الاعتداء على حرمة الحيوان لأهميته في الحفاظ على

[1]- أخرجه ابن حنبل، 174/20- 175.

[2]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، مج. 1، ج. 1، 91.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، مج. 1، ج. 1، 10.

[4]- رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة، مج. 1، ج. 1، 162.

[5]- ابن ماجة (ت. 273 هـ / 886 م)، **سنن ابن ماجة**، تح. خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، 208/1.

[6]- رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج، مج. 2، ج. 4، 18.

التوازن البيئي، قال ﷺ: ﴿**دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**﴾[1]، وقال: ﴿**غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركِيٍّ يلهث، قال كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك**﴾[2]. ونهى عن العبث بالحيوان وجعله هدفا للتسلية: ﴿**إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا**﴾[3]، فاعتبر ذلك نوعا من التعذيب، والاستخدام غير المسؤول لهذه الكائنات، التي لها الفضل الكبير على الإنسان.

د. الغرس والزرع والعناية بالنبات:

النباتات الطبيعية والزراعية من عناصر البيئة الرئيسة، فهي تساهم في المحافظة على التوازن البيئي، وتوفر للإنسان حاجاته من الغذاء والدواء، والمواد الأولية للباس والبناء والوقود وغيرها، لذلك حثّ الرسول ﷺ على غرس الأشجار، وزراعة الأرض، واستصلاحها في غير ما حديث، ومنه قوله ﷺ: ﴿**ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة كان له به صدقة**﴾ [4]، وقال: ﴿**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة**[5]**، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليفعل**﴾[6]، وقال: ﴿**من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق**﴾ [7]، فحماية البيئة، يجب أن تتجاوز مكافحة التلوث، والتدمير إلى التنمية المستدامة، التي تضمن حقوق الأجيال الصاعدة في الانتفاع بخيرات الأرض، وتشجيع أصحاب المبادرات، ومنحهم الأولوية في استثمار الأراضي، والانتفاع بعائداتها.

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، مج. 2، ج. 4، 157- 158.

[2]- رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق، مج. 2، ج. 4، 158.

[3]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد، مج. 3، ج. 6، 73.

[4]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، مج. 1، ج. 3، 135.

[5]- **الفسيلة**: صغار النخل. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1790/4.

[6]- أخرجه ابن حنبل، 296/20.

[7]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، مج. 1، ج. 3، 140.

هـ. الوقاية من الأخطار والأمراض المعدية:

لم تقتصر توجيهات الرسول ﷺ في البيئة المحيطة بالإنسان، بل تعدتها إلى أهم مكوّن لهذه البيئة، وهو الإنسان نفسه، كي يتجنب مصادر ضرره، وقد وردت أحاديث كثيرة تحثنا على الوقاية من بعض الأخطار والأوبئة، منها قوله ﷺ: ﴿**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**﴾[1]، وهي دعوة إلى تجنب الحرائق، والاختناق. وقال أيضا: ﴿**خمّروا الآنية، وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة**[2] **ربما جرّت الفتيلة، فأحرقت أهل البيت**﴾[3]، وذلك عند النوم. ووجهنا الرسول ﷺ الطريقة التي نطهّر بها الإناء إذا لعقه الكلب: ﴿**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب**﴾[4]، وذلك كإجراء وقائي من الأمراض.

ونبّه الرسول ﷺ إلى خطورة المرضين الوبائيين، الطاعون[5] والجذام[6]، وإلى ضرورة الحذر منهما:﴿**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**﴾[7]، وقال: ﴿**فرّ من المجذوم، كما تفر من الأسد**﴾[8]، ومن أدعية الرسول ﷺ: ﴿**اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيّء الأسقام**﴾[9]. لم يكتف الرسول الكريم ﷺ بالتوجيهات النظرية لمواجهة الأمراض الفتّاكة، بل حثّ على تدابير عملية، أهمها الحجر الصحي، فضلا عن

---

[1]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، مج. 3، ج. 8، 81.

[2]- **الفُويْسِقة**: الفأرة. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1543/4.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، مج. 3، ج. 8، 81.

[4]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، مج. 1، ج. 1، 162.

[5]- **الطاعون**: وباء شديد الخطورة، أصاب الأمم السابقة، وكان شديد الفتك بهم، يسببه ميكروب صغير يدعى Pasteurella، وتهاجم هذه الميكروبات أو البكتيريا الحيوانات القارضة كالفئران والجرذان، وتنتقل بواسطة براغيث الفئران إلى الحيوان أو الإنسان. وسائل انتقاله كثيرة، منها عضّة البرغوث المعدي والهواء، وهو نوعان: طاعون دملي وطاعون رئوي. **أنظر**: الخطيب، هشام إبراهيم، **الوجيز في الطب الإسلامي**، (عمّان، باتنة: دار الأرقم، دار الشهاب، 1988 م)، 92 - 93.

[6]- **الجذام**: مرض حبيبي مزمن معد يصيب البشر، ويهاجم الجلد والأغشية المخاطية للمسالك التنفسية العليا، وبعض الأعصاب الطرفية، وطريقة العدوى ليست معروفة، لأنّه يمكن إصابة الشخص المخالط للمجذوم ولا يصاب الأكثر مخالطة له. وقد انتشر الجذام في جميع العصور، وهو نوعان: درني، وعصبي. **أنظر**: الخطيب، المرجع نفسه، 94 - 95.

[7]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، مج. 3، ج. 7، 168.

[8]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، مج. 3، ج. 7، 164.

[9]- أخرجه ابن حنبل، 309/20.

التقرب إلى الله تعالى بالدعاء. وهي دعوة إلى الطهارة، وبذل كل الجهود لمكافحة الأمراض والأوبئة، التي تتهدد حياة الإنسان، وأمنه، واستقراره.

ثالثا: البيئة في التاريخ الإسلامي ومصادر التراث:

1. البيئة في التاريخ الإسلامي:

كانت الاعتبارات البيئية في مقدمة اهتمام المسلمين عند التخطيط لبناء المدن، أو التوسع العمراني، أو تصميم المباني، أو عند تغيير مكان الإقامة.

أ. الرسول ﷺ ووباء المدينة:

واجه المهاجرون في المدينة المنورة تحديا بيئيا خطيرا، تمثل في وباء الحمى الذي اشتهرت به قبل الإسلام، حيث وجد الصحابة صعوبة في التأقلم مع مناخها، مما جعل بعض الذين توعكوا بهذا الوباء يلعنون كبار قريش الذين أجبروهم على ترك مكة، ويستنجدون بالرسول ﷺ للدعاء لنقل الوباء عن المدينة، وقد اعتبر السمهودي تحويل الوباء من أعظم المعجزات[1].

ويروى أن أفرادا من قبيلة عرينة العربية لم يناسبهم جو المدينة، فمرضوا، فرخّص لهم الرسول ﷺ أن ينتقلوا إلى مرعى إبل الصدقة، ليشربوا من ألبانها، ويغيّروا الأجواء[2]. وما يمكن استخلاصه أن هذه المواقف، تؤكد أن الإنسان ابن بيئته، ومن الطبيعي أن تعترضه صعوبات في التأقلم مع البيئات الجديدة.

ب. الأمن البيئي من خلال جهود بعض خلفاء المسلمين:

[1]- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت.911 هـ / 1506 م)، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، (ط.4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1984 م)، 55/1- 59.

[2]- الكرمي، حافظ أحمد عجاج، **الإدارة في عصر الرسول** ﷺ: دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، (ط.1، القاهرة: دار السلام، 2006 م)، 182.

د الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الهدي النبوي في جميع المجالات، وبما أن البيئة ميع مكوناتها، قد استخلف فيها الإنسان، ووجدها صالحة للحياة، تحمّل هؤلاء الحكام المسؤولية الشرعية والأخلاقية للمحافظة على البيئة، وحسن استغلالها.

- **وصية الخليفة أبي بكر ط لجيش أسامة بن زيد:**

لم تثن حالة الحرب المسلمين عن التأكيد على الأمن البيئي، والمحافظة على توازن البيئة. كان ذلك عند توديع الخليفة الأول أبي بكر الصديق ط لجيش أسامة بن زيد ط المتوجه إلى أُبْنَى[1] ببلاد الشام عقب وفاة الرسول ﷺ، فقال أبو بكر ط: " لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا، ولا تعزقوا[2] نخلا، ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له... "[3].

- **الخليفة عمر بن الخطاب ط وطاعون عمواس[4]:**

تعرضت بلاد الشام في سنة 18 هـ / 639 م إلى طاعون أتى على عدد كبير من جند المسلمين وبلغ الخليفة عمر ط خبره وهو متوجه للمرة الثانية إلى الشام من طرف أبي عبيدة بن الجراح ط وأمراء الجيش الذين وافوه في منتصف الطريق، فأخبروه بشدته، فاضطر الخليفة عمر ط إلى استشارة الصحابة فلم يصلوا إلى رأي واحد[5]، وقال له أبو عبيدة ط: " أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله؛ أرأيت لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبية، أليس لو رعيت في الخصيبة رعيتها بقدر الله، ولو رعيت في الجدبية

---

[1]- **أُبْنَى**: بلدة فلسطينية، وصلها الفتح الإسلامي بقيادة أسامة بن زيد في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ط سنة 11 هـ / 632 م. **أنظر**: مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، (ط.1، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987 م)، 126.

[2] **العَزْق**: عزق الأرض، يعزقها عزقا: شقّها بفأس أو قدوم، لا تعزِقوا في الحديث الشريف: لا تقطَعوا. **أنظر**: ابن منظور: **لسان العرب**، مج. 4، ج. 33، 2929.

[3]- الخضري بك، محمد، **إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء**، تع. زهير الكبي، (ط.1، بيروت: دار الفكر العربي، 1992 م)، 24.

[4]- **عمواس**: هي كورة فلسطينية بين الرملة وبيت المقدس. **أنظر**: ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت. 626 هـ / 1228 م)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، 1977 م)، 4/ 157.

[5]- الخضري بك، المرجع السابق، 100.

رعيتها بقدر الله؟ "[1]. وكان عبد الرحمن بن عوف ط غائبا عن المجلس، فأقبل وعالج الموقف بتذكيرهم بحديث الرسول ﷺ السالف الذكر الذي رواه البخاري، ويشير إلى عدم الدخول والخروج من الأرض الوبيئة، فحمد عمر ط الله لأ، ثم رجع بالناس إلى المدينة.

وقد كان أبو عبيدة ط من ضحايا طاعون عمواس، فخلفه عمرو بن العاص ط على قيادة الجيش الذي اختار له موضعا مرتفعا من الجبال للتخفيف من الوباء، ولما وصل خبر هذا الفعل عمر ط استحسنه.[2]

- **أبو جعفر المنصور وتخطيط مدينة بغداد:**

أدرك المسلمون منذ وقت مبكر، أثر البيئة في حياة الإنسان، وسلامته الصحية، ولم يكتفوا بذلك بل طبقوه عند تمصير المدن[3]. وتشير الروايات إلى عدم تقبل الفاتحين الإقامة في المدائن، لما اتصفت به من وخومة الجو، وانتشار الغبار، والذباب، واختيارهم لموقعي البصرة والكوفة المناسبين لصحتهم، وأحوال إبلهم بعد الحصول على موافقة الخليفة عمر بن الخطاب ط، الذي بعث لهم قائلا: "إن العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها إبلهم"[4].

ولعل ما فعله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، حين اختار موقع بغداد، لدليل علمي واضح على إعطاء العوامل البيئية أهمية كبرى في تخيّر مواقع المدن. حيث قام بعملية تقصي واسعة، عبّأ فيها خبراء، ورهبان، ومواطنين لإيجاد الموضع المناسب، بل خرج بنفسه إلى الموقع، الذي عينه أصحابه، وبات فيه ليختبر مناخه، فوجده يمتاز عن غيره من الأراضي الواقعة على دجلة بخلوه من الوباء الذي ينقله البعوض، وطيب لياليه وصفائه حتى في أشد أيام الصيف حرارة، فضلا عن وفرة المياه وخصوبة التربة. وقد أشرف المنصور على تخطيط المدينة ووضع حجر الأساس سنة 145 هـ / 762 م. وتشير

---

[1]- ابن عبد ربه، أحمد بن عمر الأندلسي (ت. 328 هـ / 939 م)، **العقد الفريد**، تح. عبد المجيد الترحيني، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988 م)، 142/3.

[2]- الخضري بك، المرجع السابق، 100.

[3]- العلواني، مصطفى، "**الإسلام والبيئة**"، مجلة التراث العربي، ع. 101، السنة 26، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، جانفي 2006 م، 133.

[4]- الخربوطلي، علي حسني، **الحضارة العربية الإسلامية**، (ط.2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994 م)، 300- 305.

الدراسات إلى أن البناء المدوّر يكون عادة أكثر تعرضا للشمس والهواء من أي بناء آخر، وهذا ينطبق على الشكل الدائري لبغداد لتكون مدينة صحية.[1]

ج. البيئة وبناء البيمارستانات[2]:

أنشأ المسلمون المستشفيات (البيمارستانات) في المشرق والمغرب، وكانت تتمتع بمواقع تتوفر فيها شروط الصحة، والجمال، وأنفقوا على بنائها، وإدارتها أموالا ضخمة، كانت تحصّل من الأوقاف. وهي إشارة إلى ما يوليه الحكام من اهتمام كبير لصحة الناس ومعالجة المرضى.

وامتدت هذه العناية اللافتة إلى طريقة تعيين مدراء المستشفيات، مثل حالة الطبيب الشهير أبي بكر الرازي (ت. 314 هـ / 926 م) الذي دخل في مسابقة لإثبات علمه، وتضلّعه بالطب مع مئة منافس للفوز بإدارة مستشفى بغداد، حيث أصبح بعدها، يشرف على فريق يتعدى أربعة وعشرين طبيبا مختصا[3].

وتُذكر قصة شهيرة عن الرازي أعطى فيها أهمية للشروط البيئية في تحديد مواقع المستشفيات، وذلك عندما استشاره عضد الدولة البويهي في اختيار موقع البيمارستان العضدي ببغداد حيث اعتمد على مدى صمود قطع اللحم ضد التفسخ، فذهب إلى نواح عدة في عاصمة الخلافة العباسية ليختبر أصحها هواء، وأطيبها جوا، إن وضع في كل مكان قطعا من اللحم، ليختار المكان الذي فسد فيه اللحم بعد مدة طويلة.[4]وهي تجربة تعبر عن المستوى العلمي الراقي الذي كان يتمتع به الأطباء المسلمون.

---

[1]- سالم، السيد عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الأول**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993 م)، 349/3- 354.

[2]- **البيمارستان:** كلمة فارسية مركبة (بيمار) بمعنى مريض و(ستان) بمعنى مكان، فهي إذن دار المرضى، ثم اختصرت فأصبحت مارستان. **أنظر:** عيسى بك، أحمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، (ط.2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981 م)، 4. البابا، مؤمن أنيس عبد الله، **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (01 – 656 هـ / 622 – 1258 م)**، (رسالة نيل شهادة الماجستير في التاريخ)، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1430 هـ / 2009 م، 13.

[3]- المبارك، هاني، وأبو خليل، شوقي، **دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية**، (ط.1، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1996 م)، 103-107.

[4]- فارس، المرجع السابق، 134.

وذكر المسعودي خبرا عن عمر بن الخطاب ط، أنه بعد نجاح الفتوحات الإسلامية في العراق، والشام، ومصر، وغيرها، كتب إلى أحد الحكماء مستوصفا بقاع المعمورة: " إنا أناس عرب، وقد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض، ونسكن البلاد والأمصار، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها، وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها ". فكانت وصفة ذلك الحكيم تتضمن مضار الحياة بالمناطق الباردة والحارة، ومنافعها بالمناطق المعتدلة، ورصد خصائص البيئة الطبيعية في عدة بلدان مثل: الشام ومصر واليمن والحجاز والمغرب والعراق وفارس والهند والصين.[1] إن استقراء تلك المواقف، التي ميّزت التاريخ الإسلامي، يؤدي إلى استنتاج أن المسلمين الأوائل، كانوا يتمتعون بفكر بيئي راق، ارتبط بعدة اعتبارات أمنية، وصحية، واقتصادية.

2. البيئة في مصادر التراث:

تناولت كتب التراث الإسلامي موضوع البيئة بشكل لافت، يوحي بأن الأمن البيئي سلوك حرصوا على الالتزام به، فأكدت على ضرورة الحفاظ على سلامة المدن من الأخطار، والروائح الكريهة والضوضاء والتلوث والمزابل والأدخنة.

أ. فساد الهواء:

لم يسلم الهواء على مر التاريخ من التلوث بدخول مواد غريبة عليه، كالغبار والغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من ثورات البراكين، أو تنتج عن حرائق الغابات، وكالأتربة والكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض، إلا أن ذلك كله لم يكن بالحجم المخيف، بل كان في وسع الإنسان أن يتفادى أخطاره، أو يتحمل آثاره. وبرزت مشكلة تلوث الهواء بشكل مزعج في العصر الراهن مع انتشار الميكنة، وتوسع النشاط الصناعي. ويعرّف تلوث الهواء بأنه وجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية في الهواء بكميات تؤدي إلى وقوع أضرار مباشرة أو غير مباشرة في الكائنات الحية أو المواد غير الحية المكونة للنظام البيئي، أو تجعل الظر ، التي تعيش فيها الكائنات الحية غير ملائمة لحياتها، أو تسبب

[1]- المسعودي، أبو الحسين بن علي (ت. 346 هـ / 957 م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تقديم محمد السويدي، سلسلة الأنيس، (الجزائر: موفم، 1989 م)،2/41- 45.

خسائر مادية[1]. ولم تكن البلاد الإسلامية في منأى عن تلك التغيرات البيئية التي أفسدت الهواء، وعرّضت حياة الإنسان إلى الخطر.

ويرى الجاحظ أن فساد الهواء لا يؤثر فقط في فساد الجسم، بل يعمل على فساد الطباع: "لا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي، فيفسد ماؤهم، وتفسد تربتهم، فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام"[2]، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المناطق ذات الحرارة والرطوبة العاليتين.

رجع ابن خلدون كثرة الوفيات إلى أسباب كثيرة، منها المجاعات والأوبئة، وفي الغالب إلى الهواء لكثرة العمران والرطوبة والعفونة، ولهذا فإنه من الحكمة، أن يباعد الإنسان بين المساكن حتى يتمكن الهواء من التموج، ليذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن[3]. كأن هذا الأخير يشير إلى ضرورة ترك فضاءات أثناء التخطيط العمراني بين المباني السكنية، تعطي انسيابية لحركة الرياح، التي تعتبر من أهم العناصر الطبيعية، التي تساعد على مكافحة التلوث.

وكشف إخوان الصفاء في رسالتهم السابعة عشرة دور الهواء في التخفيف من الضوضاء والتلوث السمعي: "أن الهواء جوهر شريف فيه فضائل كثيرة، وخواص عجيبة... كما يمنع الأصوات بسيلان بت زمانا طويلا فيقل الانتفاع بها، ويكثر الضرر منها، وذلك أن الأصوات ليست تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامع حظّها، ثم تضمحل ولو ثبتت الأصوات في الهواء زمانا طويلا، لامتلأ الهواء من الأصوات ولعظم الضرر منها، حتى لا يمكن أن يسمع ما يحتاج إليه من الكلام والأقاويل"[4]. هذا يعني أن من خصائص الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض، وأحد مكوّناتها الطبيعية القدرة على امتصاص الموجات الصوتية، وبالتالي التخفيف من حدة الضجيج الصناعي، الذي له انعكاسات سلبية على صحة الإنسان خاصة في عصرنا الحالي الذي طغت عليه الآلة، التي توسعت استخداماتها لتشمل جميع الأنشطة.

---

[1]- الفقي، المرجع السابق، 35.

[2]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. 255 هـ / 868 م)، **الحيوان**، تح. عبد السلام محمد هارون، (ط.2، مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلي وأولاده، 1966 م)، ك. 1، ج. 4، 70.

[3]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت. 808 هـ / 1406 م)، **المقدمة**، (بيروت: دار الجيل، د.ت.)، 334- 335.

4- إخوان الصفاء (عاشوا في القرن 04 هـ / 10 م)، **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**، سلسلة الأنيس، (الجزائر: موفم، 1992 م)، 2/ 155.

ب. السكن الصحي وغير الصحي:

حرص العلماء والمفكرون المسلمون بفكرهم في وضع الأسس البيئية لتصميم وبناء المساكن، فقد أخذت التهوية، وحالة الجو، ونوع التربة، وعامل السطح، ووفرة الماء في عين الاعتبار.

تكلّم ابن سينا عن أنواع المساكن تبعا للظروف الطبيعية، وتوصّل إلى الشروط الآتية: "ينبغي لمن يختار المساكن، أن يعرف تربة الأرض، وحالها في الارتفاع والانخفاض والانكشاف والاستتار، وماءها وجوهر مائها... ويعرف رياحها، هل هي الصحية الباردة، وما الذي يجاورها من البحار والبطائح والجبال والمعادن، ويتعرف حال أهل البلد في الصحة والأمراض... وجنس أغذيتهم... ثم يجب أن يجعل الكوى، والأبواب شرقية شمالية، ويكون العمدة على تمكين الرياح الشرقية من مداخلة بنية، وتمكين الشمس من الوصول إلى كل موضع فيها، فإنها هي المصلحة للهواء، ومجاورة المياه العذبة الكريمة الجارية النظيفة، التي تبرد شتاء، وتسخن صيفا، خلافا، الكامنة أمر جيد منتفع به"[1]. لقد أفاض ابن سينا الحديث عن العوامل البيئية، التي يمكن أن تؤثر في الفكر العمراني، وتضيء طريق أهل الاختصاص، مراعاة لحاجات الإنسان، وصحته.

واستوحى ابن قيم الجوزية خصائص السكن الصحي من هدي الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، الذين لم يتهافتوا على بناء المنازل العالية، والمزخرفة، والواسعة، حيث قال: "بل كانت من أحسن منازل المسافر، تقي من الحر والبرد، وتستر عن العيون، وتمنع من ولوج الدواب، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتورُ عليها الأهوية، والرياح المؤذية لارتفاعها، وليست تحت الأرض فتؤذي ساكنها، ولا في غاية الارتفاع عليها، بل وسط، وتلك أعدل المساكن وأنفعها"[2]. وهي دعوة إلى الوسطية، وتفادي التكلّف في بناء المنازل، مع ضرورة إتقانها حتى تصمد أمام الأخطار.

ا الجاحظ فذكر مواصفات بيوت البصرة في عصره، حيث حرص أصحابها على تخصيص مكان لبالوعة المرحاض، وآخر في فناء المنزل لحفر البئر والغسيل، وبناء المطبخ على السطح لتفادي

[1]- ابن سينا، أبو علي الحسين (ت. 428 هـ / 1037 م)، **القانون في الطب**، (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.)، 101/1.

[2]- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت. 751 هـ / 1349 م)، **الطب النبوي**، تح. محمد علي القطب، (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، 2005 م)، 150.

الروائح الكريهة داخل البيت. ونبّه إلى أن اتخاذ المطابخ على سطوح المنازل يشكل خطرا على ساكنيها في حالة نشوب حرائق، لأن تلك السطوح شيّدت بجذوع النخل، والقصب، والأخشاب، وعليها طبقة رقيقة من الطين. وبخصوص بالوعات المنازل، فإنّها سريعة الامتلاء، وتنظيفها يكلف عبئا ماليا[1]. وحكى موقفا لأحد البخلاء، أراد أن يقتصد المال في إفراغ بالوعة منزله، حيث كان يؤجل تنقية البالوعة إلى يوم المطر الغزير، ليؤجر رجلا واحدا فقط، يخرج ما فيها، ويصبه في الشارع، فتجرفه سيول المطر معها، فالمسافة بين بالوعته وموضع التفريغ حوالي مائة متر.[2] وتبيّن مما سبق أن الجمع بين المرحاض، والمطبخ، والبئر في مكان واحد داخل المنزل، يشكل تهديدا لصحة أصحابه، ويسهل انتقال الأمراض بينهم.

وقد لاحظ ابن خلدون أن أهل البادية أكثر صحة من أهل المدن والأمصار، الذين تنتشر بينهم الأمراض والأوبئة بكثرة، فهم أكثر حاجة إلى صناعة الطب.[3] أي بمعنى آخر أن حياة سكان المدن أكثر تعقيدا مقارنة بسكان الأرياف، فهم يمارسون عدة أنشطة مسببة للتلوث، مثل: المدابغ والمصابغ والمداخن.

[1]- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. 255 هـ / 868 م)، **البخلاء**، تح. طه الحاجري، (ط.7، القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، 82- 84.

[2]- نفسه، 113- 114.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، 460-462.

ج. المؤسسات والمرافق العامة:

فصّلت كتب التراث خاصة الحسبة[1] في موضوع البيئة، حيث حدّدت الضوابط والشروط الصحية التي يجب أن تكون عليها مؤسسات الخدمة العامة للحفاظ على صحة السكان وحماية المدينة من الأوساخ والتلوث.

أشار ابن الإخوة إلى دور المحتسبين في مراقبة الجوامع والمساجد، وأمر قوَمَتها بكنسها، وتنظيفها في كل يوم من الأوساخ، ونفض أفرشتها من الغبار، ومسح جدرانها، وغسل قناديلها، فضلا عن حمايتها من الصبيان، والمجانين، وغيرهم بغلق أبوابها عقب الصلوات.[1]

---

[1]- **الحسبة لغة**: الحسبة فعلُها حسب، ومن أسماء اللّه تعالى الحَسِيبُ هو الكافي، الحِسْبةُ مصدر احْتِسابِكَ الأَجر على اللّه، الاحْتِسابُ طَلَبُ الأَجْر، والاسم الحِسْبةُ بالكسر هو الأَجْرُ، واحْتَسَبَ فلان ابناً له إِذا ماتَ وهو كبير، أَي احْتسب الأَجرَ بصبره على مُصيبته، صامَ رمضانَ إِيماناً واحْتِساباً، أَي طلَباً لوجهِ اللّهِ تعالى وثَوابِه، الحِسْبةُ اسم من الاحْتِسابِ كالعِدّةِ من الاعْتِداد، والاحتِسابُ في الأَعمال الصالحاتِ وعند المَكْرُوهاتِ، فلان محـ البلد ولا تقل مُحْسِبُه، احتسبتُ فلانا اختبرت ما عنده، يتحسّبون الأخبار أي يتطلبونها، احتسبَ فلان على فلان أنكر عليه قبيح عمله. **أنظر**: **لسان العرب**، مج. 2، ج. 10، 863 – 868.

– **الحسبة اصطلاحا**: الحسبة هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك و يبحث عن المنكرات و يعزر و يؤدب على قدرها و يحمل الناس على المصالح العامة في المدينة. **أنظر**: ابن خلدون، **المقدمة**، 249. ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (ت. 729 هـ / 1328 م)، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تع. إبراهيم شمس الدين، (ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 م)، 3.

الحسبة أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإصلاح بين الناس. **أنظر**: الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت. 589 هـ / 1193 م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشره السيد الباز العريني، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945 م)، 6.

الحسبة هي ولاية دينية، يقوم ولي الأمر بمقتضاها، بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف، إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله. **أنظر**: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت. 450 هـ / 1058 م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح. سمير مصطفى رباب، (صيدا، بيروت:المكتبة العصرية، 2003 م)، 260– 261.

– **نشأة وظيفة الحسبة**: ختلفت نظرة الباحثين إلى نشأة الحسبة، في حين يرى البعض منهم، أنها كوظيفة، وُجدت لاستغلال سياسي، وتذكر بعض الدراسات، إلى أن وظيفة المحتسب، لم تظهر في عصر الرسول ﷺ، ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في العصر الأموي، بل ظهرت في العصر العباسي، لأغراض سياسية. وظهورها الفعلي، كان في عهد أبي جعفر المنصور، الذي أراد أن يتخلص من أبي مسلم الخراساني، حتى يصفو له الحكم، فقتله بيده عام، فقامت ثورات بقيادة فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، وكانت من أسلحة المنصور، إخراج فتاوى لقتل أتباع فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني، لأنهم زنادقة مارقون، فيقتلون بحد الردة. وكان أول ظهور للفظ المحتسب في عهد المهدي (158– 169 هـ / 774– 785 م)، وأول من عين في هذا المنصب هو "عبد الجبار" وكان يعرف بصاحب الزنادقة، لأن وظيفته كانت قائمة على القضاء على الزنادقة، من أعداء الدولة العباسية، أي أن لها توظيفا سياسيا من حيث النشأة، ثم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وشدّد ابن عبد الرؤوف على ضرورة احترام الطرق، والشوارع، وعدم رمي الأزبال، والجيف وما شابهها فيها، ومنع الصباغين من نشر مصبوغاتهم المبلولة على الطريق، واتخاذ أفرانهم على الطرق، فإنهم يؤذون المارّة بالأوساخ والدخان، فضلا عن أصحاب الصنائع الأخرى من حطابين، وفخارين، وجباسين، وخضارين، وحجامين، وغيرهم، الذين أُلزموا بآداب الصحة العامة.[2]

وأكد الشيزري على تنظيم الأسواق تنظيما يسمح بتوفير الأمن لها، ويمنع عنها الضرر، ويحقق الارتفاق بها، حيث ينبغي أن تكون الأسواق في أماكن واسعة ومرتفعة ومبلّطة، وفضّل أن تكون للصنائع المتجانسة سوق مشتركة خدمة للباعة، والمشترين، والتزاما بشروط النظافة، فمن كانت صنعتهم تحتاج إلى وقود نار، كالخبازين والطباخين والحدادين، فيستحب أن تبعد حوانيتهم عن العطارين والبزازين، وألزم أهل الأسواق بكنسها، وتنظيفها من الأوساخ والطين المجتمع.[3]

وأكّد إخوان الصفاء على التفاوت بين الصنائع في منافعها، وقارنوا بين الزبالين والعطارين: " وأما صناعة السمّادين والزبالين، فإن الضرر في تركها عظيم عام على أهل المدينة، وذلك أن العطارين الموضوع في صناعتهم مضاد للموضوع في صناعة السمّادين، لو أنهم أغلقوا دكاكينهم، وأسواقهم شهرا واحدا، لم يلحق من ذلك من الضرر لأهل المدينة، مثل ما يلحق من الضرر من ترك

بدأ الفقهاء يضعون لها الأحكام الفقهية. **أنظر:** منصور، أحمد صبحي، **الحسبة دراسة أصولية تاريخية**، (ط.1، القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، 1995 م)، 12- 13.

– صفات المحتسب وطريقة اختياره: يجب على القاضي، أن لا يعيّن محتسبا، إلا بعد إعلام الرئيس بذلك، حتى يمتلك الحجة القوية عليه، إن أراد أن يعزله أو يبقيه. ويجب أن يكون المحتسب من أهل العفة، والخير، والورع، والعلم، والغنى، والنبل، والحنكة، والفطنة، وعارفا بالأمور، لا يميل ولا يرتشي، فتسقط هيبته، ويستخف به، ولا يعبأ به، ويوبخ المسؤول الذي عينه، ولا يستعمل في ذلك خاص الناس، ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل، لأنه لا يهاب، إلا من كان له مال وحسب.

وبما أن الاحتساب أخو القضاء، فيجب أن يحتل المحتسب المكانة اللائقة بمنصبه، ويشرف القاضي الذي كان وراء تعيينه، فهو لسانه وحاجبه ووزيره وخليفته، وإن اعتذر القاضي، فهو يعوض مكانه فيما يليق به وبخطته، لذلك فمن حقه، أن يستفيد من راتب يحفظ كرامته، وعلى القاضي، فمن ذلك أن يعضده، ويحميه، ويشده، ويتضامن معه، ويقف معه أثناء أداء عمله. **أنظر:** ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت. 520 هـ / 1126 م) وآخرون، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح. ليفي بروفنسال، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955 م)، 20.

[1]– ابن الإخوة، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، 184.

[2]- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت. 424 هـ / 1032 م)، **آداب الحسبة والمحتسب**، تح. فاطمة الإدريسي، (ط.1، بيروت، دار ابن حزم، 2005 م)، 105- 110.

[3]- الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، 11- 14.

السمادين صناعتهم أسبوعا واحدا، فإن المدينة تمتلئ من السماد والسرقت والجيف والقاذورات وما يتنغص عيش أهلها من أجلها."[1]

أما أصحاب الحمّامات، فينبغي على المحتسب أن يأمرهم بغسل الحمامات، وكنسها، وتنظيفها بالماء الطاهر غير المستعمل، يفعلون ذلك عدة مرات يوميا، ويلزمهم بتدليك أرضيتها من العوالق حتى لا تنزلق أرجل الناس، ومتى برد الحمام، ينبغي على الحمامي، أن يبخّره بالخزامى، فإن دخانها يحمّي هواءه، ويطيب رائحته. ومن جراءات الوقائية منع ذوي الأمراض الجلدية مثل: المجذوم والأبرص الدخول إلى الحمام.[2]

والمحتسب مطالب بأن يأمر الخبازين برفع سقائف أفرانهم، وفتح مداخن في سقوفها، ويأمرهم بكنس بيت النار، وغسل المعاجن وتنظيفها، ومنع العجان من استعمال قدميه، وركبتيه ومرفقيه أثناء العجن، لأن ذلك مهانة للطعام، حتى لا يتساقط عرق إبطيه، وجسده في العجين، ويأمره بأن يكون مُلثَّما وعلى جبينه عصابة، وأن يزيل شعر ذراعه لئلا يسقط منه شيء في العجين.[3]

ويُمنع الخبازون من مجاورة أهل الحرف المستقذرة كباعة السردين، وسائر أنواع الحوت، والبياطرة، والحجامين، ويؤمرون بتنظيف ساحاتهم، والابتعاد عن المواضع الوسخة.[4]

لصيادلة، والعطارون فإنّهم أكثر أصحاب الصنائع تعاطيا للغش، فهم يستعملون مواد، وعقاقير مختلفة ومتنوعة، لذلك فالمحتسب مطالب يوميا بمتابعتهم، وتوجيههم، وتخويفهم بالعقوبة, والتعزير حرصا على صحة الناس، الذين يجهلون مكونات الأدوية، والعطور التي يشترونها.[5]

يستنتج مما سبق أن خطة الحسبة في التاريخ الإسلامي، خاصة عندما كانت الدولة الإسلامية بقوتها، قد ساهمت في توجيه سلوكات الناس وضبطها، وردع المفسدين برفع شعار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ولما ضعفت الدولة الإسلامية، تراجعت مكانتها بين الناس، ولم تحافظ على تلك الهيبة التي كانت تتمتع بها.

3. فقه النوازل[1] والقضايا البيئية:

[1]- إخوان الصفاء، **الرسائل**، 1/ 390- 391.
[2]- الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، 87- 88.
[3]- ابن الإخوة، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، 95.
[4]- ابن عبد الرؤوف، **آداب الحسبة والمحتسب**، 75.
[5]- الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، 42- 55.

عمل الفقهاء المسلمون في أحكامهم، على مواكبة التطور الحاصل في حركة البيئة العمرانية، فقد اعتمدوا في تناولهم لأحكام البنيان، قول الله -: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[2]، وفسّروا العرف على كونه مجموعة القواعد التي تم التدرج عليها، والتطبع بإتباعها، ولم رضها أحد، طالما أنها لا تخرج عن ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويمكن للعرف المتعلق بالعمران، أن يفهم في ثلاثة معان: الأول ويقصد به الأحكام، التي تستنبط من المسائل العامة، التي لم يرد فيها نص، كعادة أهل أية بلدة، وذلك انطلاقا من القاعدة الفقهية: "العادة محكّمة"، ومعناها: أن العادة تعتبر وتحكم، إذا كانت غالبة أو دائمة. أما الفهم الثاني، فهو ما أقرّته الشريعة من عادات مباحة شائعة بين الجيران لتحديد الأملاك والحقوق، وذلك انسجاما مع قاعدة من في يده شيء فهو ملكه، لا يحق لأحد الاعتراض عليه، ولا يكلف إثباته ببيّنة. أما المعنى الثالث،

---

[1] – **النوازل لغة:** جمع نازلة، والنازلة هي: المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، واسم فاعل من الفعل "نزل ينزل"، إذا حلّ. **أنظر: لسان العرب،** مج. 6، ج. 49، 4399 - 4401.

– معناها في الاصطلاح: تطلق النازلة في عرف حملة الشرع على المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلّب اجتهادًا، ويقصد بها كذلك الوقائع والمسائل المستجدة، والفتاوى، استنبطها المجتهدون المتأخرون، لما سئلوا عن ذلك، ولم يجدوا فيها رواية عن المتقدمين. وربما ترجع هذه التسمية إلى سببين، الأول: إما أنها أطلقت نازلة لملاحظة معنى الشدة، وذلك لما يعانيه الفقيه المفتي، من حرج في استخراج حكم النازلة، لشدة ورعه وخوفه من الخطأ، أما السبب الثاني: أنها سميت كذلك لملاحظة معنى الحلول، فهي قضية جديدة يجهل حكمها تحل بالناس. **أنظر:** الجيزاني، محمد بن حسين بن حسن، " **الاجتهاد في النوازل** "، مجلة العدل، وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية، ع. 19، السنة 05، رجب 1424 هـ، 14 – 15. وعليه يمكن أن توصف النازلة، بأنها واقعة جديدة وشديدة، وقد استنبط بعض أهل العلم، هذه الشروط من المعنى اللغوي للنازلة. واللافت للانتباه، أن الوصفين الأولين وصفان طبيعيان لمعنى النازلة، لأن المسألة التي تحتاج إلى اجتهاد شرعي في معظم الأحيان، لا بد أن تكون قد وقعت، وكانت من المسائل الجديدة، وهذا في جميع المسائل، ثم تختص النازلة بكونها شديدةً، بحيث ينشغل بها المسلمون في مجموعهم، وتستدعي موقفًا اجتهاديا شرعيا، وينتج عن ترك الاجتهاد فيها ضرر على الأمة. **أنظر:** الجيزاني، محمد بن حسين، **فقه النوازل،** دراسة تأصيلية تطبيقية، (ط.2.، الرياض: دار ابن الجوزي، 2006 م)، 1/22-25.

ويعتبر الاجتهاد في النوازل من فروض الكفاية، حيث يتعيَّن على من يجد في نفسه الكفاءة ، وبإمكانه النظر في المسائل المستجدة القيام وخاصة عندما يصعب وجود من يستطيع النظر فيها. ومن شروط الواقعة المفتى فيها، أن تكون من المسائل النازلة بالمسلمين، أما المسائل التي لم تحدث، فيكره النظر فيها وقد تحرم. أما أهمية الاجتهاد في النوازل، فتظهر في إحياء الدين وتجديده، وبيان صلاح الشريعة لكل زمان ومكان، وإيقاظ الأمة، ودعوة جادة وصريحة إلى تحكيم الشريعة في جميع جوانب الحياة، وإبراز حيوية الإسلام وتفاعله مع كل العصور. ويحتاج الاجتهاد في النوازل إلى ثلاثة ضوابط: وهي أن يكون الناظر فيها من أهل الاجتهاد، أي: أن يتصف بالإحاطة بأدلة الأحكام، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومواقع الإجماع، والخلاف، وصحيح وضعيف الحديث، والعلم بلسان العرب، والتمكن من أصول الفقه، والتفاني بغرض بلوغ الفتوى السليمة. أما الضابط الثاني، فالمفتي مطالب بأن يكون واسع الاطلاع، وفاقه للواقع، حتى ستطيع التصور التام للنازلة، وفهمها بشكل صحيح. أما الضابط الثالث، فيجب على المجتهد، أن يستند إلى دليل شرعي قوي، في إصدار حكمه. **أنظر:** الجيزاني، **الاجتهاد في النوازل،** 17- 21.

[2] – الأعراف، 199.

فيتمثل في النمط البنائي، حيث عندما يتصرف الناس في البناء بطريقة متشابهة، يبرز عندئذ عرف بنائي[1].

كما اعتمد الفقهاء في نفس الاتجاه، الحديث النبوي الشريف: ﴿**لا ضرر ولا ضرار**﴾[2]، كقاعدة لحركة العمران، ويمكن ضرب المثال التالي: وهو الضرر الذي ينعكس عن فتح نافذة، ومدى تأثير هذه العملية على العلاقة بين جارين أو أكثر. فالعلاقة بين البنايات المتجاورة ليست جامدة، بل إلى حد كبير في تحديد سلوك القاطنين بها، وما يتطلبه ذلك من ضرورة احترام الآداب العامة[3].

ويترتب عن المبدأين السابقين، الأخذ بالعرف، ودفع الضرر، حسب تقرير أحكام البناء، ظهور مبدأ أخر يسمى: "حيازة الضرر"، ويقصد به أن السابق في البناء من حقه التمتع بعدة المزايا، أهمها حيازة الضرر، وتملك الأرض، وهذا يفرض على الجيران الجدد الأخذ به، واحترامه عندما يعزمون على البناء، بينما تبقى الطرق والشوارع، ملكا للجميع، فالسيطرة عليها من حق المارة أو المستعملين لها[4].

وتبيّن لي من خلال تصفحي، للكثير من صفحات كتب النوازل، التي بين أيدينا، أنها اشتركت في ذكر نفس القضايا، التي كانت تشغل بال أهالي المغرب والأندلس في القرون الإسلامية الوسطى، حيث اعتمد الفقهاء على قاعدة دفع المضار، وجلب المصالح في إصدار فتاويهم، حماية للفرد والجماعة.

أ. أذى الطرق والشوارع والأسواق:

تعتبر الطرق والشوارع والأسواق من أكثر المرافق العامة عرضة إلى التجاوزات، وذلك لتباين مصالح الناس، الأمر الذي أدى إلى عدم احترام مبدأ دفع الضرر من أغلب الناس، حيث فضلوا عليه مبدأ الضرر خدمة لمصالحهم الخاصة، واعتدوا على رفقة الطريق، إلى أن لفت ذلك انتباه المارة، فقاموا

---

[1]- عزب، خالد محمد مصطفى، **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، سلسلة كتاب الأمة، (ط.1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، يوليو-أغسطس1997 م)، ع. 58، السنة 17، 81- 83.

[2]- **سنن ابن ماجة**، كتاب الأحكام، 106/3.

[3]- عزب، المرجع السابق، 84 - 85.

[4]- نفسه، 86 - 87.

بوقفهم. إن ظاهرة خروج الناس على الطريق كثيرة في معظم المدن، وتذكر نوازل مختلفة ذلك، فبربط العلاقة بين هذه النوازل، نستطيع التعرف على عدة أمثلة لتطور تنظيم الطريق، ونذكر هنا إلى أن بعض الناس، حوّلوا بيوتهم إلى حوانيت، بفتح أبواب إلى الشارع، ثم أقاموا في الشارع أعمدة، وسقفوا عليها. وكان القضاة يوجهون أوامر الهدم باستمرار. ولكن هناك العديد من الأماكن، لم تحترم أحكام القضاء التي أمرت بالهدم، لعدم احتجاج المارة أو الجيران، وعليه يصبح الجزء المأخوذ من الطريق حقا معتدي بالتقادم. وإذا لم تهدم، ينتقل المعتدون على حرمة الشارع، إلى الخطوة الموالية، وهي تحويل جزء من الدار إلى حانوت، وبناء أعمدة على الطريق، تجعلها بعد عدة سنين من مكونات بالدار. ويمكن الإشارة هنا إلى جملة من المعايير، اعتمد عليها بعض الفقهاء في حل النزاعات التي كانت تحدث بين السكان، وذلك شريطة انتفاء وقوع الضرر من الفعل، فمثلا: تعد الطريق واسعة، إذا زاد عرضها عن سبعة أذرع[1].

وذكر ابن سهل فتوى خاصة بطائفة الخرّازين[2] في أحد الأسواق، حينما عزموا على طرد المحتسب من سوقهم، واظهروا رغبة في الانتقام منه، لما اكتشف غشهم، حيث اصدر المفتي حكمه بعدم أحقيتهم في إيذائهم له، بل يجب على المعترضين عليه، الخروج من السوق، لتخليص الناس من غشهم، وفساد أخلاقهم، وحماية أموال المسلمين منهم[3].

وعرضت مسألة أخرى عن طين الأسواق والأحياء السكنية، هل أصحابها ملزمون بإزالته عن المياه القذرة، التي تخرج من الآبار، لأن ذلك يضر المارة، فكان الجواب ضرورة إزالة الطين، إذا كانت هناك مصلحة، ويمنع إجراء المياه النجسة في الطرق، فذلك يعد إثما[4].

---

[1]- أكبر، جميل عبد القادر، **عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية**، (ط.3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998 م)، 260.

[2]- **الخَرَّازون**: مفردها الخَرَّاز، الخَرْزُ: خياطة الأدَم، خرز الخف، يخرِزه ، يخرُزه خرزا، والخَرَّاز: صانع الخُفِّ والأحذية، وحرفته الخِرَازة. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 2، ج. 13، 1130.

[3]- ابن سهل، أبو الإصبغ عيسى (ت. 486 هـ / 1093 م)، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، تح. يحي مراد، (القاهرة: دار الحديث، 2007 م)، 600.

[4]- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي (ت.914 هـ / 1508 م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح. محمد حجي وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981 م)، 69/9.

وسئل أحد الفقهاء عن منزل، يقع في شارع يسلك من الشرق إلى الغرب، ويوجد في الجهة المقابلة للمنزل مسجد، فعزم صاحب الدار على بناء مرحاض، وأراد توسعته على حساب الشارع بقدر ذراع ونصف. فكان جوابه أن هذه المسافة ليست ضارة، ولا حرج في هذه السعة، ولا تعيق حركة الناس. وذكر صاحب المعيار قصة بعض الناس، كانوا يسكنون فوق حوانيت لدق النوى في السوق، انزعجوا من ذلك العمل، وتبيّن أن أصحاب الحوانيت، يمارسون هذا النشاط منذ عشر سنوات، وقد سبق وأن اخرجوا من السوق، ثم رجعوا إليه، ولما استفتي أحد الفقهاء، رأى ضرورة إخراجهم، إلى مكان لا يضر بالناس[1]. وعليه فإن هذه الفتوى تدخل ضمن قاعدة دفع الضرر، فالسكان من حقهم التمتع بكل ظروف الإقامة، بما أن هؤلاء التجار سبق وأن طردوا من السوق نتيجة الأذى الذي تتسبب فيه هذه الحرفة.

ب. أضرار الدخان والرائحة والضوضاء[2]:

ويقسّم الفقهاء المالكيون الضرر إلى نوعين، ضرر قائم، وضرر مستجد، أما الأول، فيصنف إلى أضرار ناتجة عن أنشطة استقرت في المنطقة، قبل غيرها من المنشآت، ويجمع الفقهاء على إبقائها لأحقيتها على غيرها، بما أنها ضرر دخل عليه، وأضرار أخرى ناتجة عن أنشطة، بدأت بعد استقرار الجيرة المحيطة بها، ومضى عليها وقت طويل، قبل أن يشكو منها أهل المنطقة، وتحكم هذه الحالة بقاعدتين، القاعدة الأولى: هي وقف الأنشطة في حال الإتلاف والضرر الشديد، مثل دخان نار الحمامات، وغبار الطواحين، ورائحة الدباغة. أما القاعدة الثانية: فتقضي بالإبقاء على النشاط، إن كان ضرره ضئيلاً، ويمكن التكيّف معه، مثل دخان المخابز أو مطابخ البيوت.

ويوضح المثالان التاليان، أسلوب تطبيق الأحكام السابقة، حيث سئل ابن القاسم (ت. 191 هـ / 708 م) عن أحقية جيران أحد الأفراد، أراد أن يبني حماماً، وفرناً، وطاحوناً فوق أرض فضاء، أن يمنعوه من إقامتها، فأفاد القاضي بحقهم في ذلك، طالما أنه يسبب لهم ضرراً بليغاً طبقاً لأحكام الإمام مالك، الذي أوصى بمنع الأذى عن الجيران، كما سئل أيضاً عن حداد، أراد أن يبني كيراً، وفرناً لصهر الذهب والفضة، أو يبني طاحوناً، أو يحفر بئراً، أو مرحاضاً قرب حائط الجيران،

---

[1]- الونشريسي، **المعيار**، 445/8، 457.

[2]- **الضَوْضَاء**: ضوضَأ ضوضَأة: صاح، وجلَّب، ويقال: ضوضأ القوم: صاحوا، واختلطت أصواتهم في الجدال، أو النزاع، ونحوه، والضوضاء أو الضوضى: أصوات الناس المزعجة. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 546.

فأفتى أن من حق جيرانه منعه، لما يسببه لهم من ضرر، أما عن الأدخنة المنبعثة من المخابز والأفران، بأنه لم يسمع من مالك ما يخص هذه الحالات، ولكنه يعتبره ضرراً بسيطاً.

ومن هنا نشير إلى أن الفقهاء اهتموا بمسببات الضرر، خاصة المرتبطة بالدخان، والرائحة الكريهة، والأصوات المزعجة. وقد انعكس ذلك فيما بعد بشكل مباشر على العمارة الإسلامية، حيث تم نقل عدة أنواع من المنشآت الصناعية التي تسبب أضرارا إلى أطراف المدينة الإسلامية[1].

وطرق ابن سهل مسألة ضرر الدخان، فإضافة إلى التلوث الهوائي الذي يحدثه، بيّن أن وجود فرن قرب أحد المنازل، يؤدي إلى الحط من سعر ذلك المنزل عند بيعه، إذ لا يرغب الكثير من الناس في شرائه. وأشار إلى أن الضرر الذي يمكن أن يحدثه الإنسان في ملكه درجات، منه المجمع على منعه وإزالته، ومنه المختلف حوله، وهو الضرر الذي لا يؤثر في حائط، وبناء، واكتشاف الجيران، كضرر صوت الرحى، ومنه ما لا يجب منعه باتفاق الفقهاء المالكيين، وهو ضرر ارتفاع البنيان، ومنع الشمس، وهبوب الرياح، أما إذا كان القصد الإضرار بالجار، فيجبر صاحبه على عدم القيام بذلك، أو إزالته[2].

وفي موضع آخر أكد على ضرورة الابتعاد عن كل ما يهدد أمن، وراحة، وصحة الجيران وغيرهم، أي كل شيء لا يستطاع الاحتراس منه، مثل البهائم الضارة، فهي تهلك الشجر، والزرع، وتؤذي الصبيان[3].

ومن كتب الفقه التي اهتمت بأحكام منع الضرر الناتج عن المباني، كتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، الذي أوضح أن الضرر، يتأتى من الدخان، والرائحة، والضوضاء، وسوء استعمال الطريق، والنظر من الكوى، والأبواب. أما الضرر الذي مصدره من الدخان، فينقسم إلى قسمين: الأول، دخان التنّور، والمطابخ، وهذا لا يُمنع لعدم إمكانية الاستغناء عن مسبباته، وهي عملية الطبخ، والثاني، دخان الحمامات، والأفران، وهذا يمنع، لأنه يتسبب في إلحاق الضرر بالسكان لمحاورين لمصدر الدخان، ولهذا يجب أن تكون الحمامات، والأفران، خارج المناطق السكنية لتفادي

[1]- الهذلول، صالح بن علي، " **التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة الإسلامية** "، المنهل، دارة المنهل للصحافة والنشر جدة، ع. 519، م. 56، أكتوبر- نوفمبر 1994م ، 77- 80.

[2]- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، 658.

[3]- نفسه، 669.

إحداث الضرر. وكذلك الأمر بالنسبة للرائحة، فيمنع إحداث مدابغ الجلود داخل التجمعات السكانية، نظراً لما تسببه من روائح كريهة[1].

وينطبق ذلك على مصدر الضجيج الصناعي وهو الضوضاء، فلا يجوز ممارسة أعمال داخل الدور تسبب إزعاجا كبيرا للجيران، وربما أيضا تنتج عنها اهتزازات، تؤدي إلى انهيار الدور المجاورة. وبما أن الأصل في الأشياء الإباحة، فإن صاحب البيت له الحرية الكاملة في نصب ما شاء من الصناعات، ما لم يؤذ جاره بالأصوات المزعجة، لذلك فكل من يريد أن يقيم نشاطا في بيته، مثل: الحدادة والرحى، مطالب بأن يتجنب ضرر الأصوات، بتقدير مسافة التباعد عن حائط الجار بثمانية أشبار، فإن كانت رحى تكون من حد دوران الحيوان الذي يديرها إلى جدار الجار، ويشغل ذلك الفراغ ببناء غرفة، أو مخزن، وذلك للحيلولة دون وصول الأصوات المزعجة إلى بيت جاره[2].

واهتدى أحد الفقهاء إلى طريقة يتبيّن ا حالة جدران الجار أثناء تشغيل الرحى، ودرجة الاهتزازات الضارة، والأصوات المزعجة، وأشار بها على ابن الرامي عندما نقل إليه مسألة مرتبطة بهذا الموضوع، وتمثلت التجربة في: " أن تأخذ طبقا من كاغط وتربط أركانه بأربعة أخياط، في كل ركن خيط، وتجمع أطراف الأخياط، وعلقه من السقف الذي على الحائط الفاصل بين الدار وبين الرحى من جهة الدار، وتعمل على الكاغط حبّات من كزبر (جلجلان) يابس، وتقول لصاحب الرحى: هز رحاك، فإن اهتز الكزبر على الكاغط، قيل لصاحب الرحى: اقلع رحاك لأنها تضر بالجار، وإن كان لا يهتز الكزبر على الكاغط، قيل لصاحب الدار: أترك صاحب الرحى يخدم رحاته، لأنها لا تضرك." واحتاط لذلك في حالة عدم وجود خشب في الحائط الفاصل، طلب منه استخدام قصبة غليظة وتثبت في الجدار من جهة دار الجار بمسافة نصف شبر، ثم يعمل بنفس التجربة[3].

وجاءت أحد الفقهاء مسألة عن مسجد قديم خرب، توجد قربه مجموعة من الدور فحوّلها صاحبها للدبغ، وبعد مدة تدخل محتسب، ومنع ذلك، فتم نقل المدابغ إلى خارج المدينة، ثم أراد أهل تلك الدور، إعادة فتحها للدباغة من جديد، فمنعهم أهل المسجد، بحجة أنها مصدر

[1]- ابن الرامي البناء، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي (ت. 734 هـ / 1334 م)، **الإعلان بأحكام البنيان**، تح. فريد بن سليمان، (تونس: مركز النشر الجامعي، 1999 م)، 59-61.

[2]- نفسه، 62- 63.

[3]- نفسه، 64.

للروائح الكريهة، والقاذورات، وكان الجواب على السؤال هو منع فتح هذه المدابغ مرة أخرى، ما دامت مؤذية برائحتها لأهل المسجد، علما أن هذه المدابغ يجب غلقها، حتى و لو طال أمد عمارتها، فلا حيازة على الأحباس، كاقتطاع الطرق وغيرها من المرافق. واستفتِي أحدهم عن شخص، يصنع الخل في بيته، فتذمر الجيران من رائحته الكريهة وإيذائه للجدران، فطلب رأي أهل الطب وأهل البناء، ولما أجمع أصحاب الاختصاص والخبرة، على أن الخل مضر لصحة الإنسان، وخطر على البناء، فرأى بذلك المنع، من أجلهم ومن أجل الجدران[1].

وسئل أحد الفقهاء عن شخص يدق النوى بداره لأبقاره، التي يؤويها شتاء بالمنزل، فسبّبت عملية الدق ضررا لجاره، فكان رأيه منع العملية، لأنها تضر بالبناء، وتزعج الجيران بسماع الضرب، وأجازها لأوقات، إلا أن تكرارها يوجب المنع[2]. يستنتج من مجموعة الفتاوى السابقة الذكر، أن فقهاء المسلمين القدامى، قد وقفوا من موضوع التلوث بجميع أنواعه موقفاً طيباً، يدل على وعي كبير بأهمية المحافظة على البيئة من الملوثات المختلفة، التي تؤثر في صحة الإنسان، وتتسبب في هلاك الزرع والنسل.

وهي كلها مواقف، تدل على نظرة الإسلام العميقة، والواسعة إلى البيئة، حيث طالب الإنسان، بأن يتعامل مع البيئة من منطلق، أنها ملكية عامة، يجب المحافظة عليها، وحمايتها من الآفات، فهي تحتاج إلى إدارة رشيدة، تستطيع استثمار مواردها بحكمة، ما دامت الحياة مستمرة، واعتبارها من المكتسبات الدائمة للإنسانية. وتبقى تلك المواقف المسجلة عبر العصور مجرد توجيهات نظرية، إذا لم يفهمها الإنسان كفرد وجماعة بوعي ومسؤولية، ويسعى إلى تطبيقها، قبل أن تتدخل الجهات الرقابية التي تمتلك أدوات الردع.

[1]- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841 هـ / 1438 م)، **فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تح. محمد الحبيب الهيلة، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002 م)، 388/4- 389.

[2]- الونشريسي، **المعيار**، 445/8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: التعريف بمدينة عنابة:

أولا: أصل التسمية وتطورها:

من البديهي أن الأسماء الجغرافية أطلقت على مسمياتها لأسباب معروفة في حينها، وإن نسيت لاحقا، حتى صارت في العصور الموالية مجهولة، لاسيما أنها لم تصلنا وثائق مكتوبة في الحاضر، وهناك عدة أسباب تقف وراء إطلاق الأسماء الجغرافية، منها صفات المكان، أو لأسباب دينية، أو نسبة لأشخاص، أو شعوب، أو حضارات، أو حوادث معينة[1].

وقد يطرأ تغيرٌ في لفظ، وكتابة بعض الأسماء الجغرافية مع مرور الزمن، أو نتيجة الظروف التاريخية، والحضارية، واللغوية التي تمر بها المنطقة، ونظرا للقيمة التاريخية، والحضارية للاسم الجغرافي، وعلاقته بالهوية، وارتباطه بالملكية الفردية، فإن تغييره، يجب أن لا يتم إلا في أضيق الحدود، وللضرورة الملحة. وقديما كان يتم تغيير الأسماء الجغرافية من قبل الدول المتعاقبة، خاصة الغازية، من أجل إثبات الوجود، والهيمنة، مثل بعض مدن الشام، التي أطلقت عليها أسماء إغريقية أو رومانية، وبعد زوال الاحتلال، عادت لها أسماؤها الأصلية: بيسان–سيثوبولس، عمَّان– فيلادلفيا، عكا–بطليموس، حماة–أبيغانيا[2].

ويمكن أن تنطبق هذه المقاربة على اسم مدينة عنابة، التي لم ينقطع عنها العمران البشري منذ فجر التاريخ، فإضافة إلى السكان الأصليين، تداولت عليها عدة قوى سياسية، وحضارية، وهي الفينيقية والقرطاجية، والنوميدية، والرومانية، والوندالية، والبيزنطية، والإسلامية بمختلف كياناتها' فضلا عن البيزيين، والجنويين، والنورمانديين، والإسبان، والعثمانيين[3].

وقد نال اسمها اهتماما كبيرا من قبل المؤرخين والجغرافيين. فهناك من يرى أن الفينيقيين أطلقوا عليها اسم "هبو"، وهذه اللفظة يرجح أنها كلمة سامية فينيقية معناها: "الأبّ"، والتي تعني المرعى في

---

[1]- الزقرطي، إبراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، (عمّان: المركز الجغرافي الملكي الأردني، 1997 م)، 37- 43.

[2]- نفسه، 42.

[3] - THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, the international union of reprint, (Leiden: Brill ,1986), V1, 511 – 512.

دحماني، سعيد، من هيبون– بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري، (ط.1، عنابة: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 2007م)، 19-74.

ة، أي ما يأكله الناس، والأنعام، ومنها جاء الأبّان، بمعنى أبان الفاكهة، وهو أوانها، ووقتها، وقالوا بأن النون فيه زائدة، كما زيدت في "ندمان"، فلم يبق حينئذ إلا "الأب"،ومن المحتمل أن تكون تسمية المدينة هكذا "هِبو" أو "إِبو" أنها تدل على خصوبة تربتها وخفض في العيش[1].

ويعتقد الرحالة الألماني فون مالتسان، أن الفينيقيين أطلقوا عليها اسم "أوبو Ubo" (Ubus)، الذي أشتق من كلمة "إيبّو Ipu"، التي معناها "الجمال" و"الفخامة". فهيبو إذن تعني المدينة الفاخرة[2].

ويرى البعض أن اسم "هيبو"، مشتق من الكلمة الفينيقية "Ubbon" التي تعني خليجا أو ملجأ، وهذا التفسير ينسجم مع واقع موقع بونة، وتسميتها. كما أن بعضهم قال: أن أوبون الفينيقية، ترجمها اليونانيون بـ "أكرا– Akra" أي الرأس، وهذا المعنى يتلاءم بدوره مع طبيعة المكان الذي أطلقت عليه هذه التسمية، وهو "هيبو أكرا" قرب رأس غارد (رأس الحراسة). بينما ربط فريق آخر بين أوبون والجذر العبري "بايه أو يافه – Iafeh" ويعني: جميل، ومنه اسم يافا المدينة الفلسطينية، وقد يعني ذلك الجذر أيضا: حصنا، أو مرصدا للمراقبة[3]. وهذا أمر غير مستبعد، فالمدينتان ترتبطان بثقافة فينيقية مشتركة.

آخرون بأن الفينيقيين أطلقوا اسم "هبون" على الميناء أو القلعة التي انتصبوا بها بين القرنين 12 – 06 ق.م.، وهي قريبة جدا من الكلمة الفينيقية "عبون" ومعناها الخليج أو الجون[4]. وقد

---

[1]- الجيلالي، عبد الرحمن، **" حول مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة "**، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 34 / 35، يونيو – يوليو 1976 م، 192 - 193.

[2]– فون مالتسان، هاينريش، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر. أبي العيد دودو، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979 م)، 235/2.

[3]- الصباغ، ليلى، " **عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة الخامسة، يونيو – يوليو 1976 م، 129.

[4]– **الجُون**: جمعه أجوان، ويعني الخليج الصغير. **أنظر**: **المنجد في اللغة والأعلام**، (ط.39، بيروت: دار المشرق، المكتبة الشرقية، 2002م)، 111.

تطور إلى "هبو" و"هبون" وأصل كلمة "عبون" هو نفس أصل الكلمة العربية عَبّ[1]، وعُباب، أي الماء المتدفق[2].

وأيّد هذا الرأي الرحالة الانجليزي "شو" في القرن 12 هـ / 18 م، بأن هيبون آتية من "هيبو Hippo" أو "هيبون Hippona"[3]، التي إذا ما ربطت باللفظ العربي، أخذت معنى المستنقع المائي. ولعله يقصد كلمة العبب، ويعب، والعباب، وتعني المياه المتدفقة. وذلك لأنه رأى أن انحدار المنطقة ة لهيبو، وغمْر المياه الدائم للأرض، يجعل ذلك التفسير معقولا، ومؤيدا للواقع[4]. ويمكن أن "أوبون" كانت الاسم الشائع الاستعمال قبل التواجد الروماني، وأن التحريف داخله فيما بعد على لسان الإغريق، واللاّتين، فأصبح "هيبو Hippo". واحتلت المدينة مكانة مرموقة عند النوميديين، الذين لقبوها بـ "ريجيوس Régius" أي الملكية، فاكتسبت اسما جديدا "هيبو ريجيوس"، وذلك في عهد الملك مسيبسا (148 – 118 ق.م.).[5] يعد هذا التغير منطقي، بفعل تعاقب الحضارات التي اختلفت في اللغة واللسان، الأمر الذي يتطلب حذف حرف أو بعض الحروف، أو استبدالها بأخرى، ليستقيم النطق مع اللسان.

أخذت عنابة بعد اعتناق أهلها الإسلام اسما جديدا وهو "بونة". فيعتقد أنه تعريب لـ "هيبو"، حيث عُرف عن العرب، أنهم كانوا يعرّبون الكلمات المستعجمة في كل بلد فتحوه؛ وقيل أن الاسم اشتق من الكلمة اللاتينية "بونا Bona"، وهي اختصار لكلمة "هيبو"[6]؛ وهو رأي دعم ما ذهب إليه

---

[1]- **العَبُّ**: شرب الماء، أو الجرع، أو تتابعه، و**العُباب**: معظم السيل، وارتفاعه، وكثرته، أو موجه. **أنظر**: فيروزابادي، **القاموس المحيط**، 99/1. **المعجم الوسيط**، 579.

[2]– دحماني، المرجع السابق، 44.

[3]- Shaw (Th), **Voyage Dans La Regence D' Alger**, Traduit J. MAC CARTHY (Paris: Marlin, 1830), 337–339.

[4]- الصباغ، المرجع السابق، 130.

[5]– شنيتي، محمد بشير، " **هيبون القديمة** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو – يوليو 1976 م، 28، 30–31.

[6]- جندلي، محمد بن إبراهيم، **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا**، (ط.1، عنابة: مطبعة المعارف،2007 م)،1/ 68 – 69.

المراكشي، فقال: أن لفظة بونة بلسان الإفرنج تعني جيدة[1]؛ واتفق معه كربخال الذي ذكر أن المسيحيين كانوا يسمونها بون أي الجيدة[2].

منذ منتصف القرن 08 هـ / 14 م أخذ اسم بونة الحديثة يتلاشى عن ألسن عامة الناس، بعد أن صارت المدينة تعرف ببلد العُنَّاب، نسبة لهذا النبات الطبيعي، الذي ينمو تلقائيا بالجهات القريبة من المدينة[3]؛ حيث ذكرها صاحب مسالك الأبصار عند سرده لمدن إفريقية: ".. وبلد العُنَّاب وهي: بونة"[4].

أما القلقشندي، فأشار إليها على هذا النحو: "ومنها بونة ... وهي المسماة الآن بلد العُنَّاب"[5]. وجاء ذكرها أيضا في الروض المعطار: "وتسمى بونة بلد العُنَّاب لكثرة العناب فيها "[6]. وثبّت الحسن الوزان (ليون الإفريقي) اسمها الحالي " عنابة ": " بونة أو عنابة، مدينة عتيقة... وهي مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العُنّاب لكثرته في ذلك المكان، يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء "[7].

وهكذا لم ينته القرن 09 هـ / 15 م حتى اكتسبت المدينة تسميتها الحالية، التي ظلت تعرف بها حتى اليوم وهي "عنابة". ولم يرد لفظ بونة إلا في المصنفات التاريخية، والكتب الجغرافية، رغم تمسك الفرنسيين أثناء الاحتلال بالتسمية اللاتينية وهي: "Bône". وبذلك تدخل مدينة عنابة مرحلة

---

[1]- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت. 647 هـ / 1249 م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (ليدن: مطبعة بريل، 1881 م)، 256.

[2]– كربخال، مارمول (عاش في القرن 10 هـ / 16 م)، **إفريقيا**، تر. محمد حجي وآخرين، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1988– 1989 م)، 08/3.

[3]- سعيدوني، ناصر الدين، **" الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو – يوليو 1976 م، 87.

[4]– العمري، شهاب الدين احمد بن يحي ابن فضل الله (ت. 749 هـ / 1348 م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح. حمزة أحمد عباس ، (ط.1، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002 م)، 143/4.

[5]- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت.821 هـ / 1418 م)، **صبح الأعشى**، (القاهرة: دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، 1915 م)، 106/5.

[6]- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. 900 هـ / 1494 م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، (ط.2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984 م)، 115.

[7]– الوزان، الحسن بن محمد (ت. بعد 957 هـ / 1550 م)، **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، (ط.2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983 م)، 61/2.

جديدة من تاريخها الطويل، تحت الحكم التركي (العثماني)، وقد وجدت المكان الطبيعي الملائم لنموها، وتطورها[1].

وقد تكون هذه التسمية الجديدة، قد أطلقها العرب الوافدون على المنطقة قرب عنابة لكثرة ما رأوه من شجيرات العُنَّاب في إقليمها، ثم لم تلبث أن انسحبت على المدينة نفسها، التي يبدو أنه كان لها تجارة واسعة بهذه المادة. فكثير من العرب قد استوطن تلك الجهات، والمدينة نفسها، خاصة قبيلة مرداس من بني هلال[2]، والكعوب وعوف من بني سليم[3] هذا مع العلم أن سكانها قبل الهجرة الهلالية السليمية، كانوا من كتامة[4]، ومن قبائل كثيرة من البربر[5].

وما يمكن ملاحظته من خلال التسميات، التي أُطلقت على مدينة بونة (عنابة)، أن الذين أطلقوها، لم يجانبهم الصواب، فكلها صفات للمدينة، أكسبتها المناظر الخلابة، والحسن، والجمال، حيث احتلت موضعا مكانيا، يحيط به الجبل، والغابة، والبحر، والخليج، والمياه الجارية، والسهل، والمرعى، كلها عوامل تساعد على الاستقرار، والنماء.

ثانيا: تأسيس المدينة وتطورها التاريخي:

تعددت الفرضيات حول تأسيس مدينة هيبو، والذين أسسوها، يعود ذلك إلى ندرة المصادر المادية، والمكتوبة التي يفتقر إليها تاريخ شمال إفريقيا ما قبل القرن 05 ق.م. عموما وهيبو خصوصا،

---

[1]- سعيدوني، المرجع السابق، 87.

[2]- **بنو هلال**: هم قبيلة عربية، تنسب إلى هلال بن عامر بن صعصعة، كانت تقطن في وسط غربي شبه الجزيرة العربية، شاركت في الفتوحات الإسلامية، لها تواجد واسع في بلاد المغرب. **أنظر**: خالدي، عبد الحميد، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003 م)، 7- 47،48.

[3]- **بنو سُلَيْم**: هم قبيلة عربية، كانت تقيم في الجاهلية، وصدر الإسلام بعالية نجد بالقرب من وادي خيبر، ينتسبون إلى سُليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان، نزحوا إلى أرض المغرب مع الهلاليين في القرن 05 هـ / 11 م في العهد الفاطمي. **أنظر**: خالدي، المرجع نفسه، 59.

[4]- **كتامة**: قبيلة بربرية كبيرة، كانت تقطن الساحل الجزائري، من بونة إلى بجاية، متوغلة في الداخل، إلى حدود الأوراس. في حوالي القرن 10 هـ / 16 م، امتزجت بمصمودة. **أنظر**: الميلي، مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح محمد الميلي، (ط.3، الجزائر، بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، 1989 م)،1/ 100-101.

[5]- الصباغ، المرجع السابق، 128- 129.

حيث هناك من يذهب إلى القول، بأن هيبو أسسها القرطاجيون[1]، وقد استند هذا الرأي إلى الفترة، التي سيطرت فيها قرطاجة، على المستوطنات الفينيقية، بالسواحل الإفريقية ابتداء من القرن 06 ق.م.

1. العصر القديم:

تدخل هيبو ضمن المحطات البحرية، التي أنشأها الفينيقيون[2] على شواطئ شمال إفريقيا ابتداء من القرن 12 ق.م.، ثم تطورت بفعل مواردها الاقتصادية الهامة، فأصبحت مركزا تجاريا ممتازا، ما لبث أن اتسع، وصار مدينة شاسعة الأرجاء. وقد ظلت المدينة تابعة للقرطاجيين حتى الحرب البونية[3] ثانية، ويعتقد أنها تعرضت إلى محاولة فتح من الملك النوميدي غايا (ت. 206 ق.م.) والد ماسينيسا (ت. 149 ق.م.)، كما استهدفتها حملة رومانية عام 206 ق.م.، فنالت منها الكثير. ومنذ معركة زاما[4] الشهيرة عام 202 ق.م.، التي هُزمت فيها جيوش حنبعل القرطاجي أمام جيوش القائد الروماني سيبيون "Scipion" الإفريقي، أصبحت هيبو تابعة لمملكة ماسينيسا النوميدية الموحدة، باعتراف مجلس الشيوخ الروماني، عملا باتفاق بينه، وبين القائد سيبيون، الذي تم سابقا بأسبانيا عام 206 ق.م.[5].

---

[1]- **القرطاجيون**: شعب قديم، ينسب إلى مدينة قرطاجة التي أسسها الفينيقيون بشمال إفريقيا سنة 814 ق.م. **أنظر**: خير الله، شوقي، **قرطاجة العروبة الأولى في المغرب**، (ط.1، د.م.: مركز الدراسات العلمية/ المركز العلمي، 1992 م)، 49.

[2]- **الفنيقيون**: شعب كنعاني، استقر بسواحل لبنان في الألف الثاني قبل الميلاد، احترف ركوب البحر بين القرنين 13 – 09 ق.م.، أطلق عليهم الإغريق تسمية "phoeniki"، التي تعني الرجال الحمر، حيث إليهم يرجع ابتكار الصباغ الأحمر الأرجواني. **أنظر**: مازيل، جان ، **تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)**، تر. ربا الخش، (ط.1، اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 1998 م)، 31.

[3]- **الحروب البونية**: ثلاث حروب شهيرة وقعت بين روما وقرطاجة، الأولى (264– 242 ق.م.)، والثانية (218– 201 ق.م.)، والثالثة (151– 146 ق.م.). **أنظر**: السعدني، محمود إبراهيم، **حضارة الرومان** منذ نشأة روما وحتى نهاية القرن الأول الميلادي)، (ط.1، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998 م)، 93.

[4]- **زاما**: مدينة نوميدية، تقع قرب مدينة الكاف التونسية. **أنظر**: فركوس، صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر**، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م.– 1962 م)، (عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003 م)، 18. **Nouveau petit Larousse**, op. cit.,1791.

[5]- شنيتي، المرجع السابق، 28 – 31.

ويعتقد "شو Shaw" أن هيبو هي "أفروديسيوم كولونيا – Aphrodisium Colonia"، التي ذكرها بطليموس[1]، نسبة للإلهة أفروديت (فينوس الرومانية)[2]. ولما تورط النوميديون[3] في الصراعات الداخلية الرومانية، كلفهم ذلك احتلال روماني لمملكتهم، حيث فرض سيطرته على هيبو ريجيوس عام 46 ق.م.، وجعلها عاصمة للولاية الإفريقية الجديدة "Africa Nova"، ونتيجة لدور هيبو الهام في ازدهار اقتصاد روما، كافأها الرومان[4]، وصنّفوها بلدية "Municipium"، ثم تمت ترقيتها إلى مستعمرة "Colonia"[5]. وهكذا تؤكد هذه الحظوة، الأهمية الإستراتيجية العسكرية، والاقتصادية للمدينة، لدى الرومان في شمال إفريقيا.

عرفت هيبون الديانة المسيحية في بداية القرن 03 م، ويعتبر القديس أوغسطين (354 - 430م) من رموزها، حيث كان أسقفا لكنيستها، وقام بعمل كبير في نشر المسيحية، والدفاع عنها[6]، وفي عهده عقدت في المدينة عدة مجامع مسيحية في سنوات (393 م، 395 م، 426 م)، ولم يمنعه الواجب

[1]- Shaw, op.cit., 338.

[2]- فون مالتسان، المرجع السابق، 235.

[3]- **النوميديون**: شعب أمازيغي قديم، ينسبون إلى نوميديا التي كانت تمتد من الحدود القرطاجية شرقا إلى وادي ملوية غربا، وعرفت مملكتين، مملكة صيفاقس الغربية، ومملكة ماسينيسا الشرقية، كانتا في حدود القرن 03 ق.م. تشكلان مملكة موحدة، انقسمتا في ظروف غامضة. **أنظر**: حارش، محمد الهادي، **التاريخ المغاربي القديم**، السياسي، والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995 م)، 97- 101.

[4]- **الرومان**: شعب قديم، ينسب إلى مدينة روما، التي أسسها شعب اللاتين عام 753 ق.م. على نهر التيبر بإقليم لاتيوم، الذي استقروا به حتى القرن 07 ق.م.، وقد أطلقت شعوب إيطاليا القديمة على دولتهم الرومانية اسم روما، كاعتراف لدورها الحضاري، والسياسي القديم. وتاريخ روما السياسي، يبدأ بقيام النظام الجمهوري عام 509 ق.م. على أنقاض النظام الملكي، الذي يجهل تاريخ بدايته، ومنذ عام 30 ق.م. حلّ النظام الإمبراطوري محل الجمهورية. **أنظر**: السعدني، المرجع السابق، 55- 75، 119.

[5]- شنيتي، المرجع السابق، 33 - 34.

[6] - Derdour, H'sen, **ANNABA 25 siècles de vie quotidienne et de luttes**, (2ème éd, Batna: imprimerie, A. Guerfi, S.D.) T.1, 89 - 98.

الديني من أداء دور سياسي، حيث تقدم أهل المدينة، في مقاومة الوندال[1] مدة 14 شهرا، إلى أن توفي أثناء الحصار[2].

سقطت هيبو في يد الوندال عام 431 م، وبقيت عاصمة لهم حتى عام 439 م، حيث احتلوا قرطاج، و نقلوا إليها عاصمتهم. وبعد الوندال أصبحت هيبو ريجيوس من أملاك البيزنطيين في عام 533 م[3]. واشتهرت المدينة منذ أواخر القرن 04 م بأسقفيتها، التي ارتبطت باسم أسقفها حتى بعد مضي قرون من الفتوحات الإسلامية[4]، فقد عرّفها البكري في القرن 05 هـ / 11 م كما يلي: "ومدينة بونة أولية، وهي مدينة أقشتين (أوغسطين) العالم بدين النصرانية..."[5]. لقد أثبت الأسقف أوغسطين قوة شخصيته، وإخلاصه في الذود عن عقيدته، ووطنه ضد الأعداء، ليكون بذلك قدوة للأجيال اللاحقة.

2. العصر الإسلامي:

تضاربت الآراء حول التاريخ، الذي وصل فيه الإسلام إلى المدينة، فحسن الوزان (ليون الإفريقي) يعتقد، أنها فتحت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ط ثالث الخلفاء الراشدين[6]، وهناك من ذهب إلى أن جيش الفتح الإسلامي، قد أخضعها بإمرة الفاتح حسان بن النعمان ا عام 78 هـ / 697 م،[7] واستند في ذلك إلى رواية ابن الأثير، التي أشارت إلى انتصارات حسان، والذعر الشديد

---

[1]- **الوندال**: قبائل جرمانية، اشتهرت ببربريتها، ووحشيتها، تركت منطقة البلطيق، واستقرت في ناحية نهر الراين، ثم انتقلت إلى اسبانيا عبر بلاد الغال، واستولت على جزر البليار، وفي عام 428 م وجه ملكهم الجديد جنسريق اهتمامه إلى شمال إفريقيا التي غزاها في عام 429 م. **أنظر**: قدّاش، محفوظ، **الجزائر في العصور القديمة**، تر. صالح عبّاد، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993 م)، 283.

[2]- الجيلالي، عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، (ط. 2، الجزائر، بيروت: مكتبة الشركة الجزائرية، دار مكتبة الحياة، 1965 م)،1/ 120.

[3]- دحماني، المرجع السابق، 56 -57.

[4]- البوعبدلي، المهدي، " **جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو - يوليو 1976 م، 207.

[5]- البكري، أبو عبيد الله (ت. 487 هـ / 1094 م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، د.ت.)، 54.

[6]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2.

[7]- الجيلالي، **حول مسجد سيدي بومروان**، 194. البوعبدلي، المرجع السابق،207. الصباغ، المرجع السابق، 130.

الذي عمّ أهل إفريقية، ولجوء المنهزمين من الروم إلى باجة، وتحصنّهم بها، واعتصام البربر بمدينة بونة[1]. لكن الظروف التي مرت بها عملية الفتح تجعل الأمر مستبعدا، ففي عهد الخليفة الراشدي الثالث، لم تصل الفتوحات إلى المنطقة بعد[2]، أما في سنة 51 هـ / 671 م، فإن عقبة بن نافع ا، كان منشغلا ببناء مدينة القيروان[3]. أما حسان بن النعمان ا، فكان يخوض معارك ساخنة ضد البربر، والروم، وما فرار لبربر إلى المدينة، لدليل على أنها كانت بعيدة عن سيطرته، لذلك فيرجح أن دخول المسلمين إليها، كان عقب هذه الأحداث.

تناولت كتب الجغرافيا، والرحلات مدينة بونة كثيرا في الفترة مابين القرنين 04 - 10 هـ / 10- 16 م. غير أن بونة التي ركّز عليها أغلب الجغرافيين، ليست هي هيبو القديمة، لأن هذه الأخيرة تهدمت في ظروف غامضة، قد تكون فيضانات وادي سيبوس[4]، ويستثنى هنا البكري الذي ميز بين ثلاثة مواقع: مدينة أوغسطين (هيبون)، ومدينة سيبوس أو مدينة زاوي[5] (المدينة الإسلامية الأولى)، و بونة الحديثة[6]، التي يرجّح، أنها بنيت في أواسط القرن 04 هـ / 10 م، أي نحو سنة 350 هـ / 961 م، أي في آخر العهد الفاطمي[7]، وسورت في عهد الدولة الزيرية[8] بعد عام 450 هـ / 1058 م[9]، وذكرها ابن حوقل: "... و لها عامل قائم بنفسه، ومعه من البربر عسكر، لا يزول كالرابطة"[10]، وهي المدينة

---

[1]- ابن الأثير، أبو الحسن علي (ت. 630 هـ / 1232 م)، **الكامل في التاريخ**، تح. محمد يوسف الدقاق، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987 م)، 4/ 135.

[2]- أي أن الفتح الإسلامي، وصل إفريقية سنة 27 هـ / 647 م، ثم توقف مؤقتا. **أنظر**: حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط.14، بيروت، القاهرة: دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، 1996 م)، 213/1.

[3]- شرع في بنائها سنة 50 هـ / 670 م. **أنظر**: حسن، المرجع نفسه، 229- 230.

[4]- شنيتي، المرجع السابق،37.

[5]- يرجّح أن المدينة تنسب إلى زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي مؤسس الدولة الزيرية، التي خلفت الفاطميين حينما غادروا الشمال الإفريقي متوجهين نحو المشرق في أواسط القرن 04 هـ / 10 م، وانتقل زاوي إلى الأندلس عام 391 هـ / 1001 م، وحكم مملكة غرناطة ما بين 403 - 410 هـ / 1012- 1019 م بعدما تغلب على قرطبة، واضطر إلى العودة إلى القيروان بعد اندلاع الفتنة البربرية بالأندلس، ونزل عند المعز بن باديس حفيد أخيه بلكين عام 410 هـ / 1019 م الذي أقطعه بونة. **أنظر**: الجيلالي، **حول مسجد سيدي بومروان**، 194- 195.

[6]- البكري، **المغرب**، 54 - 55.

[7]- دام حكمهم 269 سنة، مابين 297 - 567 هـ / 909 - 1171 م. **أنظر**: الميلي، المرجع السابق، 140/2.

[8]- استمر حكمها 208 سنة، ما بين 335 - 543 هـ / 946 - 1148 م. **أنظر**: الميلي، المرجع نفسه، 163/2.

[9]- الجيلالي، **حول مسجد سيدي بومروان**، 194.

[10]- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 367 هـ / 977 م)، **صورة الأرض**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.)، 77.

المقصودة في معظم الكتابات. وهكذا أرى أن سبب تعدد الفرضيات، التي تكلمت عن تأسيس المدينة، لا يعود فقط إلى ندرة المصادر، وإنما كذلك إلى تشتتها، وضياعها بين القوى السياسية، التي سيطرت على المنطقة منذ العصور القديمة، بدءا بالفينيقيين، والقرطاجيين، الذين خرّب الرومان حضارتهم، وقضوا عليها، فضلا عن إهمال الأهالي، وغفلتهم، حيث لم يجتهدوا في المحافظة على تلك المصادر.

تبيّن مما سبق أن الحضارة الإسلامية أعطت البيئة الطبيعية مكانة هامة، باعتبارها الوسط الذي يمارس فيه الإنسان مختلف نشاطاته منها العبادة، وقد احتوت النصوص التشريعية والكتابات الفقهية والحسبية والأدبية والتاريخية والجغرافية هذا المضمون، وهو دليل على وجود فكر بيئي عند المسلمين لازمهم عبر التاريخ، وننوه هنا إلى خضوع اختيار موضع المدينة الإسلامية إلى عدة شروط أهمها تلك التي ارتبطت بالاعتبارات البيئية، التي بدورها أثرت في تخطيطها، وتطورها العمراني والمكاني، ويمكن الإشارة هنا إلى مدينة عنابة (بونة) التي ارتبطت نشأتها بالعوامل البيئية إلى حد بعيد، دون التقليل من أهمية العوامل الأخرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني
البيئة والتخطيط العمراني لمدينة عنابة

المبحث الأول: العوامل البيئية المؤثرة في اختيار موقع المدينة.

أولا: مصادر المياه.

ثانيا: ارتباط الموقع بالإقليم.

ثالثا: العامل المناخي.

رابعا: الوسط الرعوي والغابوي.

خامسا: حصانة المكان الطبيعية والبشرية.

المبحث الثاني: الاعتبارات البيئية وتخطيط المدينة.

أولا: سور المدينة.

ثانيا: الجامع ودار الحكم.

ثالثا: الأحياء السكنية والشوارع.

رابعا: الأسواق الحرفية والتجارية.

خامسا: الفنادق والحمامات.

سادسا: ميناء المدينة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تقع مدينة عنابة أقصى شمال شرق الجزائر، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، قرب مصب وادي السيبوس، وجنوب غرب الخليج المسمّى باسمها، والذي يمتد ما بين رأس غارد (رأس العسة) غربا، ورأس روزا (رأس الوردة) شرقا[1]. أما فلكيا، فتقع على خط طول 07.46° شرق خط غرينتش، وقد سمح لها ذلك بالانتماء إلى منطقة متوسطة زمنيا، حيث تتقدم التوقيت العالمي بأقل من 30 دقيقة، وتمر بها الدائرة العرضية 36.50° شمال دائرة خط الاستواء، حيث تقع في المنطقة المعتدلة[2]. يشتمل موقع عنابة الحالي على مدينتي بونة القديمة (هيبون)، وبونة الحديثة[3]. وقد دفعت مجموعة من الاعتبارات السياسية، والطبيعية سكان المدينة إلى التفكير في مكان جديد، تتوفر فيه مقومات الأمن، والحماية، فوقع اختيارهم على المرتفعات المحاذية لخليج المدينة من الجهة الغربية، أين استقر أغلبهم في مدينتهم الجديدة، التي تبعد عن مدينتهم القديمة إلى الشمال بنحو 03 أميال[4] (حوالي 04.8 كلم)[5]. وقد ذكر الجغرافي الأندلسي البكري في القرن 05 هـ / 11 م بونة الحديثة، بأنها تقع على ساحل البحر في مرتفع من الأرض حصين، وأنها مدينة برية بحرية.[6]

يُستنتج مما تقدّم، أن موقع المدينة جعلها تشرف على البر والبحر في آن واحد، ومنحها أهمية ستراتيجية في الداخل والخارج، ورشحها لتكون مدينة رائدة، إذا أحسن سكانها، توظيف العوامل البيئية، التي تتمتع بها، فضلا عن تزايد الأطماع الأجنبية.

المبحث الأول: العوامل البيئية المؤثرة في اختيار موقع المدينة:

سبق وأن فرّقنا بين مواضع بونة الثلاثة: هيبون، ومدينة زاوي، وبونة الحديثة، التي يرجح أن هذا الاسم أطلق عليها منذ القرن 05 هـ / 11 م، وبقيت تحمله إلى القرن 10 هـ / 16 م، ويبدو أن هذه

---

[1]- Derdour, Op.cit., 07.

[2]- جندلي، المرجع السابق، 36 – 37 . **Atlas de poche**,(Paris: Librairie Larousse,1982), 192, 254.

[3]- الجيلالي، **حول مسجد سيدي بومروان**، 192 - 194.

[4]- **الميل**: منه البَري، ويساوي 1609مترا، والبحري، فيساوي 1852مترا. **أنظر**: عمارة، محمد، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، (ط.1، بيروت، القاهرة: دار الشروق، 1993 م)، 579.

[5]- سعيدوني، المرجع السابق، 87.

[6]- البكري، **المغرب**، 54 - 55.

المدينة المستحدثة – قبل توسعها بالعمائر التقليدية، من المنازل العتيقة، والدور والزوايا والمساجد والقلاع[1]– كانت رباطا[2] لحماية الثغور، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، ويمكن هنا الإشارة إلى رباط أبي مروان[3] العالم، والزاهد الشهير[4].

وبما أن بونة الحديثة (عنابة) إسلامية المنشأ، فإن الباحث، سيحاول المقارنة، والربط بين المعايير، والمحددات البيئية، التي اشترطها علماء السياسة الشرعية، والفكر العمراني الإسلامي، لاختيار موقع المدينة الإسلامية[5]، وبين ما ذكرته كتب الجغرافيا، والرحلات، وغيرها من الخصائص البيئية، التي مَّيزت مدينة بونة (عنابة) أثناء الفترة التي يتناولها البحث:

[1]- جندلي، المرجع السابق، 72- 73.

[2]- **الرباط**: هو مدينة عسكرية اشتق اسمها من مرابطة الخيل، ولقد أنشأ العرب ألف مدينة (رباط)، بمعدل رباط واحد كل ستة كيلومترات. **أنظر**: محمّدين، محمد محمود، **التراث الجغرافي الإسلامي**، (ط.3، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1999 م)، 306.

[3]– هو سيدي أبي مروان عبد الملك بن علي البوني القرطبي الأندلسي الولي الصالح الشهير، وشارح صحيح البخاري، وموطأ مالك، كان نافذا في الفقه والحديث، توفي 501 هـ / 1108 م. وينسب إليه جامع بونة، الذي يعتقد أن بناءه كان عام 425 هـ / 1033 م من طرف أبي الليث البوني المتوفى 450 هـ / 1058 م، الذي اختفى اسمه أمام شهرة أبي مروان. حتى أصبح ذلك مضرب مثل العنابيين: " البنية لأبي الليث، والشنعة لأبي مروان". **أنظر**: البوني، أحمد بن قاسم (ت. 1139هـ / 1726 م)، **التعريف ببونة افريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تع. سعيد دحماني، (عين مليلة: دار الهدى،2001 م)، 49 – 50. الجيلالي، **حول مسجد سيدي بومروان** ، 197- 198.

[4]- الكعاك، عثمان، " **عنابة قبل الإسلام** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو- يوليو 1976 م، 47 - 48. بلغيث، محمد الأمين، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**، (ط.1، الجزائر: أنتير سينيبي،2007 م)، 46 - 47، 52.

[5]- *حدّدها ابن أبي الربيع في ستة شروط، وهي: سعة المياه المستعذبة، وإمكان الميرة المستمدة، واعتدال المكان وجودة الهواء، والقرب من المراعي والاحتطاب، وتحصين المنازل من الأعداء والذعار، وأن يحيط بها سواد يعين أهلها. **أنظر**: ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد (ت. 272 هـ / 885 م)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تح. عارف أحمد عبد الغني، (دمشق: دار كنان، 1996 م)، 106.

أولا: مصادر المياه:

ويقصد به ضرورة وفرة الماء الصالح للاستعمال، في الشرب، والزراعة، والبناء والصناعة، وهو شرط أساسي للوفاء بحاجة المكان حاضرا ومستقبلا[1].

وقد اهتم مؤسسو بونة (عنابة) بعنصر الماء أثناء اختيار موقعها، فذكرت كتب الجغرافيا، والرحلات، التي تكلمت عن المدينة في الفترة المدروسة، وجود مصادر متنوعة للمياه العذبة، انتفع بها كان المدينة في حياتهم اليومية، حيث أشارت إلى بئر على ضفة البحر، والأمطار، والثلوج، والماء السائح[2]، فضلا عن العيون، والجداول، والينابيع التي كانت تتدفق من جبل الإيدوغ، والجبال المجاورة، ومياه المستنقعات، والبحيرات، مثل بحيرة فزارة وغيرها.[3]

---

* طرح ابن قتيبة ثلاث مواصفات للمكان المراد بناء المدن به، وهي توفره على الماء، والكلأ، والمحتطب، وأضاف شرطا، وهو أن أصلح مواضع البنيان، التي تكون على تل، أي مكان مرتفع ومنيع. **أنظر**: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت. 276 هـ / 889 م)، **عيون الأخبار**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1996 م)، 1/ 213، 313.

* نقل صاحب كتاب الأنيس المطرب خمس محددات من أحد الحكماء، وهي: "النهر الجاري، والمحرث الطيب، والمحطب القريب، والأسوار الحصينة، والسلطان إذ به صلاح حالها، وأمن سبلها، وكف جبابرتها.". **أنظر**: ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت. 741 هـ / 1340)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972 م)، 33.

* قدّم ابن خلدون في مقدمته مقاربة، تخص آليات اختيار موقع المدينة، تراعي أوضاعها، بعيدا عن المفاجآت غير المحسوبة، وضمّنها ركيزتين هما: **الركيزة الأولى: دفع المضار بالحماية من طوارقها**: وتتم الوقاية منها: – **آفات أرضية**: ويكون الاحتماء منها بإنشاء المدينة على مرتفعة ذات أسوار، إما على هضبة أو باستدارة بحر أو نهر حولها، بحيث لا يتم العبور إليها إلا عن طريق جسر أو قنطرة. – **آفات سماوية**: ودفعها يكون بمراعاة طيب الهواء، وحركة الرياح واتجاهها، لأن ركود الهواء يساعد على سرعة تعفن الأجسام، وانتشار الأمراض والأوبئة. **الركيزة الثانية: جلب المنافع وتسهيل المرافق**: وتتحقق بمراعاة عدة أمور منها: – توفر الماء، والمرعى، والمزارع، والثروة الغابية، التي هي مصدر الحطب، الذي يستعمل للوقود والبناء. – أما المدينة الساحلية، فحتى تنجو من الغزو الأجنبي، فيفضل أن يكون موضعها بمكان وعر، وقريب من أمة موفورة العدد، يمكن الاستنجاد بها، ضد أي اعتداء خارجي. **أنظر**: ابن خلدون، **المقدمة**، 384 – 387.

[1]- عثمان، محمد عبد الستار، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988 م)، ع.128، 87.

[2]- البكري، **المغرب**، 55. مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن 06 هـ / 12 م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع. سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت.)،127. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت. 779 هـ / 1377 م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (ط.1، القاهرة: المطبعة الخيرية، 1323 هـ)، 07. الحميري، **الروض المعطار**، 115. كربخال، **إفريقيا** ، 3/08- 09.

[3]- جندلي، المرجع السابق، 45 – 46.

لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا، والتي وظفت في البحث بمعلومات كافية، يمكن أن تساعدنا على معرفة الطرق، التي كانت مستخدمة لتزويد بونة بالمياه الصالحة للشرب، والاستعمالات العمومية الأخرى، فالمقدسي اكتفى بذكر وجود آبار مخصصة للشرب[1]، دون تحديد عددها، ومواقعها.

واتفق البكري، وصاحب كتاب الاستبصار على وجود بئر النثرة، على ضفة البحر، وأنه محفور في صخر صلد، وأن معظم سكان المدينة، يشربون ماءه لعذوبته، وأشارا إلى وجود مياه جارية غربي المدينة، استغلها السكان في البستنة، والزراعة[2].

في حين ذكر ليون الإفريقي، أنه لا توجد بالمدينة عيون ماء، وأن أهلها يخزنون مياه الأمطار في صهاريج[3]، وزاد عليه كربخال بعدم وجود بئر، ولا ساقية بالمدينة والقلعة، وإنما تتوفران على خزانات، توضع قرب البيوت المسطحة، لتمتلئ بمياه الأمطار، التي تجري إليها من فوق سطوح المنازل[4].

علما أن الواجهة الغربية لخليج بونة المحصنة طبيعيا، وبشريا، تتواجد بها عدة مراسي، يمكنها التزود بالماء من عدة نقاط، منها عين عشير بمنطقة رأس الحمراء، وعيون منطقة القلعة الجنوية، ووادي القبة بمنطقة خليج المرجان، وجون الخروبة، وبئر النثرة على ساحل خليج بونة، التي تتغذى من واديْ السيبوس، وبوجمعة، وكلها نقاط محمية طبيعيا من الرياح الغربية[5].

يبدو أن موقع بونة الجديد، والمعزول عن وادي بوجمعة والسيبوس، صعّب مهمة جلب المياه، والأمر الآخر هو ربما تلوث[6] المجاري المائية بالمياه القذرة، التي تصب فيها، قادمة من المدينة.

ثانيا: ارتباط الموقع بالإقليم:

---

[1]- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. 380 هـ / 990 م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تع. محمد أمين الضناوي، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م)، 184.

[2]- البكري، **المغرب**، 55. مجهول، **كتاب الاستبصار**، 127.

[3]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 62.

[4]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[5]- دحماني، المرجع السابق، 278.

[6]- **التلوث**: لغة: الالتياث: الاختلاط، والالتفاف، ولوَّث ثيابه بالطين: لطَّخها، ولوَّث الماءَ: كدَّره. اصطلاحا: هو تغيير في الصفات الطبيعية للعناصر، التي تتحكم في البيئة، التي يعيش فيها الإنسان تغيُّرا، يؤدي إلى الإضرار بحياة الإنسان. وهو عبارة عن إدخال مواد، لا يستفاد منها للبيئة بواسطة الإنسان، وذلك بطرق مباشرة، مما يسبب تلفا في بيئته التي يعيش فيها. والتلوث نوعان: طبيعي مصدره البراكين، والرماد، والغازات السامة، والرياح، والعواصف، وبشري مصدره الإنسان، ونشاطاته المختلفة. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 291/1، جيرة، المرجع السابق، 71.

أي ضرورة وجود المدينة بمنطقة، تسمح لها بتأمين الغذاء، وغيره عن طريق الاكتفاء الذاتي، أو ستيراد، بمعنى ضمان ذلك من الأرياف، والأقاليم المجاورة، أو عن طريق التجارة، والتبادل، وهذا الشرط يبرهن، أن المعطى الاقتصادي من المؤثرات الأساسية في التخطيط.

وتبرز أهمية المدينة من خلال موقعها، الذي تحدده ثلاث ارتباطات، إذا توفرت أكسبتها مكانة إستراتيجية، ومنحتها أدوارا متعددة، منها التي تكتسي أبعادا اقتصادية. ونشير هنا إلى ارتباطات موقع المدينة بالأرياف، والطرق التجارية البرية، والطرق البحرية[1].

فابن حوقل الذي جاب مختلف أقطار الأرض لأجل التجارة، والكسب، وطلب العلم، ومنها بلاد المغرب، فوصف المنطقة منذ الفتح الإسلامي، وأكثر ما عني به، الجوانب الاقتصادية للمدن، والمناطق التي زارها، بحكم مهنة التجارة، التي كان يمارسها[2]، وكانت مدينة بونة (عنابة) من ضمن المدن لتي اهتم بها، فوصفها بالمدينة الساحلية المقتدرة، ذات الأسواق الحسنة، والتجارة المقصودة، والأرباح المتوسطة، والأراضي الخصبة، وأسعار السلع الرخيصة، والبساتين القريبة، وأن أكثر محاصيلها مستمدة من باديتها، مثل الفواكه، والتين، والقمح والشعير، والكتان، ومن منتجاتها العسل، إضافة إلى تربية الأبقار، والخيول، ومن تجارتها الغنم، والصوف، وبفضل إقليمها الواسع، وباديتها الغنية، زاد الإنتاج عن حاجتها، مما وسع تجارتها مع البلدان المجاورة، وذكر أنها تزخر بمعدن الحديد، الذي تصدر منه كميات كبيرة[3].

أما البكري الذي يُعرف عنه، أنه لم يزر بلاد المغرب، فأظهر في كتابه معرفة كبيرة بالمدن، والموانئ، والطرق البحرية[4]، فاهتم بمدينة بونة (عنابة)، ووصفها بالبرية البحرية، والمستنزه الحسن، وأن بها بساتين، وهي كثيرة اللحم، واللبن، والحوت، والعسل، وأكثر لحومها البقر، و تجارها أغلبهم من أصول أندلسية، أما مداخيلها المالية، فقدّرها بعشرين ألف دينار، دون جباية بيت المال[5].

[1]- محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، 87 - 91.

[2]- العربي، إسماعيل، **المدن المغربية**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت.)، 33 - 35.

[3]- ابن حوقل، **صورة الأرض**،77.

[4]- العربي، المرجع السابق، 40.

[5]- البكري، **المغرب**، 55.

أما صاحب كتاب الاستبصار، فدعّم البكري في وصف بونة، وأشار إلى آثارها الكثيرة، وقال بأن لها فحوص، وقرى، وأنها من أنزه البلاد، وأكثر مواردها اللبن، واللحم، والحوت، وأشار إلى وجود بركة تقع غرب المدينة، غنية بالأسماك، ويعيش على سطحها طائر حسن المظهر، يعرف بالكيكل، يسمى في مصر بالخواص[1]، ويتخذ من جلده ثيابا للينها، وجمالها، وغلاء ثمنها[2].

وتكلم أبو الفداء عن بحرها الغني بالمرجان[3]. أما الحسن بن محمد الوزان، فذكر أن ثمار العناب، تنتج بكثرة، وتجفّف، وتدّخر، لتؤكل في فصل الشتاء، وأن للمدينة بادية شاسعة، تمتد على مسافة 40 ميلا (حوالي 65 كلم) طولا، و25 ميلا (حوالي 40 كلم) عرضا، وهي أرض جيدة لزراعة القمح، تقطنها قبيلة عربية، تسمى مرداس، التي تملك بقرًا، وأغنامًا عديدة[4].

ثالثا: العامل المناخي:

بني هذا الشرط إدراك المسلمين لأهمية المناخ، والاعتبارات الصحية في اختيار مواقع مدنهم، ويعكس مستواهم الحضاري المتقدم في التفكير، وربطهم الواعي بين المناخ، وجودة الهواء، وبين الحالة الصحية، والنفسية للإنسان، الذي تتأثر حياته، ونشاطه بذلك تأثرا جليا، ويتضح من ذلك، أن لجودة الهواء، أو فساده علاقة وطيدة بانحسار الأمراض، أو انتشارها[5].

ويعود بنا الدكتور "شو" إلى العصر النوميدي، قبل تأسيس بونة الحديثة بقرون، عندما وَصَفَ موقعها بالممتاز، وأنه صالح للصيد، والتجارة، والترفيه، وأنها تتمتع بمناخ صحي سليم، وتحيط بها سهول خصبة واسعة، تقطعها الأودية، وتطل عليها جبال مغطاة بالأشجار، استقطبت اهتمام الملوك النوميديين، فجعلوها إحدى مدنهم الملكية، بل إحدى الاستراحات المفضلة لديهم[6].

ولما أصبح مكان مدينة زاوي غير ملائم، بسبب فيضانات واد السيبوس المتكررة، وانتشار برك المستنقعات، والمياه الآسنة التي تحيط بالمدينة، مما تسبب في ارتفاع درجة الرطوبة، وتردي الأحوال

---

[1]- ويسمى أيضا الغطاس. **أنظر**: الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[2]- مجهول، **كتاب الاستبصار**، 127.

[3]- أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت. 732 هـ / 1331 م)، **تقويم البلدان**، (بيروت: دار صادر، د.ت.)، 141.

[4]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2- 62.

[5]- عثمان، المرجع السابق، 91 - 93 .

[6]- Shaw, op.cit., 340.

الصحية للسكان. جاءت فكرة تأسيس مدينة بونة الحديثة (عنابة)، حيث كانت المرتفعات المشرفة على الساحل من الجهة الغربية، ذات مزايا طبيعية جمة، وأحسن مكان يمكن أن تتوفر فيه عوامل السلامة الصحية[1]، فاعتبرها الرحالة الإسباني كربخال، بأنها أنقى بلاد البربر هواء[2].

إلا أن البكري يرى، أن جو المدينة مصدر لعافية السود، ومرض البيض، بقوله: " يصح بها السودان ويسقم بها البيضان[3]". ويبقى هذا مجرد انطباع انفرد به هذا الأخير، ولكن لا يمكن تجاهل قدرة السود الأفارقة على تحمّل الحرارة الشديدة، والرطوبة العالية، وهو ما يميز المدينة خاصة في فصل الصيف، وذلك عكس السكان البيض، الذين تناسبهم البيئة المعتدلة. علما أن موقع المدينة المنفتح على البحر، والدور الاقتصادي النشيط الذي تؤديه، جعلا منها وجهة للتجار من مختلف البلدان، بل قصدها الأندلسيون فرارا من اضطهاد الأسبان، وشكلوا مع بقية طوائف السكان من بربر وعرب وأقليات يهودية ومسيحية مجتمع المدينة المتعايش والمتعاون.

رابعا: الوسط الرعوي والغابوي:

ابن خلدون، أن المراعي من المرافق الضرورية عند بناء المدن، فأهلها يفضلونها قريبة، وطيبة، حتى يتجنبون المشقة في الوصول إليها، لأن كل مقيم، لا يستغني عن تربية الحيوانات باختلاف أنواعها، سواء التي كانت مصدرا للحم، أو الحليب، أو الركوب، ويقصد هنا الدواجن والأغنام، والأبقار، والخيول، وغيرها.

وركّز كذلك على قرب المدينة من الغابات، بغرض الاحتطاب، فالحطب مورد طاقة ضروري لتأمين الوقود من النار، واستعمالها للتدفئة، والطبخ، والشواء، إضافة إلى أن الخشب من مواد البناء الأساسية، خاصة في تسقيف المنازل.

وقد وصف ابن خلدون العرب بالبداوة، والبساطة، وعدم بعد النظر، وأنهم لا يحسنون الاختيار طبيعي لمواقع مدنهم، فكان تفكيرهم آنيا، ارتبط فقط بما يراعي الأهم عندهم، وهي الجمال، وما تحتاجه من مراعي، وشجر، وماء، وملح، وأهملوا الاهتمام بمصادر المياه، والغذاء، والحطب الدائمة،

[1]- سعيدوني، المرجع السابق، 86 - 87.

[2]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[3]- البكري، **المغرب**، 55.

ل حتى مراعي الماشية، ذوات الظلف، لهذا فإن مدنهم كانت أقرب إلى الخراب، لأنهم لم يراعوا فيها الأمور الضرورية[1].

وانطلاقا من تلك المواصفات، يمكن القول أن مدينة بونة (عنابة) لها أقاليم، تزخر بغابات كثيفة دائمة الخضرة، فالجبال المجاورة عامرة بالأشجار، كالصنوبر، والبلوط، والفلين، والريحان، والعليق، والديس، والعناب، وغيرها، إضافة إلى أنواع عديدة من الحشائش[2]. وقد اقتصر صاحب الروض المعطار على ذكر شجر العناب، فقال: " .. ومنه خشب سقوفهم، ووقودهم، ومنه جميع ما يتصرفون فيه "[3]. أما الإدريسي فأشار إلى أن للمدينة أقاليم، وأرض واسعة، وأن جبالها فيها الكثير من الخشب الجيد، وأن هذه الأقاليم تشتهر بتربية الأبقار[4]. وعليه فرغم التباين في التفاصيل بين المصادر، فإن ظهير المدينة الطبيعي، يتميز بالتنوع البيئي، الذي انعكس على الأنشطة المختلفة التي يمارسها السكان.

خامسا: حصانة المكان الطبيعية والبشرية:

تحكمت حصانة المكان في اختيار موقع المدينة، فهو يساعد على دفع هجمات الأعداء، وهي حاجة دفاعية برزت منذ القديم، عندما ظهرت المدن، وتوسعت في عمرانها، وزاد ثراؤها، فأصبحت بلة لأطماع الغزاة، بهدف السيطرة، ونهب الثروات، مما أدى إلى تحصين المدن، ببناء الأسوار حولها، فضلا عن تدعيمها بحاميات الجند للدفاع عنها. وحماية المدينة تكفلها عملية بناء الأسوار، والأبراج، والقلاع، التي يزيد من منعتها، وسهولة انجازها، والاقتصاد فيها، ما يتوفر للموقع من عوامل طبيعية تحصينية. كان ذلك عندما كان المسلمون، يفتقدون للقوة البحرية، التي تمكنهم من الدفاع، عن تلك المدن في ذلك العصر، فعدم وجود العوائق المائية، يسهل عملية الكر، والفر، والتموين بالإمدادات اللازمة، ولما توفرت هذه القوة، شجعت على اختيار مواقع المدن الساحلية، التي يجب ألا تكتفي

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، 386.

[2]- جندلي، المرجع السابق، 43.

[3]- الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[4]- الإدريسي، الشريف (ت. 560 هـ / 1164م)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (ليدن: مطبعة بريل، 1866 م)، 116- 117.

بإحاطة الماء حول موقعها كشبه جزيرة المهدية، بل ضرورة دفع المضار، بأن تكون المدينة في أماكن مرتفعة، حتى لا تكون معرضة للغرق، والعدو البحري، فضلا عن ميزات الموقع الاتصالية الأخرى[1].

وتعد مدينة بونة (عنابة) من المدن البرية البحرية، فقد وصفها صاحب كتاب معجم البلدان بأنها : " مدينة حصينة مقتدرة "[2].

تقع المدينة فوق الهضبة الصخرية، المحاذية لشاطئ البحر، والمطلة على الجهات الداخلية المواجهة للغرب، الأمر الذي، أدى إلى عدم إمكانية رؤيتها، من ناحية البحر، رغم محاذاتها له. إن تمتع المدينة بالموقع الممتاز، جعلها في مأمن من غارات الأعداء القادمة من جهة البحر، وقادرة على رد طلقات المدافع المفاجئة، وساعد على سهولة اتصال المدينة بداخل البلاد، مما أهلها كي تصبح مدينة ساحلية حصينة[3].

وقد أجمل الحـ مواصفات التحصين الطبيعي لمدينة بونة، والتي أشاد بها من سبقه من الجغرافيين، والرحالة، بقوله: " وهي على ساحل البحر في نشز[4] من الأرض، مشرف على البحر، وعلى فحوصها[5]، وقراها،.. والبحر يضرب في سورها..ويطل على بونة جبل زغوغ (الإيدوغ)..وقد سوّرت بعد 450 هـ (1058 م) "[6].

ونقلا عن التمقروتي (ت. 1003 هـ / 1594 م)، أبدع أبو البقاء الأندلسي (ت. 768 هـ / 1365 م) أثناء رحلته الحجازية سنة 737 هـ / 1336 م في وصف المدينة، فقال: "وبونة مدينة مكينة، وقلعة حصينة، شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع، معدومة الشبيه، والنظير في القلاع، تنزهت حصانة، أن ترام وتستطاع، قاعدة كبيرة، ومائدة من الأرض مستديرة، سامية الأرجاء، واسعة البناء، موضوعة على

---

[1]- عثمان، المرجع السابق، 96 – 97.

[2]– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت. 626 هـ / 1228 م)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، 1977 م)، 512/1.

[3]– سعيدوني، المرجع السابق، 88.

[4]- **النشْز**: ج. أنْشاز، ونُشُوز، المرتفِع من الأرض، وما ارتفع عن الوادي إلى الأرض، أشرف على نشَز من الأرض: ارتفع، وظهر، كان جبلا، أو رابية. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 6، ج. 49، 4425.

[5]- **الفحص**: ج. فحوص، الفحص: كل موضع يُسكن. ما استوى من الأرض، بمعنى السهول. **أنظر**: الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 308/2. ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 5، ج. 38، 3356.

[6]– الحميري، **الروض المعطار**، 115.

نسبة حسنة في الاعتدال، والاستواء، والمدينة العجيبة كالعروس في ناديها، وقد رفلت في درع وأدب، وامتنعت بحسامه المسلول من غير الأيام، وعواديها، فاتخذت به من المطالب معتصما، وتحلت في سواره معصمًا..."[1].

لم يكتف المسلمون بالعامل الطبيعي، في اختيار مواقع المدن، بل دعموه بالعامل البشري، واعتبروه ضرورة، تكفل للمدن حصانتها، تمنع عنها الاعتداءات الخارجية، القادمة من جهة البحر[2].

وتناول ابن خلدون هذا الشرط بشكل جدّي، فزيادة على التحصينات الطبيعية، رأى أن المدن الساحلية، يجب أن تكون بين أمة عظيمة العدد، تكون صريخاً للمدينة، متى اعتدي عليها، وأرجع ذلك، إلى أن المدن البحرية الهامة، التي ليست لها عصبيات، وقبائل تقيم حولها، فهي مستهدفة باستمرار من الطامعين، والغزاة، ويسْهل طرقها بالأساطيل البحرية العسكرية، وذكر أن سكان المدن، أصبحوا غير معنيين بالقتال، بسبب ركونهم للاسترخاء، والسكون، والخضوع لحياة الترف، وضرب مثلا بمدن الإسكندرية، وطرابلس الغرب، وبونة، وسلا. وقارنها بمدن أخرى وعرة المسالك، وقريبة من أهل العصبيات والقبائل، نجحت في صد الاعتداءات الأجنبية باستمرار، بل أن الأعداء يئسوا من محاولات غزوها، لتضرّسها، وسرعة حضور النجدة إليها من القبائل المجاورة، وأعطى أمثلة بمدن سبتة، وبجاية، والقل[3].

وبخصوص بونة (عنابة)، يُذكر أنه كانت تقيم حولها قبائل كثيرة من البربر مثل: مصمودة، وأَوْربة، وغيرهما[4] قبل الزحف الهلالي على أقاليمها منذ عام 443 هـ / 1053 م،[5]حيث أشار الإدريسي إلى سيطرة بعض القبائل العربية على أرضها الواسعة[6]، وأن باديتها تقطنها قبيلة مرداس العربية، التي

[1]- بالحميسي، مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، (ط. 2 ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981 م)، 50، 53 - 54.

[2]- عثمان، المرجع السابق، 97.

[3]- ابن خلدون، **المقدمة**، 386 – 387، بالباس، ليوبولدو تورس، **المدن الأسبانية الإسلامية**، تر. إليو دورو دي لابنيا، (ط.1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003 م)، 73.

[4]- البكري، **المغرب**، 55.

[5]- جندلي، المرجع السابق، 226.

[6]- الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 117.

تنشط في الفلاحة، وتربية الأبقار، والثيران، والأغنام[1]، وتعيش إلى جانبها قبائل كبيرة من البربر، تمارس نفس الأنشطة[2].

وما يمكن استنتاجه من المعايير الخمس، التي تم شرحها، أن مدينة بونة (عنابة)، تنتمي إلى بيئة متكاملة العناصر، رغم بعض المؤاخذات مثل: صعوبة جلب المياه، وعدم انتظام المناخ، خاصة من حيث التساقط، الأمر الذي يتطلب المزيد من الجهود، والفعالية لتغطية النقائص.

المبحث الثاني: الاعتبارات البيئية وتخطيط المدينة:

لم تسمح مصادر التراث، التي اطلعت عليها، بوضع مخطط لمدينة بونة (عنابة)، في الفترة مابين القرنين 05 – 10 هـ / 11 – 16 م، حيث وصفت المدينة وصفا غير مفصل، باستثناء البكري، والحسن بن محمد الوزان، اللذان أخذت ملامح المدينة تتبلور لديهما[3]، إلا أنه سأستعين ببعض المصادر المتأخرة، والمراجع لوضع مخطط للمدينة:

أولا: سور المدينة:

[1]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 62/2.

[2]- كاربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[3]- البكري، **المغرب**، 54 – 55. الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2 - 62.

ذكر البكري، والحميري بأن مدينة بونة (عنابة) مسوّرة منذ عام 450 هـ / 1048 م[1]، وأضاف كربخال، فأشار إلى نها مسوّرة، وحصينة، ولها بابين رئيسيين، أحدهما مفتوح جهة البحر، والآخر يؤدي إلى جهة حصن القلعة[2].

ويمكن الاستعانة بصاحب الهدايا الملكية، الذي أنقذنا بوثيقتين، مخطط، ونص، يعودان إلى عام 1016 هـ / 1607 م، لوضع مخطط المدينة في فترة قريبة، لتلك التي يدرسها البحث داخل، وخارج السور، حيث أشارتا إلى حصانة المدينة، التي تقع على ربوة مرتفعة، معززة بصخور ضخمة من جانب البحر، ومما زاد من مناعتها أبراج المراقبة، التي أقيمت على الأماكن المرتفعة، ويحيط بالمدينة سور قديم، يتميز بالمتانة والعلو، بنيت عليه مجموعة من الأبراج من جهة البر، وكان شكله خماسي الأضلاع، يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل(01.3 كلم)، وهو محيط المدينة، وللمدينة ثلاثة أبواب: باب من ناحية الحصن، وباب من جهة البر، وباب ثالث من جهة البحر[3].

وقد أثّرت التحولات السياسية والاقتصادية، عبر السنين على الشكل العام لمخطط المدينة، حيث انعكس ذلك على عدد أبواب السور، فأضيف باب رابع إلى الثلاثة السابقة، وهي: باب بالجهة العليا من السور الشمالي، يؤدي إلى القلعة، وباب آخر بالجهة السفلى من نفس السور، يخرج إلى البر، وباب ثالث جنوب السور الغربي، وباب رابع بالسور الجنوبي، يؤدي إلى البحر[4].

ما يلاحظ على ارتفاع عدد أبواب السور، والتطور المكاني لبعضها، يعتبر أمرا منطقيا، لأن ذلك ارتبط بالنمو السكاني، والتحولات الاقتصادية والأمنية، التي تتطلب تيسير حركة السكان، والتخفيف من الازدحام، وبالتالي تنشيط الحياة في المدينة، ونشير كذلك، إلى أن عناصر الطبيعة لوحدها، غير كافية لحماية المدينة من الأخطار، فلا بد من تعزيزها بتحصينات مثل: الأسوار، وعليه تبقى علاقة الإنسان ببيئته، تقوم على جدلية التأثير، والتأثر، رغم ذلك لا يمكن إهمال دور الأسوار في كسر أشعة الشمس، وزيادة مساحة الظلال، والتقليل من سرعة الرياح القوية.

---

[1]- البكري، **المغرب**، 55. الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[2]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[3]- مجهول (عاش في القرن 10 هـ / 17 م)، **الهدايا الملكية**، تر. سعيد دحماني، (عين مليلة، الجزائر: دار الهدى، 2002 م)، 137- 139، 170- 172.

[4]- دحماني، المرجع السابق، 274.

ثانيا: الجامع ودار الحكم:

لقد أشارت المصادر إلى وجود مساجد بمدينة بونة (عنابة)، لكنها لم تحدد عددها[1]، ووصف ليون الإفريقي مسجدها الشهير، بأنه غاية الجمال، ومشيد على شاطئ البحر[2]، أما كربخال فوصفه بالفخامة، وذكر وجود مدرسة بجانبه، لتعليم الشريعة الإسلامية[3].

ويعدّ جامع أبي مروان، أقدم مساجد المدينة، ورمز ازدهارها المعماري في العهد الزيري، حيث تم بناؤه سنة 425 هـ / 1033 م. تميز الجامع بجماله، وأناقته حتى بعد الاحتلال الفرنسي، الذي حوّله عام 1257 هـ / 1841 م إلى مستشفى، فطرأت عليه تغييرات عديدة، منها هدم القبتين، اللتين كانتا، تعلوان وسط قاعة الصلاة، وإضافة صفين من السواري في دعائم ثمانية الأضلاع، ويبلغ طول الجامع 36،50 مترا، أما عرضه 19،60 مترا[4].

قد تحت أرض الجامع عدة سراديب، يرجح أنها استخدمت كمخابئ، ومستودعات، لتثبت آن هذا الجامع، كان أحد مكونات رباط أبي مروان، الذي كان يقوم بدور عسكري، إلى جانب الدورين الديني، والتعليمي. وقد عرف الجامع عدة ترميمات، أثناء القرنين 11 – 12 هـ / 17 - 18 م[5]، ولما تم التخلي عنه كمستشفى، غداة الحرب العالمية الثانية عام 1362 هـ / 1943 م[6]، استعاد وظيفته الأولى كمسجد، وبعد استقلال الجزائر، لحقت به أضرار خطيرة، بفعل انفجار سفينة، تحمل ذخيرة عسكرية عام 1384 هـ / 1964 م، حيث اختفت المدرسة الملحقة به، عن الوجود نهائيا[7].

---

[1]- البكري، **المغرب**، 55. الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[2]– الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2.

[3]– كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[4]- بورويبة، رشيد، " **عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو- يوليو 1976 م، 68 - 69.

[5]- دحماني، المرجع السابق،291.

[6]- الكعاك، المرجع السابق، 56.

[7]– دحماني، المرجع السابق،291.

وتجدر الإشارة إلى أن المسجد، كان جزءا من رباط بونة (عنابة)، ولما أصبح الرباط دارا للوالي أثناء توسع المدينة الحديثة، أطلق عليه اسم جامع السلطان، وبما أن هذا المسجد، كان مركزا لتدريس المذهب المالكي في عهد أبي مروان، خصص منذ بداية العهد العثماني لهذا المذهب[1].

وحسب مخطط الهدايا الملكية، فإن خطة المدينة، تنطلق من الرباط بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، والذي يلتصق بالسور الشرقي، بأعلى مكان في المدينة، ويتكون الرباط أساسا، من مسجد أبي مروان، ودار الحكم، وهو محاط بسور داخل المدينة[2]، وقد شبه هذا التنظيم بمخطط قرطبة، مما يثبت اللمسة الأندلسية في تخطيط بونة الحديثة[3].

وبخصوص الجانب الأمني، بقي الدفاع عن المدينة، يعتمد على الرباط المحصن داخل السور، والمتكوّن من مسجد أبي مروان، ودار الحكم، ومنذ بداية القرن 08 هـ / 14 م، انتقلت هذه المهام

إلى القلعة[4]، التي انتصبت فيها الحامية العسكرية[1]. ويمكن الإشارة هنا إلى أن وجود المسجد، ودار الحكم بالمدينة، يعبر عن توأمة بين الخطين الديني والسياسي، وتفاعلهما في تدبير شؤونها، الأمر الذي

[1]- نفسه، 288-289.

[2]- مجهول، **الهدايا الملكية**، 170-172.

[3]- دحماني، المرجع السابق، 274.

[4]- أشارت مصادر القرن 10 هـ / 16 م إلى وجود قلعة محصنة، غير بعيدة عن المدينة، من تشييد ملوك تونس، وأن لها عاملا، وحامية تقيم بها. **أنظر**: الوزان، **وصف إفريقيا**، 62/2. كربخال، **إفريقيا**، 08/3. وذكرت مصادر أخرى، وجود القلعة منذ منتصف القرن 08 هـ / 14 م، وأن بناءها تم بعد وصول الحفصيين إلى الحكم في القرن 07 هـ / 13 م. **أنظر**: دحماني، المرجع السابق، 284. وأن الذي أمر بتشييدها، هو أبو زكرياء بن إسحاق الحفصي. **أنظر**: سعيدوني، المرجع السابق، 89. وقد بنيت القلعة على جبل عابد، الذي يشرف على بونة الحديثة (عنابة) شمالا على بعد مسافة 500 مترا منها، وبارتفاع يقدر بـ 109 مترا. ويسمح هذا الموضع، بالتحكم في كامل الفضاء المحيط به، من أفق الساحل إلى رأس الحمراء شمالا، ومن رأس حمام إلى الخليج شرقا، ويسهل مراقبة البر الداخلي، المكوّن من جبل الإيدوغ، والسهل غربا، أين تلتقي طرق قسنطينة، وقالمة، وسوق أهراس. ووفقا لاعتبارات تلك الفترة الزمنية من الناحية الدفاعية، فهو يحتل موقعا

يدفعنا إلى التنويه بوظيفة المساجد، التي عرف عنها، نها مراكز للعبادة، ترافق المسلم في حياته، تعله مرتبطا بعبادة الله عز وجل، وهي أيضا من أبرز مرافق النظافة في المجتمع، فالمسلم يؤمها خمس مرات في اليوم، مستفيدا مما توفره من مياه باستمرار، عكس المرافق الأخرى، التي قد ينقطع عنها الماء، الذي يعتبر ضرورة للطهارة والوضوء، وبالتالي جواز القيام بركن الصلاة، وغيره من العبادات، فضلا عن دور الوعظ والإرشاد الذي تقوم به بين روادها لنشر الوعي، وتهذيب السلوك، وهو أمر لا يخلو من التوجيهات، التي تدعو إلى حماية البيئة من شتى الأخطار.

ثالثا: الأحياء السكنية والشوارع:

سبق وتم تعليل الأسباب، التي أدت إلى إنشاء مدينة بونة (عنابة)، والتي أرجعت إلى عوامل صحية، وإستراتيجية، فعلى ذلك الموضع الجديد، غرب رباط أبي مروان، تم تثبيت النسيج الحضري للمدينة، داخل السور، ويتكوّن من ثلاث وثلاثين مجموعة بنائية، ترسم أشرطة متجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، تفصلها شوارع في شكل خطوط مقوسة متناسقة مع منحنيات المنحدرات، ورغم أن هذه الشوارع تبدو متساوية العرض، إلا أنه يتضح من بينها محور أساسي يربط أعلى المدينة شرقا بباب الواجهة الغربية، أما الشوارع الأخرى، فتصب نحو بابيْ السور الشمالي[2].

وعليه تم التوصل إلى تحديد منازل السكان شمال المدينة[3]، والتي قدّر عددها ليون الإفريقي بثلاثمائة كانون (منزل)، وذكر أنها كثيفة السكان، إلا أنه لاحظ قلة الدور الجميلة[4]، في حين أن

استراتيجيا. رسمت القلعة مع الأكمة، التي بنيت عليها بناء دائريا، يبلغ محيطه حوالي 590 مترا، و مساحته 13.263 مترا مربعا تقريبا، أي 5.9% من مساحة بونة (عنابة)، ويذكر أن سور القلعة، له جدار وعر، يتراوح ارتفاعه ما بين 05 – 07 أمتار، يعلوه حائط مسنن، علوه مترين، وتعززه عشرة أبراج مراقبة، وتتوزع داخلها من جهة الشمال عدة منشآت، منها سكنات الوالي، والمقيمين فيها، القلعة مرتبطة بمدينة محصنة، إلا أنها منفصلة عنها، بحيث تمكّنها من مواصلة المقاومة، بعد سقوط المدينة، أو تصلح ملجأ للوالي في حالة تمرد سكان المدينة عليه، وما يدعم التآزر بين مدينة بونة (عنابة)، والقلعة، هو الجدار الرابط بينهما، الذي يجعل التنقل بينهما مؤمّنا. **أنظر**: دحماني، المرجع السابق، 284– 288. أدخلت الحامية الجنوية عدة ترميمات عليها، أثناء الاحتلال الإسباني للمدينة، وهذا عكس ما أشارت إليه بعض الكتابات الأوروبية، التي نسبت بناءها إلى الغزاة الجنويين، بأمر من الإمبراطور شارلكان عام 942 هـ / 1535 م، بغرض تمكين وجودهم بالمدينة، ونظرا لأهميتها العسكرية، فإن العثمانيين، جعلوها طيلة مدة حكمهم للمدينة، مقرا للحاكم التركي، والحامية، التي كان عدد جنودها يتراوح ما بين 50 – 100 شخصا، وذلك حسب الظروف. **أنظر**: سعيدوني، المرجع السابق، 89.

[1]– دحماني، المرجع السابق، 296.

[2]- نفسه، 268– 275.

[3]- نفسه، 276.

[4]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2.

كربخال أعجب بعمارة المدينة، ووصفها بمتقنة البناء، وأن سقوف المنازل مستوية، تغطيها طبقات من الجير والرمل والإسمنت[1].

أما صاحب الهدايا الملكية، فأشار إلى أن عدد سكان المدينة عام 1016 هـ / 1607 م، قد تراوح ما بين ثمانية إلى عشرة آلاف نسمة، وأن هذا العدد كان يمكن أن يكون أكثر من ذلك، لولا التناقص الذي تسبب فيه وباء الطاعون قبل ثلاث سنوات، حيث أباد أكثر من ثلثي السكان[2]، وقدّر عدد بيوت المدينة بألفي منزل، وذكر أنها شيّدت بشكل مدرّج، وأن السطوح التي تعلو المنازل، ؛ محل السقوف، وأنها تسمح بالمرور فيما بينها دون خطر، وشبّه كل منزل منها بالحصن الصغير، الأمر الذي يعيق احتلال هذه البيوت دفعة واحدة.[3] ويمكن الإشارة هنا إلى أن الشكل المدرج للمباني يعبر عن انحدار الشوارع، ويساعد على التخلص من مياه الصرف الصحي بانسيابية نحو المنخفضات، واستغلال مياه الأمطار في تنظيف الشوارع.

ووصف أحد الرحالة الأوروبيين منازلها، بصغر حجمها، وبياضها الناصع، حتى أنها كانت تتعب العين لنصاعة بياضها، مع أن نصفها كان مغطى بالقرميد، والنصف الثاني كانت تعلوه أسطح، وشرفات ذات أشكال مختلفة. وتميزت شوارع المدينة بضيقها، والتواءاتها الكثيرة، مما جعل السير فيها عسيرا[4]، حيث شبهها صاحب الهدايا الملكية بالثعابين، لشدة الضيق والالتواء، فهي لا تسمح بمرور شخصين في آن واحد[5]. فرغم دواعي الأمن والخصوصية الاجتماعية، التي دفعت إقامة شوارع ضيقة وملتوية في المدينة، فإن ذلك يؤثر على مستخدمي هذه الشوارع سلبا، في جانب النظافة، وحركة الهواء، خاصة في فصل الرطوبة، وبالتالي تهديد صحة السكان.

وزار المدينة الرحالة الألماني موريتس فاغنر عام 1253 هـ / 1837 م، الذي ذكر أن المدينة مقسمة إلى حيَّيْن، الأول أسفل، تسكنه أغلبية أوروبية، والثاني أعلى، ويقصد به بونة[6]، التي شبهها بالقصبة

---

[1]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[2]- مجهول، **الهدايا الملكية**، 141.

[3]- نفسه، 137.

[4]- سعيدوني، المرجع السابق، 89.

[5]- مجهول، **الهدايا الملكية**، 135.

[6]- أصبحت بونة في الوقت الحاضر تسمى المدينة العتيقة.

في مدينة الجزائر، إلا أن بناءها أقل علوا، وانحدارا، وأنها مازالت تحتفظ بشكلها العربي، ودورها أوطأ من دور مدينة الجزائر، وتكاد تكون كلها أرضية[1].

ولا يستبعد عثمان الكعاك، أن تكون لبونة مثلها مثل المدن الإسلامية الأخرى، أزقة نافذة وأخرى غير نافذة، متفرعة إلى مسالك تؤدي إلى الأسواق، التي تتوسطها، وتحيط بالجامع الكبير، وتقسم المدينة إلى حارات (أحياء)، تأخذ أسماء مرافق، أو مؤسسات[2].

وتتمركز هذه الأحياء بشكل خاص شمال المدينة، مثل: حي كوشة العصافري بنهج دالي علي حاليا، وحي عبرة أو حومة اليهود بنهج الفداء، وحي العقبة بنهج القديس أوغسطين القديم، وحي حمام القايد بنهج الملكي سابقا، وحي بئر جرادة بنهج الجزائر حاليا[3].

وبخصوص المواد التي استخدمت في البناء فهي متنوعة، منها حجارة المدينة القديمة[4]، والجير والرمل والإسمنت[5]، والخشب[6]. ويدل هذا التنوع على الوفرة في المواد الأولية، بفضل بيئة المدينة.

وعند وصفه لمملكة إفريقية (الدولة الحفصية)، التي كانت بونة من مدنها، ذكر العمري أن أبنية تونس، كانت تتم بالحجر والآ ر، وتسقف بالأخشاب، وتفرش بيوت أعيانهم بالرخام، وبأن بقية إفريقية جميعها محصنة، وممدنة، بها جوامع، ومساجد، وحمامات، وطواحين، وأسواق، وأن المدارس، والزوايا، والأربطة، والمارستانات تكاد تكون غير موجودة، واستثنى فاس ومراكش[7]. وكأن صاحب مسالك الأبصار يريد أن يقول أن حواضر بلاد المغرب كانت قليلة، وانتشار المرافق العامة محدودة في معظم المدن، ونذكر على سبيل المثال بونة، فالمصادر التي تناولتها سكتت عن الكثير منها.

---

[1]- دودو، أبو العيد، " **عنابة في نظر الرحالين الألمان** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو - يوليو 1976 م، 199- 201.

[2]- الكعاك، المرجع السابق، 55.

[3]- دحماني، المرجع السابق، 296.

[4]- الوزان، **وصف إفريقيا**،61/2.

[5]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[6]- الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[7]- العمري، **مسالك الأبصار**، 145،147.

أما روبار برنشفيك فاعتقد أن المساكن في العصر الحفصي، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع رئيسية، وهي الخيمة والكوخ والدار، ووصف شكل المسكن في مدينة تونس، أثناء القرنين 09 – 10هـ/15– 16هـ، كما يلي: مربع الشكل، له طابق واحد، غرفه مفتوحة من الأربع جهات على ساحة داخلية مبلّطة، مغطاة بسطح، وأضاف أن دار الميسورين تحتوي على بابيْن، أحدهما يفتح على الخارج، والآخر على سقيفة، كانت عادة ما تستخدم لاستقبال الضيوف، أو للجلسات الخاصة، وكانت نوافذ الغرف ضيقة، وقليلة الارتفاع، إلى مستوى يمكّن الجالس داخل الغرفة، من مشاهدة كل ما يحدث خارجها، وكانت الجدران، تبنى غالبا بالحجارة المنحوتة، أما السقوف فتصنع من الخشب، أو الجص، وأن إنارة البيوت ليلا، كانت تتم بقناديل الزيت، والشمع، الذي كان أقل انتشارا لغلاء سعره، وعرفوا كذلك ثقاب الكبريت، وأخذ شكل البناء يتحسن على يد المهاجرين الأندلسيين، الذين أدخلوا عليه لمسات جمالية، وتقنية[1].

وركّز السكان على مواد البناء المقاومة للرطوبة، والحرارة، وكانوا يخلطون رماد الخشب، والجير، والرمل، ثم يرشونها لفترات معينة بالزيت، والماء، فيشكّلون مادة جيدة صالحة لبناء الأقواس، والسقوف، وغيرها[2]. وهي سلوكات تعبّر عن قدرة الإنسان على التكيف مع بيئته، وعدم الاستسلام أمام قساوة طبيعتها.

إن غنى إقليم مدينة بونة (عنابة) بالموارد الطبيعية المختلفة، كان له الدور الأساس في بناء المدينة، وتعميرها، ونذكر هنا، المياه، والثمار، ومواد البناء، ومصادر طاقة، ومعادن، فضلا عن تأثير الظروف المناخية في نمط المنازل، وشكل الشوارع الملتوية، والضيقة، التي تساعد على حركة الرياح، مما يسمح بتوفر الهواء الصحي، والأماكن الظليلة.

رابعا: الأسواق الحرفية والتجارية:

إذا كانت مصادر التراث، التي وُظّفت في هذا البحث، قد ذكرت أسواق بونة (عنابة)، أشادت بها، فإنها لم تفصل في الحديث عنها، إلا أننا سنحاول القيام بوضع مخطط لأسواق المدينة،

[1]- برنشفيك، روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م**، تر. حمادي الساحلي، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988 م)، 2/ 295 - 298.

[2]- سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 م)، 2/ 448.

داخل السور في أواخر العهد الحفصي، أي أثناء القرن 09 هـ / 15 م، معتمدا أساسا على ما ورد في كتاب حسن دردور "ANNABA".

فقد عرفت المدينة في هذه الفترة، بأنها بلغت ذروة ازدهارها في النشاط التجاري، فضلا عن بعض الأنشطة الصناعية، وتمت الإشارة إلى الترتيب الدقيق للأسواق التجارية، والحرفية، وإلى أنها كانت تمارس تجارتها الخارجية عبر البحر، واستفادت من خامات جبل الإيدوغ، وأصبحت تصنع الأسلحة النارية، مثلما هو الحال في تونس، وبجاية، وكان لها عند مصب السيبوس أحواض لبناء السفن.

وأن هذه الأسواق، كانت تحتل نصف المدينة تقريبا، وكان لكل حرفة سوقها الخاصة، حتى أن أحياء وسط المدينة، اكتسبت أسماء من الأنشطة الرئيسية، وعرف عن سكان المدينة النزاهة، والإخلاص في العمل، وحسن المعاملة، وكانت المدينة تصدر ملح بسكرة، وقمح تيفاش، ومرجان القالة، وزيوت، وصابون منطقة القبائل، وتستورد جميع أنواع المعادن[1]. ونشير هنا إلى أن الجانب الأخلاقي مهم في حماية البيئة، فالتزام رواد الأسواق بقواعد العمل النزيه، يقلل من انتشار الغش، وفوضى رمي النفايات.

وعرفت المدينة عدة أنواع من الأسواق، وذلك حسب طبيعة الصنائع الممارسة، ونذكر على سبيل المثال: سوق السراجين، وسوق الحوكة، وسوق النجارين، وسوق الحجامين، وسوق العطارين، وسوق الجزارين، وسوق الجيارين، وسوق الحدادين، وسوق الفخارين[2]. فرغم وجود معظم الأسواق ذات الأنشطة الملوثة للبيئة في أطراف المدينة، إلا أن ذلك يشكل خطرا على الصحة العمومية.

كانت لمدينة بونة (عنابة) سوق أسبوعية، عند أبوابها من خارج السور[3]، وتوجد قربها قنطرة وادي بوجمعة، ولها ساحة مسورة بجدران من الحجارة، وتقع أقصى جنوب السور الغربي من الخارج،

[1] - Derdour, Op.cit., 347- 349.

[2] - Ibid.,349-354. الكعاك، المرجع السابق، 57 - 59.

[3] - الوزان، **وصف إفريقيا**، 62/2. كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

وبنيت داخلها عدة حوانيت، ويجتمع الناس في ساحتها مرة كل أسبوع، يفِدون من ضواحي المدينة، والأقاليم المجاورة، بأعداد كبيرة[1].

غم تخصصها في الحبوب، والمواشي، إلا أنها لم تخل من تداول منتجات أخرى، مثل: الملح، والخيول، والصوف، والشمع، ويرتاد السوق الحصايرية، وهم صناع الحصائر، والسجاد، والسماينية، الذين يخزنون الزبدة، والعسل، والقطراينية، تجار الزفت، والراتنج، ونمت تجارة القنّب، والكتّان على نطاق واسع في منطقة بونة (عنابة)، وكانت تصنع منهما الحبال، والقماش.

ولكن يبقى النشاط الرئيس لهذه السوق، هو تجارة الحبوب، وكان يباع القمح بالقنطار، والقفيز[2]، إلا أن مقاييس هذه الأوزان، والمكاييل تختلف من مدينة إلى أخرى، فقنطار بجاية وزنه 75,600 كغ، وقنطار بونة 65 كغ، وقنطار تونس 50,400 كغ، أما القفيز، فكانت سعته عند أهل بونة 187,58 لترا، وعند أهل تونس 175 ,92 لترا.

وكانت هذه السوق، تحفل كل خميس بالقوافل التجارية، فرغم أنها مربحة، إلا أن كثرتها، كانت تعيق الحركة بدرجة لا تطاق[3]، ويمكن الإشارة هنا إلى أن ليون الإفريقي، ومارمول كربخال، قد ذكرا أن السوق كانت تقام يوم الجمعة[4]، ربما أن هذا اليوم قد تغيّر من الجمعة إلى الخميس، فسكان بونة، كانوا يسمّون باب قسنطينة، الذي يوصل إلى السوق من داخل المدينة، باب الخميس[5].

ويرجح أن سبب نقل سوق الحبوب، وسوق المواشي، رغم أهميتهما إلى الساحات الفارغة خارج السور، إلى صغر مساحة المدينة، وضيق شوارعها[6]، إضافة إلى أن تجارة الحبوب والمواشي تهدد نظافة

---

[1]- مجهول، **الهدايا الملكية**، 143.

[2]- **القفيز**: ج. أقفزة وقفزان، وهو من المقاييس، وقد اختلف مقداره، ووحدة قياسه، حسب الزمان والمكان، فبالأوزان يساوي 25 رطلا بالبغدادي، وبالمكاييل يساوي 33 لترا = 12 صاعا = 48 مدّا = 08 مكاكيك (مكوك)، أي ويبة، أو كيلتان بمكاييلنا الحالية.والقفيز بعراق الكوفة، وبغداد مكياله يساوي 08 مكاكيك، وبعراق واسط، والبصرة يساوي 04 مكاكيك، وبالحجاز القفيز هو الصاع، وبإفريقية، فكان يساوي 16 ويبة، والويبة تساوي 12 مدّا قرويا، أي 08 أمداد بالكيل الحفصي، الذي يساوي 01،5 مدّا. **أنظر**: عمارة، المرجع السابق، 463 – 464.

[3] - Derdour, Op.cit., 353 - 354.

[4]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 62/2. كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[5]- جندلي، المرجع السابق، 61.

[6]– سعيدوني، المرجع السابق، 89.

المدينة، فهي عادة ما تخلف وراءها الأوساخ والروائح الكريهة، مما يضر بصحة السكان، ويشوه جمال المدينة.

يستنتج مما سبق أن كثرة الأسواق، وتنوّعها الحرفي، والتجاري، توحي بأن مدينة عنابة، تتمتع بحركة اقتصادية نشيطة، عبّرت عن حيوية ظهيرها الطبيعي، والبشري، الذي يزخر بمقومات الازدهار الاقتصادي، والاجتماعي، وقد قوَّى موقعها الساحلي تلك الحركة، فميناء المدينة نشَّط العلاقة بين الداخل، والخارج، وما تعاقب الأطماع الأجنبية على المدينة، لدليل على دورها الاستراتيجي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، أو بمعنى آخر أنه من العناصر الأساسية المكوِّنة للمدينة، هو دورها الذي به تنشأ، وتنمو، وتزدهر.

ويمكن أن نستعير هنا، عبارة ليلى الصباغ الأدبية، التي لخصت فيها طبيعة علاقات بونة مع البحر الأبيض المتوسط: "لقد عاشت علاقاتها المتوسطية بين أصفر وثلاثة أحامر: أصفر القمح، وأحمر العناب، وأحمر المرجان، وأحمر نجيع الجهاد عن العقيدة، والوجود"[1]. وهي إشارة إلى أن مدينة بونة تنتمي إلى بيئة غنية، ذات موارد متنوعة، استفزت أطماع الغزاة عبر التاريخ.

خامسا: الفنادق والحمامات:

ومن المرافق المرتبطة بالأسواق، الفنادق والحمامات، حيث نذكر هنا فندق "بيد إنجالا"، الذي كان يرتاده التجار من مختلف البلدان، البندقية، وجنوة، وفيورنتينا، وبيزة، وغيرها، و يخضع لرقابة أمنية، وجمركية[2]. وتكلمت المصادر عن وجود حمامات ببونة[3]، منها حمامات القائد، والتي توجد بحومة القائد شمال المدينة، وتميزت بطابعها المعماري الفني. والحمام مرفق ديني واجتماعي، وصحي ضروري عند المسلمين، وكان لكل حمام فرناق، يسمى عند المشرقيين مستوقدا، توضع فيه المزابل، والحطب، لتسخين الماء في أواني نحاسية، ثم توزيعه على المستحمين، وتتعدى مهمة الفرناق إلى تشويط رؤوس، وأكرع الأغنام، لذلك فمثل هذه المرافق ضرورية في كل حي[4]. لكن على الرغم من أهمية الفنادق

[1]- الصباغ، المرجع السابق، 162.

[2]- Derdour, Op.cit., 354.

[3]- البكري، **المغرب**، 55. الحميري، **الروض المعطار**، 115.

[4]- الكعاك، المرجع السابق،61 - 62.

والحمامات في تنشيط الحركة الاقتصادية في الأسواق، فإنه يمكن أن تكون مصدرا لتفشي الأمراض عن طريق العدوى، خاصة بين الأهالي والأجانب، الأمر الذي يوجب الحذر واليقظة من السكان والجهات الرقابية.

سادسا: ميناء المدينة:

تتوفر مدينة بونة (عنابة) على ميناء مؤمّن، أهّلها لتكون منفذا تجاريا[1]، وهو غير مستور عن رياح الشمال[2]، وهذا صحيح، لأن المدينة طبيعيا، مفتوحة شمالا.

ويعتبر هذا الميناء، من الملحقات الهامة المرتبطة بالمدينة، وهو من أشهر موانئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فهو محطة بحرية هامة، لمختلف أنواع السفن العابرة للمضيق السرديني . الصقلي . الإفريقي، من وإلى الحوض الشرقي، ويبعد عن جزيرة سردينيا جنوبا بمسافة 234 كم من رأس بوفحل. وظل الميناء يمارس دوره طيلة العصور الوسطى، فالسفن تستعمل مراسيه بالتناوب، وذلك حسب الحمولة، والأحوال الجوية، أو توجيهات مجهزي السفن، وأصحاب التأمينات، وأعوان الأمن. ويتكون ميناء بونة من ثلاثة مراسي أساسية، تمتد شمال وجنوب المدينة، وأقدمها الذي يوجد بجون بونة . سيبوس، ويليه مرسى الخروبة شمال المدينة، فمرسى ابن الألبيري أو مرسى البربر، المسمى حاليا شاطئ البرج الجنوي، الذي يلي الثاني شمالا. فمجموع المراسي، التي تكوّن "المجمع المينائي" لبونة، ي من تهيئة الطبيعة أساسا، حيث لم تشر المصادر المتوفرة إلى الدور، الذي قام به الإنسان لتهيئتها، وتجهيزها. وقد ساعد وجود غابات كبيرة قرب الساحل، منها غابة الإيدوغ، على قيام صناعة للسفن، أو على الأقل إصلاحها، حيث تشير بعض الشهادات، إلى وجود معمل لتزفيت السفن بجون البرج الجنوي، يبعد عن المدينة شمالا بمسافة تقدر بـ 04.5 كم.

تقع مراسي بونة، بما فيها مرسى خليج بونة المنيع، قرب منطقة ساحلية سهلية، تستوجب اعتناء أمنيا ودفاعيا، خاصة وأن الميناء معرض باستمرار إلى التهديدات الخارجية، حيث أن المواقع الطبيعية الممتدة من

[1]- دحماني، المرجع السابق، 278.

[2]- كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

رأس الحمراء إلى رأس بوفحل، بساحل خليج بونة، مؤهلة للحراسة والدفاع، بمعنى أن الخليج يقع تحت مراقبة الرأسين[1].

كانت ترسو بالميناء سفن تجارية، وعسكرية، مثل: مراكب القيطاني والفخري[2]، خاصة من نوع الشواني الكبيرة، والغراب الصغيرة، ومركبات صيد ونقل المرجان، تأتي من مختلف مدن البحر المتوسط مثل: تونس وبجاية وغيرهما[3]. وتجدر الإشارة هنا بأن السفن وسيلة لنقل الأمراض والأوبئة، فكثيرا ما تحمل معها القوارض، والحيوانات الضالة، والحشرات التي تشكل مصدرا رئيسا للعدوى، إضافة إلى التلوث الذي يصيب مياه البحر، نتيجة التخلص من النفايات.

عليه يمكن القول، أن مدينة عنابة (بونة الحديثة)، التي ظهرت بشكلها الجديد في القرن 05 هـ / 11 م، قد صُنفت من المدن المتوسطة الحجم حسب الجغرافيين الذين زاروها، ورغم أنه لم تتوفر فيها مواصفات الحواضر الإسلامية التي بنيت في المشرق المغرب الإسلاميين، فإنها خضعت إلى نفس المقاييس العامة في اختيار موقعها، وفي وضع مخططها، الذي يتكون أساسا من المسجد، ودار الإمارة، وخطة المدينة (التركيب الداخلي)، ولم تشذ عن بقية المدن الإسلامية، حيث كان للاعتبارات البيئية دور رئيس في تأسيسها، فالمعطيات الـ أوردها الرحالة والجغرافيون في مصنفاتهم عن المدينة، تنسجم مع هذه الاعتبارات، مثل: ملاءمة المناخ، ووفرة المياه، وارتفاع المكان، وخصوبة التربة. لكن هذه الظروف البيئية المثالية، لم تجنب المدينة بعض الأخطار الطبيعية، مثل: الفيضانات، والزلازل، والأخطار البشرية، التي اقترنت داخليا بالحروب السياسية، والتنازع عن المدينة بين الدول الإسلامية، التي عرفتها بلاد المغرب أثناء الفترة المدروسة، فضلا عن الأطماع الأوروبية، وحروب القرصنة التي عرفتها منطقة البحر الأبيض المتوسط.

[1]- دحماني، المرجع السابق،277 – 283.

[2]- مجهول، **كتاب الاستبصار**، 127.

[3]- دحماني، المرجع السابق، 283.

الفصل الثالث
الكوارث الطبيعية وأثرها على البيئة في مدينة عنابة

المبحث الأول: أسباب الكوارث الطبيعية التي أصابت المدينة.

أولا: البنية الجيولوجية الضعيفة.

ثانيا: التقلبات الجوية.

ثالثا: الفتن والحروب.

المبحث الثاني: أنواعها.

أولا: الزلازل.

ثانيا: الفيضانات.

ثالثا: الجفاف.

رابعا: الجراد.

خامسا: الأمراض والأوبئة.

المبحث الثالث: أثرها على سكان المدينة.

أولا: اضمحلال دور ومكانة المدينة.

ثانيا: تدهور حالة السكان.

ثالثا: الثورة على الحكام.

رابعا: الاهتمام بفقه النوازل ونظام الحسبة لحماية البيئة.

تنتمي مدينة بونة (عنابة) إلى منطقة غير مستقرة جيولوجيا، وذات تقلبات مناخية، مما جعلها عرضة إلى عدة جوائح[1]، ألحقت أشد الأذى بعمرانها، وحياة الإنسان فيها. وقد أعاقت الكوارث الطبيعية، والحروب الداخلية والخارجية، التي ارتبطت بالصراعات السياسية، والأطماع الخارجية، ازدهار المدينة في معظم الفترة التاريخية المدروسة.

المبحث الأول: أسباب الكوارث الطبيعية التي أصابت المدينة:

أولا: البنية الجيولوجية الضعيفة:

تقع بونة (عنابة) في منطقة، تعتبر من المناطق النشطة زلزاليا[2] في العالم، وهي منطقة حزام البحر الأبيض المتوسط، والذي يمتد من منطقة البحر المتوسط، مارا بالقوقاز إلى جبال الهيملايا، وحزام المحيط الهادي، وحزام الشرق الإفريقي[3].

ويعود بروز المكان، الذي تتوضع عليه بونة (عنابة) إلى أواخر الزمن الجيولوجي الثالث (07 - 06 مليون سنة ق.م.)، ولم تبق إلا سطوح ماء، كوّنت بحيرات حقيقية، مثل: بحيرة فزارة، أو بحيرات منطقة القالة. وأخذت في نفس الوقت تحركات الأرض، والطيّات إلى تشكيل التضاريس، أثناء العهد الجيولوجي الثالث، ويبدو أن خليج بونة ناتج عن انهيارات في صخور الإيدوغ الصلب، معاصر لهذه الفترة. وهكذا تبرز الملامح العامة للتضاريس، والساحل إبان الزمن الجيولوجي الرابع في الهيئة، التي هي عليها اليوم[4].

---

[1]- **الجائحة**: هي الشدة التي تجتاح المال من سَنة، أو فتنة، ويقال: جاحتهم الجائحة، أي اجتاحتهم، وجاح الله ماله، وأجاحه، بمعنى أهلكه. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**،360/1. وهي كل ما يعجز الإنسان عن دفعه، أو الاحتراس منه أو ضمانه، كالآفات الطبيعية الأرضية، والسماوية، والجيوش. **أنظر**: المطيرات، عادل مبارك، **أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظريتي الضرورة والظروف الطارئة** (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة قسم الشريعة الإسلامية)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1422 هـ / 2001 م، 17- 18.

[2]- **الزلزال**: هو هزة أرضية سريعة، ومفاجئة، قصيرة الأمد، تصيب القشرة الأرضية، وسبب الزلازل الأكثر انتشارا، هو انكسار مفاجئ تتعرض له صخور القشرة الأرضية، أو في الغلاف الخارجي، نتيجة لتعرضها لقوى الإجهاد من ضغط أو شد. **أنظر**: الدنيا، علي، **مبادئ الجيولوجيا**، (قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993 م)، 218/1.

[3]- نفسه، 224/1.

[4]- دحماني، المرجع السابق، 15.

تنسب بونة (عنابة) جيولوجيا إلى أواخر الزمن الثاني، وأن الزمن الثالث، الذي استمر بها 60 مليون سنة، قد عاشته في حالة تشكّل[1]، فهي إذن حديثة التكوين.

وعليه فإن إقليم البحر الأبيض المتوسط الغربي، يعتبر من الأقاليم النشطة زلزاليا، والمشهورة بتاريخها الزلزالي، فالمنطقة معرضة باستمرار، إلى زلازل قوية، ومدمرة[2]. ويجب أن نشير، إلى أن مدينة بونة، لم تكن في منأى عن الزلازل المدمّرة، التي تعرضت إليها بقية مدن بلاد المغرب الإسلامي، خاصة تلك التي تطل على البحر الأبيض المتوسط.

ثانيا: التقلبات الجوية:

يسود بونة (عنابة) مناخ[3] المناطق المعتدلة الدافئة، التي تنحصر بين مدار السرطان، والقطب الشمالي، وهي منطقة تتعاقب فيها الفصول الأربعة، وتتميز باختلاف درجات الحرارة، في فصلي الشتاء والصيف، مع اختلاف طول الليل والنهار، وينعكس ذلك على طبيعة المناخ، والأمطار، والنبات والتربة[4].

ويمكن الإشارة مناخيا، أنه في دراسة الضغط[5]، والرياح لأية منطقة، أو دولة مهما كبرت مساحتها، فإنه لا يمكن حصر هذه الدراسة على أراضي المنطقة المعنية فقط، إذ أن حركة الرياح، والكتل الهوائية تحكم بفعل توزيع مناطق الضغط، وارتباطها ببعضها على مستوى عروض بأكملها، ومحيطات، وقارات على اتساعها، وتبقى المؤثرات المناخية العامة، خاصة فيما يتعلق بالضغط، والرياح عاملا مهما في تشكل أي إقليم مناخي[6].

---

[1]- جندلي، المرجع السابق، 38.

[2]- آغا، شاهر جمال، **الزلازل، حقيقتها وآثارها**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أوت 1995 م) ع. 200، 192- 193.

[3]- **المُناخ**: هو متوسط حالة الطقس في إقليم ما، لسنوات طويلة تبلغ 35 سنة، وهي المدة التي تتم فيها دورة مناخية كاملة، تتمثل فيها كل الأحوال المناخية العادية، والشاذة. **أنظر**: كردوس، صلاح الدين، **أسس الجغرافيا الطبيعية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 م)، 189.

[4]- جندلي، المرجع السابق، 44 - 45.

[5]- **الضغط الجوي**: هو وزن طبقات الهواء فوق اليابس، ويقاس بجهاز يسمى البارومتر، ويبلغ الضغط الجوي عند مستوى سطح البحر 1013,2 مليبار، ويعتبر الضغط مرتفع، إذا زاد عن ذلك، وينخفض، إذا قل عن ذلك. **أنظر**: كردوس، المرجع السابق، 198.

[6]- فايد، يوسف عبد المجيد، **مناخ لبنان بين البحر والجبل**، (بيروت: جامعة بيروت العربية، 1972 م)، 11.

وتتأثر منطقة البحر المتوسط[1] بعدة مراكز ضغط، وهي منطقة الضغط المنخفض الأيسلندي[2]، ومنطقة الضغط المرتفع الآزوري[3]، ومنطقة الضغط المرتفع الألبية[4] الشتوية، ومنطقة الضغط المرتفع، التي تتشكل فوق روسيا شتاء، ثم منطقة الضغط المنخفض المتوسطية، التي تحدث فوق البحر المتوسط نسبيا في الشتاء[5].

ومن خصائص مناخ هذا الإقليم، بأن أمطاره تسقط في فصل الشتاء الدافئ، في حين أن الحرارة تتراوح بين الحار والدافئ في فصل الصيف، الذي يكون جافا. ولا يوجد إقليم آخر في العالم، يتسم بحرارته، وجفافه صيفا، ودفئه وأمطاره شتاء، سوى إقليم البحر المتوسط[6]. وعليه فإن مدينة بونة، قد تأثرت سلبا بمناخ البحر المتوسط، الذي يتميز بتقلباته، وعدم انتظامه، خاصة من حيث الأمطار، التي تتساقط بغزارة إلى درجة الفيضانات تارة، وتنحبس لشهور، معرضة المنطقة إلى حالة قحط وجفاف تارة أخرى، وهو الأمر الذي ينعكس على حياة وأنشطة السكان خاصة في فصل الشتاء.

---

[1]- يقع هذا الإقليم في المنطقة التي تتعاقب فيها الرياح التجارية مع الرياح العكسية، فعندما تكون الشمس عمودية على مدار الجدي، يتحرك نطاق الرياح العكسية جنوبا، ويؤثر على المنطقة بين دائرتي عرض 30 – 40° شمالا. أما إذا كانت الشمس عمودية على مدار السرطان، فإن نطاق الرياح التجارية يتحرك شمالا، ويؤثر على المنطقة بين دائرتي عرض 30 – 40° شمالا، في حين تتزحزح الرياح العكسية في النصف الجنوبي للكرة الأرضية، نحو الشمال متسببة في أمطار إعصارية على الطرف الجنوبي للأرض أين يسود هذا الإقليم. ويعد حوض البحر المتوسط أهم وأكبر منطقة في العالم، تمثل مناخ هذا الإقليم. ويتراوح المعدل الحراري اليومي في فصل الصيف ما بين 25 – 27°، وقد تتعدى 30° في بعض أيام الصيف، ولتغلب فترة الجفاف، فإن المدى الحراري اليومي كبير. أما الشتاء فحرارته معتدلة، والمدى الحراري اليومي ضعيف، لا يتجاوز 04 أو 05°، ويتراوح المعدل الحراري اليومي ما بين 05 – 12°، لكن في النهار تتجاوز درجة الحرارة 12°. ومن حيث التساقط السنوي للأمطار، فإنه يتراوح بين 375 – 630 مم، وتسببها أعاصير الرياح العكسية المتجهة من الغرب إلى الشرق، هذه الأمطار تتميز بتذبذبها، أي أنها غير منتظمة في المواعيد أو في الكميات. وتتساقط في الفترة ما بين ديسمبر– مارس، وتتخلل الأيام المطيرة أيام جفاف، ولذلك تكون دافئة نهارا، أما ليلا، فإنها تصبح شديدة البرودة بسبب زوال حرارة الإشعاع الشمسي، ويغطي إقليم البحر المتوسط حوالي 02 % من مساحة اليابس. **أنظر**: كردوس، المرجع السابق، 234 – 235.

[2]- **أيسلندا**: جزيرة تقع بالمحيط الأطلسي، شمال غرب أوروبا. **أنظر**: **Atlas de poche**, 12.

[3]– **الآزور**: جزر تقع بالمحيط الأطلسي، غرب البرتغال. **أنظر**: Ibid., 188.

[4]– **الألبية**: نسبة إلى جبال الألب، التي تقع جنوب أوروبا، و تشغل أراضي فرنسية، وسويسرية، وإيطالية، ونمساوية، وألمانية. **أنظر**: Ibid., 188.

[5]- فايد، المرجع السابق،11، حسن، محمد إبراهيم، **دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط**، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1999 م)، 44.

[6]- كردوس، المرجع السابق، 234.

ثالثا: الفتن والحروب:

شكلت الحروب، والفتن السياسية سِمة أساسية من سمات العصر الوسيط، إذ لا تكاد الحروب تنتهي حتى تبدأ من جديد، فبونة الحديثة (عنابة) منذ ظهورها في القرن 05 هـ / 11 م، مثلما عرفت ات استقرار، وازدهار، فإنها تورطت في عدة أحداث سياسية، جلبت لها الدمار والخراب، والجوع، والأمراض.

لقد انخرطت المدينة في عدة حروب، كانت لها انعكاسات كارثية على مستقبلها، ونذكر على سبيل المثال النشاط البحري الحربي، الذي ميّز العلاقات الإسلامية الأوروبية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث تعرضت لغارات سكان بيزة[1] الإيطالية، الذين احتلوها عام 426 هـ/1034 م. لقد جنى الموقع على المدينة، لأن البيزيين اختاروا بونة (عنابة) كهدف لغزوهم، لقرب المسافة بينها، وبين مدينة كاغلياري[2]، التي تعتبر الأقصر بين إفريقيا، وسردينيا، وأن المنطقة معروفة لديهم منذ القديم[3]. وتدخل هذه الغارات في إطار حروب القرصنة، والتنافس الإسلامي الأوروبي من أجل السيطرة على البحر المتوسط، إضافة إلى الرغبة في نهب موارد المدينة، خاصة المرجان والثروة السمكية، وتبرز خطورة مثل هذه الحروب على البيئة، والحياة الحضرية ببونة في سفك الدماء، وتخريب الاقتصاد، وحرق الغابات، وانتشار التلوث، والأمراض، والأوبئة.

وفي ظل بوادر تراجع قوة المسلمين، وصحوة الأوروبيين، ظهر النورمانديون[4] على مسرح الأحداث، حيث انتزعوا صقلية من المسلمين عام 452 هـ / 1060 م، وافتتحوا الحروب الصليبية بالبحر الأبيض المتوسط، واستولوا على مالطا سعوا إلى غزو بلاد المغرب، مستغلين أزماتها السياسية، والزحف الهلالي القادم من المشرق. ويحتمل أن تسوير بونة (عنابة)، يعود إلى تواجد الخطرين النورماندي، والهلالي بالمنطقة، حيث رأى سكان المدينة، أن ذلك يجنبها هجمات الداخل

---

[1]- مدينة تجارية إيطالية، ذاع صيتها في القرون الوسطى، أثناء حروب القرصنة إلى جانب مدن إيطالية أخرى، مثل البندقية وجنوة، ومنذ القرن الـ5هـ/11م، تفرغت هذه المدن للتجارة في منطقة البحر المتوسط، وكانت علاقاتها مع المسلمين غير مستقرة. **أنظر**: مؤنس، المرجع السابق، 298.

[2]- مدينة تقع جنوب جزيرة سردينيا، غرب إيطاليا، في الحوض الغربي للبحر المتوسط. **أنظر**: **Atlas de poche**, 65.

[3]- بورويبة، المرجع السابق، 68.

[4]- **النورمانديون** (الشماليون): هم شعب الفايكنغ (Vikings)، الذي غزا جنوب أوروبا منذ القرن 03 هـ / 09 م، قادما من شمال القارة، أين منطقة اسكندينافيا. **أنظر**: مؤنس، المرجع السابق، 288.

والخارج، وإن كان هذا موجها على الأرجح ضد الخطر الخارجي، وتكون بونة الحديثة (عنابة)، قد تأسست في هذه الفترة، حيث بنيت في مكان منيع[1]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النورمانديين والهلاليين شعبان تعودا على حياة البداوة، التي تقوم على البساطة، والخشونة، والتقشف، وهي صفات تتناقض مع حياة المدينة. وتواجد هؤلاء قرب أبواب بونة (عنابة) شكل تهديدا لحياة سكانها، واستنزافا لثرواتها، واعتداء على بيئتها الطبيعية.

كانت بونة (عنابة) شريكا فاعلا في الأحداث، التي ارتبطت بالعلاقات الزيرية الحمادية، حيث يلاحظ أن الدولة الزيرية، ضعفت كثيرا بعد وصول الهلاليين إلى إفريقية، وانحسر مجالها الجغرافي بمدينة المهدية ونواحيها، فاستغل الأمير الحمادي الناصر بن علناس الظروف، لاحتلال مدينة بونة (عنابة)، وجميع الموانئ الموجودة بينها، وبين تونس[2]. وفي عهد يحي بن العزيز آخر الحكام الحماديين, كانت بونة (عنابة) تحت ولاية أخيه الحارث، الذي حاول الصمود أمام توسع الموحدين, ولما فقد السيطرة على المدينة، استنجد الحارث سنة 548 هـ / 1153 م بملك صقلية روجار الثاني[3].

استجاب روجار ملك الفرنج (النورمان) بصقلية للنداء، وأرسل أسطوله العسكري بقيادة فيليب المهدوي، لاحتلال بونة بمساعدة الهلاليين عام 548 هـ / 1153 م، فخرّب المدينة، وأسر أهلها، ولم يسلم من بطش الغزاة إلا بعض علماء الدين، الذين كانوا من الصالحين في المدينة, حيث ترفّق بهم فيليب، ومكّنهم من مغادرة بونة بأهاليهم، وأموالهم إلى المناطق المجاورة، وبعد قضاء عشرة أيام رجع المهدوي إلى المهدية، ثم عاد إلى صقلية، أين اتهمه الملك روجار بالخيانة، بسبب معاملته بعض المسلمين برفق، فأقام له محاكمة، قضت بإعدامه حرقا[4].

[1]- الصباغ، المرجع السابق، 143- 144.

[2]- بورويبة، المرجع السابق، 71.

[3]- دحماني، المرجع السابق، 65.

[4]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 391/9.

ثم تعرضت بلاد إفريقية إلى غزو آخر، لا يقل بشاعة عن الخطر النورماندي، وتمثل في ثورة بني غانية[1]، التي قامت عام 580 هـ / 1183 م في بداية فترة حكم يعقوب المنصور الموحدي، واستمرت أكثر من خمسين سنة، واستفحل أمر هذا الخطر الجديد بشكل واضح حوالي سنة 599 هـ / 1202 م، في عهد الناصر الموحدي، حيث نجحوا في الاستيلاء على معظم مدن إفريقية، التي أصابها الفساد والخراب، إلى أن جاء الناصر بشخصه على رأس جيش كبير، فاستطاع بذلك هزم جموع بني غانية، التي اضطرت إلى الفرار، واللجوء إلى الصحراء[2].

وبغرض إعادة إدماج بلاد افريقية داخل الدولة الموحدية[3]، أسند الخليفة الموحدي الناصر (595 – 611 هـ / 1198 – 1213 م) ولاية هذه المنطقة إلى وزيره الأول أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بصفة مؤقتة، وذلك للقيام بمهمة تحطيم حكم بني غانية, وكانت الحملة موفقة ولكن ابن أبي حفص قرر البقاء نهائيا بإفريقية. وكانت بونة (عنابة) جزءا من الدولة الحفصية[4] إلى أوائل القرن 10 هـ / 16 م, ولعبت دورا مركزيا، باعتبارها ثغرا، ومنطقة حدودية. وتدعّم مركز المدينة، عندما شرع السلطان أبو زكرياء الأول (625 - 647 هـ / 1228 - 1250 م) في توسيع نفوذ السلطنة الحفصية غربا، أين النفوذ الحمادي سابقا، فزحف أبو زكرياء الأول سنة 626 هـ / 1229 م على قسنطينة، وبجاية، وعيّن عليهما عامليه.

ويمكن الإشارة، إلى أن حكام بونة (عنابة)، كانوا ينتمون إلى العائلة المالكة منذ بداية العهد الحفصي, فحوالي سنة 626 هـ / 1229 م كان عامل بونة، هو أبو علي عمر بن أبي موسى عم الملك,

---

[1]- **بنو غانية**: ينتمون إلى قبيلة مسّوفة البربرية، هم ثوار على الموحدين من بقايا المرابطين، استقلوا بجزر البليار شرقي الأندلس عن دولة الموحدين، ثم انتقلوا إلى بجاية، وتحالفوا مع الهلاليين، قضى عليهم الموحدون في البليار عام 600 هـ / 1203 م، وأخمدت ثورتهم التي كان يقودها يحي بن إسحاق الميورقي بإفريقية، والمغرب الأوسط في منطقة الزاب عام 604 هـ / 1207 م. **أنظر**: مؤنس، المرجع السابق، 181.

[2]- حاجيات، عبد الحميد، " **عنابة في عهد الحفصيين** "، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو – يوليو 1976م، 75.

[3]- دام حكم الدولة الموحدية بالمغرب، والأندلس ما بين: 524 - 668 هـ / 1130 - 1269 م. **أنظر**: مؤنس، المرجع السابق، 181.

[4]- تأسست الدولة الحفصية سنة 627 هـ / 1229 م بتونس من طرف أبي زكرياء يحي، الذي استقل عن دولة الموحدين، وتنسب هذه الدولة إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي المصمودي، من أقدم أصحاب المهدي بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية في المغرب الأقصى. **أنظر**: برنشفيك، المرجع السابق، 42/1، 49 - 50.

وفي سنة 636 هـ / 1239 م كلف نفس الملك، أبا يحي زكرياء على المدينة, ولما توفي هذا الأخير، أصبحت بونة (عنابة) تحت ولاية أخيه أبي عبد الله محمد سنة 646 هـ / 1950 م، وقد دفن بالمدينة السلطان أبو زكرياء نفسه، الذي توفى سنة 647 هـ / 1251 م بالقرب من ضريح أبي مروان الشريف، ولم ينقل جثمان السلطان إلى قسنطينة، إلا في سنة 666 هـ / 1270 م.

وانتهى الثغر الغربي من السلطنة الحفصية إلى تشكيل كتلة متباينة, عندما استقل أبو زكرياء الثاني ابن أبي إسحاق ببجاية, وفرض سيطرته على قسنطينة، وبونة (عنابة)، والزاب[1], حيث عمل على تدعيم مركزه ضد تونس, ومن أعماله تقوية موقع بونة (عنابة)، ولم يتوقف حكام تونس على مهاجمته طيلة مدة حكمه من 683 – 689 هـ / 1284 – 1300 م, وأثناء هذه الفترة تم بناء القلعة الحفصية على جبل عابد شمال غرب المدينة[2].

وتجدر الإشارة، إلى أن بونة (عنابة)، قد استهدفها التحرش الإسباني، بعد سقوط غرناطة بسنوات قليلة، حيث احتلت عام 917 هـ / 1510 م، إلا أن هذا الغزو، لم يمكث طويلا، وفضلوا توجيه معظم جهودهم نحو بجاية، ولما استنجد الأمير الرشيد الحفصي بخير الدين بربروس[3] سنة 941 هـ / 1533 م، ضد أخيه الحسن بن محمد عميل الأسبان، رحب سكان بونة (عنابة) بخير الدين، وساعدوه على إعادة فتح تونس، فكان ذلك أول عهد انضمام المدينة إلى العثمانيين[4]، وقد وقّع الأمير الحفصي الحسن بن محمد اتفاقية مع الأسبان، اعترف فيها بسيادتهم على المنطقة، وهو مؤشر على زوال تبعية بونة للدولة الحفصية، الأمر الذي مكّن أسبانيا من احتلال بونة (عنابة) مرة ثانية سنة

[1]– **الزاب**: منطقة تقع ببلاد المغرب، تعرف بالزاب الكبير، وتضم عدة مدن منها: بسكرة، وقسنطينة، وطولقة، وتوزر، ونفطة، وقفصة، ونفزاوة، وبادس. **أنظر**: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 3/ 124.

[2]– دحماني، المرجع السابق، 68 – 73.

[3]– هو بحّار، وتاجر تركي، ارتبط اسمه بحروب القرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، واسمه الحقيقي خضر بن يعقوب، ولد من أمَة مسيحية عام 871 هـ / 1466 م بالروميلي، أطلق الأوروبيون عليه، وعلى شقيقه عروج لقب بربا روس نسبة للحية الحمراء المائلة للصفرة، ضمَّ خير الدين الجزائر إلى الدولة العثمانية سنة 924 هـ / 1518 م. **أنظر**: التر، عز الدين سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، (ط.1، بيروت: دار النهضة العربية، 1989 م)، 27 – 72.

[4]– **العثمانيون**: هم شعب تركي، ينحدر من قبيلة قايي، التي كانت تسكن شمال بحر الخزر(بحر قزوين)، دفعهم الغزو المغولي إلى الاستقرار في آسيا الصغرى(تركيا)، واندمجوا في دولة سلاجقة الروم، حيث برز عثمان أرطغرل، الذي تنسب إليه الدولة العثمانية، التي أسسها عام 699 هـ / 1299 م. **أنظر**: مؤنس، المرجع السابق، 356.

943 هـ / 1535 م[1]. وبعد خمس سنوات تحررت المدينة من الاحتلال الأسباني، وأدمجت في الإيالة الجزائرية العثمانية[2].

ويمكن هنا التذكير بالأوضاع السياسية، والاقتصادية التي كانت تسود بونة (عنابة)، وأطرافها في نهاية العهد الحفصي، والحقيقة التي لا نستطيع تجاهلها، أن الأقطار المغاربية كلها، كانت تعيش أثناء القرن 09 هـ / 15 م في جو مضطرب، مليء بالفتن، والصراعات، حيث تقاتل الأمراء في مختلف المناطق، وتنافسوا، وتهالكوا على الحكم، والمناصب العالية، وقد شغلهم ذلك عن إدارة شؤون البلاد، التي كانت في حاجة إلى التنمية، والإصلاح، والاعتناء بإحياء الموات، والدفاع عن حماها، وصد غارات الأوروبيين[3]. وما يمكن قوله أن تلك الحروب، والصراعات السياسية، قد أتت على مقدّرات بونة (عنابة)، وأعاقت نموها، وازدهارها، حيث كلما انفرجت الأوضاع، إلا وتعقدت بفعل تسارع الأحداث، وكثرة النزاعات المحلية، والغارات الأوروبية. كلها ظروف أدت إلى الاعتداء على بيئة المدينة، وتخريبها، وعرضت سكانها إلى الفقر، والمجاعات، والأمراض.

[1]- حاجيات، المرجع السابق، 83 - 84.

[2]- جندلي، المرجع السابق، 306.

[3]- حاجيات، المرجع السابق، 82 - 84.

المبحث الثاني: أنواعها:

أولا: الزلازل:

سبق وأن ذكرنا أنّ مدينة بونة (عنابة)، تنتمي إلى منطقة غير مستقرة جيولوجيا، والتي تتمثل في حزام الزلازل، الذي يمر بحوض البحر الأبيض المتوسط، وهي معرّضة باستمرار إلى الهزات الأرضية. لكن المصادر، والمراجع التي بين أيدينا، لم تذكر تاريخ هذه الظاهرة الطبيعية بالمدينة، فإذا لم تتوج هذه الدراسة بذكر أمثلة للزلازل، التي أصابت ـة (عنابة) بالتحديد، فهذا لا يعني أنها لم تعرف الزلازل عبر عصورها المختلفة، ويمكن تدعيم ذلك ببعض الزلازل، التي هزت مجموعة من الأقاليم دفعة واحدة، ومن المرجح أن بونة (عنابة) من ضحاياها.

وقد عرفت سنة 245 هـ / 859 م ببلاد المغرب، زلزالا عنيفا، تسبب في إلحاق خسائر جسيمة، حيث تهدمت الحصون، والمنازل، والقناطر، وغيرها، وفي نفس هذا العام، أصابت الزلازل عدة مناطق بمختلف أنحاء العالم، فأدت إلى تخريب القلاع، والمدن، والجسور، وهلك عدد كبير من الناس[1]. وفي سنة 267 هـ / 880 م، حدث زلزال عظيم، هدّم القصور، وأحدث انهيارات صخرية بالجبال، واضطر الناس إلى الهروب، من المدن إلى الفضاءات الخالية، من شدة اضطراب الأرض، وسقطت الدور، والسقوف، والجدران، وتركت الطيور أوكارها، وأفراخها، حتى سكن الزلزال، وشملت هذه الهزات بلاد الأندلس، والمغرب، إلا أنه من حسن الحظ، لم يسقط ضحايا من السكان[2]. ولم تكن بونة في منأى عن مثل هذه الهزات، فهي تقع في منطقة، تنتمي إلى خط الزلازل.

ويذكر أنه في عام 472 هـ / 1079 م حدث زلزال مدمرا ببلاد المغرب، هدم المباني، وقتل فيه خلق كثير تحت الركام، وسقطت الصوامع، والمنارات، وكانت له توابع لمدة شهرين، مما أوقع في نفوس الناس الخوف والرعب[3]. وتعبّر آثار الزلازل عن الدمار والخراب، الذي لحق المدن مثل: بونة (عنابة) عبر التاريخ، وخطورة ذلك على تطورها في جميع المجالات.

---

[1]- الغنيم، عبد الله يوسف، **سجل الزلازل العربي: أحداث الزلزال وأثرها في المصادر العربية**، (ط.1، الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية، 2002 م)، 86 - 87.

[2]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 97.

[3]- نفسه، 168.

ارت المصادر كذلك، إلى أن الأرض أصابها زلزال شديدا في عام 702 هـ / 1303 م، شمل عدة بلدان، تقع حول البحر الأبيض المتوسط، مثل: مصر، والشام، وبرقة، وتونس، وصقلية[1]، وقابس، ومراكش، والأندلس، وقبرص، وأنطاكية، والقسطنطينية، وأحدث خرابا كبيرا للجوامع، والمدارس، والمساكن، والكنائس، وتعرضت المنطقة إلى مدّ بحري، وقتل عدد كبير من الناس[2]. وعدم ذكر بونة (عنابة) هنا، لا يعني أنها لم تتعرض إلى هذا الزلزال، فهي تشترك مع تلك المدن، في نفس المنطقة الجغرافية. وما يمكن استنتاجه، أن الكوارث التي تخلفها تلك الزلازل، قد تؤدي إلى تغيير بنية السكان، وإعادة توزيعهم، وفي الغالب تدفع هؤلاء السكان إلى الهجرة، من المناطق المنكوبة إلى مناطق أخرى، بل حتى نقل العمران، من تلك المناطق المتضررة، إلى مناطق مجاورة، إذا كان الدمار شاملا.

ويتبيّن من ردود فعل الناس نحو الزلازل، ظهور سلوكيات متنوعة، ففي الزلازل العنيفة، يخرج الناس إلى البراري، وإلى الأماكن الخالية من البنيان، خاصة إذا تميزت تلك الزلازل بحدوث هزات متتابعة، وكان الفارون من هذه الحوادث الطبيعية، يبنون مساكن مؤقتة من الخيام، أو من الخشب، أو الأكواخ، وكان الناس يسارعون إلى النجاة بأنفسهم من بيوتهم، وأسواقهم، كلما اهتزت الأرض. وقد يستغل اللصوص هذه الظروف، فيشيعون الذعر في النفوس، بأن زلزالا سيحدث في وقت ما، ليترك الناس المنازل، ويخلون المدن لهم، مما يسهل مهمتهم في نهب الممتلكات، وسرقة الأموال[3]. ويتضح مما سبق أن مدينة بونة (عنابة) لم تكن حالة استثنائية، حيث كلما أصابتها الزلازل، إلا وعمّها الدمار، والخراب، وتعرض سكانها إلى القتل، والتشرد.

---

[1]- جزيرة إيطالية، تشرف على مضيق صقلية الذي يربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي.
أنظر: **Atlas de poche**, 65, 92-93.

[2]- الغنيم، المرجع السابق، 187- 188.

[3]- نفسه، 373 - 374.

لقد عرفت مدينة بونة (عنابة) إلى جانب الزلازل آفات أخرى، تمثلت في الفيضانات، والقحط[1]، والجفاف، وما صاحبها من حرائق، وزحف الجراد، ومجاعات، ا أضرّ بها صحيّا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتسببت في اختفاء الأقوات[2]، وهلاك كثير من السكان.

ثانيا: الفيضانات:

سبق وأن أوردنا، أن طبيعة المناخ السائد بالمدينة، جعلها معرضة دوريا للفيضانات، وخاصة السهول الواقعة، قرب منحدرات جبال الإيدوغ، وكم من مرة اكتسحت السيول الجارفة، والفيضانات العارمة، مساحات شاسعة من الحقول، والأحياء السكنية، حتى المقابر لم تنج من المياه، وهذا يؤكد أن تاريخ الفيضانات، ارتبط بمختلف العصور، ويمكن التذكير هنا، إلى أن الفيضانات التي كانت تغمر مدينة هيبون منذ القديم[3] كانت من أهم العوامل، التي أدت إلى بناء بونة الحديثة (عنابة)، كما أشرنا إليها في صفحات سابقة، حيث كانت بونة القديمة محاصرة بالأراضي الرطبة، التي يمر بها وادي السيبوس وبوجمعة.

كما هبت عام 679 هـ / 1280 م عواصف قوية، وهي عبارة عن رياح شمالية شرقية، عادة ما تحدث في فصلي الخريف والشتاء، دامت ستة أشهر، فتفشّت الأوبئة، والأمراض الكثيرة، حيث لم تسلم منها، الكائنات الحية بمختلف أنواعها، فتسببت في هلاك الكثير من الناس، والمواشي، وإتلاف المزروعات[4]. فمثل هذه العواصف، تكون مصحوبة في بعض الأحيان بأمطار فيضانية، تخلف وراءها الدمار، والخراب، والأمراض، والأوبئة.

فبونة (عنابة) كغيرها من مدن بلاد المغرب، كانت معرضة إلى ظروف مناخية قاسية من حين إلى آخر، فإلى جانب الفيضانات، تعرضت إلى ظاهرة الجفاف.

---

[1]- **القحط**: هو الجدب، قحط المطر: احتبس، أُقْحَط القوم: أصابهم القحط. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1151/3.

[2]- **القوت**: ج.الأقوات، هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، وهو ما يمسك الرمق من الرزق، وهو اسم الشيء الذي يحفظ نفسه. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 261/1. ابن منظور: **لسان العرب**، مج. 5، ج. 42، 3768- 3769.

[3]- جندلي، المرجع السابق، 44.

[4]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 102.

ثالثا: الجفاف:

يعتبر الجفاف من الظواهر المألوفة، إذ كان ينتج عن عدم نزول الأمطار خلال موعدها المحدد، وانتشار المجاعة بين الناس. لكن سنة واحدة من الجفاف، نادرا ما كانت تهدد الوضع الغذائي للسكان، فهم تعودوا مواجهة الجفاف بما يدّخرونه من أقوات، أما إذا استمر الجفاف لسنتين، فإن وقْع المجاعة يصبح لا محالة من مواجهته، وإذا تعاقب الجفاف ثلاث سنوات، فإن ذلك يعني الكارثة، إذ كانت تنفد المدخرات، وترتفع الأسعار[1]. لقد كانت مدينة بونة (عنابة)، وإلى يومنا هذا، تتعرض من فترة إلى أخرى إلى هذه الظاهرة الخطيرة، باعتبارها من المدن التي تنتمي إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط المعروف بتقلباته الجوية.

ولكارثية هذه الظاهرة، لم يغفلها ابن خلدون كغيره من العلماء، وأشار إليها بقوله: "فطبيعة العالم في كثرة الأمطار، وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف، ويقل ويكثر، والزرع والثمار والضرع على نسبته، إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار[2]، فإذا فقد الاحتكار، عظم توقع الناس للمجاعات، فغلا الزرع، وعجز عنه أولو الخصاصة، فهلكوا، و كان في بعض السنوات الاحتكار مفقودا، فشمل الناس الجوع[3]". إن تكرار حدوث الجفاف، لا يؤثر على تدهور الإنتاج الزراعي، والحيواني، والقدرة الشرائية للسكان فحسب، بل يتعداه إلى التدهور البيئي، بانتشار حرائق الغابات، وانجراف التربة، وتملحها، والتصحر.

1- بلعربي، خالد، " **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني** " ، دورية كان التاريخية، ع. 04 ، يونيو 2009 م، 20. (www.hostoricalkan.co.nr)

2- **الاحتكار**: الحَكْرُ: ادّخار الطعام للتربّص، وصاحبه محتكِرٌ، الاحتكار هو جمع الطعام ونحوه مما يؤكل، واحتباسه انتظار وقت الغلاء. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 2، ج. 9، 949. والاحتكار في الشرع، هو شراء قوت البشر، والبهائم، وحبسه انتظارا لغلاء سعره، وقد اختلف الفقهاء في المدة، التي إذا بلغها الاحتكار، تستوجب معاقبة المحتكر، فقيل أنها 40 يوما، وشهر واحدا، وهي أكثر من سنة. **أنظر**: عمارة، المرجع السابق، 33.

3- ابن خلدون، **المقدمة**، 334.

رابعا: الجراد:

الجراد من الحشرات الضارة، ظل يكتسح المنطقة بشكل مستمر، يترك وراءه إلا الأغصان اليابسة، ويعتبر الجراد الصحراوي أخطر أنواع الجراد، وأكثرها فسادا للنباتات الطبيعية، والزراعية، حسب ما ذكره علماء الزراعة، والأغذية، فهو متواجد على مساحات شاسعة، أفقيا من بلاد الهند إلى المغرب، وعموديا من سواحل البحر المتوسط شمالا، إلى دائرة خط الاستواء جنوبا، وغالبا ما تعرفه منطقة الشمال الإفريقي، أثناء فصل الربيع، ويوصف الدمار، والخراب الذي يتركه الجراد بالداء العضال[1]. إن مكافحة الجراد تتطلب مجهودات مادية، وبشرية ضخمة، فهو يغزو مساحات شاسعة في وقت واحد، مما يصعب عملية القضاء عليه. أما مصدر موجات الجراد التي تجتاح منطقة شمال إفريقيا، فهي إفريقيا جنوب الصحراء، أين المناطق الحارة، والرطبة التي يتكاثر بها.

ومن الأمثلة على ذلك فقد هاجم الجراد بلاد المغرب عام 624 هـ / 1228 م، فأتى على المزروعات بجميع أنواعها، فارتفعت أسعار القمح، ومختلف المواد الغذائية، وداهم المنطقة من جديد عام 630 هـ / 1232 م، فانتشرت المجاعة ببلاد المغرب الإسلامي، وقلت مردودية الأرض، فنقصت الغلاّت، وذهب معظم الإنتاج، فانعدمت الأقوات، ، فانعكس ذلك بشكل ضار على حياة الإنسان، والحيوان معا[2].

وما يمكن استخلا بهذا الصدد، هو أن بونة (عنابة) تضرّرت كثيرا عبر تاريخها، بمثل هذه الجوائح الطبيعية، وكانت عقبة أمام تطورها في عدة فترات، مما أثر سلبا على حياة سكانها، بل وحتى على عناصر الطبيعة المختلفة.

خامسا: الأمراض والأوبئة:

[1]- بلعربي، المرجع السابق، 21.

[2]- فيلالي، عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، (الجزائر: موفم، 2002 م)، 253/1.

عرف سكان بونة (عنابة)، مثل بقية سكان بلاد المغرب، عدة أنواع من الأمراض، مثل القرع[1] الذي عادة ما يصيب رؤوس الأطفال الصغار، والنساء البالغات، فالاستشفاء منه يتم بصعوبة كبيرة، وانتشر صداع الرأس بكثرة بين الناس، دون حمى في بعض الأحيان، وكثرت أمراض الأسنان، التي يعتقد أنها بسبب شرب الماء البارد، فور تناولهم الأطعمة الساخنة مثل الحساء، وكانت أمراض المعدة شائعة، فالكثير معرض يوميا إلى الإسهال[2]، وأمراض حادة في الأمعاء، ومردها إلى شرب الماء البارد أيضا، وانتشر بينهم مرض النسا، وألم الركبة، بسبب الجلوس على الأرض.

وعرف السكان مرض النِّقرِس[3]، الذي يصاب به القليل من الناس، خاصة رؤساء القوم، الذين يدمنون على شرب الخمر، وأكل الدجاج، وغيره من الأطعمة الناعمة. وكان الجرب[4] من الأمراض المعروفة، حيث يصعب التخلص منه، ويرجعون سببه إلى الأطعمة الخشنة، عندما يكثرون منها، مثل: الزيتون، والجوز، وغيرهما، ومن أمراض الشتاء الشائعة السعال، الذي كان يصيب ضحاياه بآلام حادة، ومن أسبابه أيضا الإكثار من الجلوس على الأرض. ولم يسلم السكان من داء الإفرنج، وهو مرض الزهري[5]، الذي كان منتشرا بكثرة، وعانى المصابون به، من أوجاعه الفظيعة، والبثور، والقروح، وكان ينصح للشفاء منه بتبديل الهواء، مثل الذهاب إلى الصحراء، ويعتقد أن يهود أسبانيا، لما طردوا منها، نقلوه معهم إلى بلاد المغرب. ورغم أنه لم يكن متواجدا بكثرة، فإن مرض الفتق[6]، أصاب بعض السكان، ويرجعون سبب الإصابة به، إلى أكل الصمغ، والإكثار من أكل الجبن المالح، وكان مرض الأعصاب شائعا بين النساء، والأطفال، الذين يشفون منه بتقدمهم في العمر[7].

---

[1]- **القرَع**: قرع الرأس، وهو أن يصلع، فلا يبقى على رأسه شعر، وهو ذهاب شعر الرأس بسبب مرض، هو أقرع، وهي قرعاء، والأقرع هو الذي لا شعر له على رأسه، والقرع بثر أبيض يصيب جلد الرأس، وقيل دواء القرع، الملح، وجباب ألبان الإبل. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 5، ج. 40، 3594.

[2]- **الإسهال**: إسهال البطن بسبب خلفة أو دواء، وأسهل الدواء بطن الرجل: ألان بطنه. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 3، ج. 24، 2135. الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 386/3.

[3]- **النِّقْرِس**: ج. نقارِس، وهو مرض مؤلم، يصيب مفاصل القدم، ويشتد أكثر في إبهامها، وهو ما كان يسمى بداء الملوك. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 946.

[4]- **الجَرب**: مرض جلدي يسببه نوع من الحمْك، يسمى حمك الجرب. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 114.

[5]- **الزُّهْري**: مرض تناسلي خطير ومعدٍ. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 404.

[6]- **الفَتْق**: فتقت الشيء فتقا: شققته، هو مرض ونتوء في مراقّ البطن. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1539/4.

[7]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 83/1 - 85.

وتكلمت المصادر عن أزمة 537 - 543 هـ / 1142 – 1148 م، التي عرفتها بلاد إفريقية، وسببها الغلاء، والجوع، والوباء، الذي فتك بأعداد ضخمة من البشر، حيث يرجح أن هذه الأوضاع المزرية، كانت من الأسباب الرئيسة، التي حفزت النورمانديين على غزو الشمال الإفريقي[1].

ولا يستبعد أن تكون بونة (عنابة)، باعتبارها مدينة ساحلية، من المدن التي تعرضت إلى الوباء، الذي تفشى بين جنود لويس التاسع ملك فرنسا، أثناء الحملة الصليبية الثامنة على تونس عام 668 هـ / 1270 م، حيث لما طال حصارهم، نال منهم التعب، والجوع، وأصابتهم الأمراض، والأوبئة، ويعتقد أن لويس التاسع نفسه، لم يسلم من هذا الوباء، وكان وراء موته في عام 669 هـ / 1270 م[2].

ويعتبر وباء الطاعون[3] من أشد الجوائح الطبيعية، وأكثرها فتكا بأرواح البشر، ولم تنج مدينة بونة (عنابة) من هذا الوباء الجارف عدة مرات خلال تاريخها، فهو يظهر على رأس كل عشر سنوات، أو خمس عشرة سنة، أو خمس وعشرين سنة تقريبا، وعندما يأتي يخلف ضحايا كثيرين من الناس، بسبب عدم جدية الناس في مكافحته، فالدواء المستعمل عادة، هو التمسح بالتراب الأرميني حول دمل هذا الوباء[4].

واعتبر ابن خلدون أن وباء الطاعون من أمراض الرئة، وينتشر أكثر في المناطق الشديدة الرطوبة، التي تتواجد فيها المستنقعات، والتلوث، إضافة إلى المناطق الآهلة بالسكان، ذات الازدحام العمراني، لذلك فهو ينصح بترك فضاءات فارغة، وساحات خضراء بين العمارات، والمباني السكنية، تسمح

---

[1]- حسن، محمد، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية**، من القرن الأول إلى التاسع هـ / VII – XV م، (ط.1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004 م)، 174 - 175.

[2]- المطوي، محمد العروسي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982 م)، 136 - 138.

[3]- تشير عدة دراسات حديثة، إلى أن أول طاعون هاجم العالم، هو طاعون جوستنيان في القرن 06 م، وبعدما اكتسح العالم من جديد دوريا لمدة قرنين، اختفى فجأة في القرن 02 هـ / 08 م، ثم عاود الظهور من جديد في القرن 08 هـ / 14 م، انطلاقا من آسيا الوسطى، فعرفته بلاد الصين سنة 746 هـ / 1346 م، وتفشى بأوروبا، ثم في شمال إفريقيا سنة 749 هـ / 1349 م، وقد كانت له مسميات كثيرة، ومختلفة، منها الطاعون الأكبر، والطاعون الأسود، والموت الأسود، والشر الأسود، والفصل الكبير، وسنة الفناء، وانتشر هذا الوباء في بلاد المغرب بقوة، فخلف وراءه الكثير من الضحايا. **أنظر**: بلعربي، المرجع السابق، 23.

[4]- الوزان، **وصف إفريقيا**،85/1.

للرياح كي تتحرك بانسيابية، وتنقي الهواء من الفساد، الذي أصابه بفعل مخالطة الحيوانات، ويحل محله الهواء الصحيح، وأكد أن الطاعون، ينتشر أكثر في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها[1].

وقد كان ابن خلدون من معاصريه، فوصفه وصفا دقيقا، حيث قال فيه: " نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيّف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيراً من محاسن العمران، ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها، وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفل من حدها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن، وكأني بالمشرق، قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته، ومقدار عمرانه "[2].

وإذا كانت المصادر، لم تشر إلى نوع هذا الطاعون، الذي تفشى في بلاد بالمغرب الأوسط، فإنه بإمكاننا الاعتماد على الأوصاف، التي قدمتها بعض المصادر الأندلسية، والمشرقية، باعتباره كان وباء عالميا، حيث وصفت أعراضه، فالمصاب بالوباء تبدو عليه حمّى[3] خبيثة دائمة من سوء مزاج قلبي، تؤدي بصاحبها إلى الهلاك في الغالب، يتبعها كرب، وعرق غير عام، فبعد كل راحة، ترتفع حرارته، وقد يتبعها تشنج، وبرد في الأطراف، وقيئ مراري سمج[4]، وعطش، وهناك وصف آخر، يشير إلى أن المصاب بالطاعون، يبصق دما، ثم يصيح، ويموت.

ترجح إحدى الدراسات، أن الطاعون الأسود، الذي ضرب بلاد المغرب الأوسط عام 750 هـ / 1349 م، كان قد تفشى في المغرب الأقصى عام 749 هـ / 1348 م، قادما إليها من المشرق، عبر الموانئ إلى داخل البلاد، فانتشر بتازة[5]، وفاس، وسبتة، وسلا[6]، وهي مدن احتل فيها النشاط التجاري مركز الصدارة، فلا يستبعد تسرب هذا الوباء، عبر تنقلات تجار هذه المدن المغربية إلى بلاد

---

[1]- ابن خلدون، **المقدمة**، 335.

[2]- نفسه، 36.

[3]- **الحُمَّى**: هي مرض يستحرّ به البدن، وهي أنواع مثل الصفراء، والتيفود، والتيفوس. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 200.

[4]- **السَّمْجُ**: سَمُجَ الشيء. قبُح، والسمْجُ والسميج: هو الذي لا ملاحة له، والسمج: الخبيث الريح. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 3، ج. 24، 2087.

[5]- **تازة**: مدينة مغربية، تقع شرقي مدينة فاس. **أنظر**: **Atlas de poche**, 191.

[6]- **سلا**: مدينة مغربية، تقع شمال مدينة الرباط، على ساحل المحيط الأطلسي. **أنظر**: ibid., 190.

المغرب الأوسط، الذي كانت تربطه علاقات تجارية ببعض مدنه، خاصة فاس، ولا شك أن الحملة العسكرية للجيش المريني بقيادة أبي الحسن المريني في رجب 750 هـ / 1349 م، على المغرب الأوسط، قد كان لها هي الأخرى دور في نشر الوباء على طول المحاور التي عبرها.

وبعد عشر سنوات، عاود الطاعون فتكه بالبلاد في موجة عالمية ثانية أثناء عامي 764 - 765 هـ / 1363 - 1364 م، مخلفا المزيد من الضحايا، حيث انطلق من أوروبا الغربية عام 760 هـ / 1359 م، وتمكّن من فرنسا، وانجلترا ما بين عامي 770 - 777 هـ / 1369 - 1376 م، كما اجتاح بلاد الشام، ومصر عام 764 هـ / 1363 م[1].

ويردّ ابن الخطيب سبب هذا الوباء، إلى المجاعة التي أصابت بعض المناطق، فأثرت بشكل مباشر صحة الناس، مما جعل أبدانهم لا تقاوم عدوى الأمراض[2]. وهناك من يرى أن هذا الوباء لا يكون إلا بأثر الغلاء، فهو لازم من لوازمه، وأن حدوث الغلاء له سببان، احتباس المطر في البلاد المحتاجة إليه، والفتن والحروب، فإذا دامت الفتنة، وقع الفساد في الحواضر، والبوادي، وفسدت حبوبها المختزنة، وانقطعت الطرق، وعدمت المرافق، إلا أن الجانب الأخطر في هذه الحرب، هو زعزعة أمن، واستقرار الفلاحين، فإذا كان الفلاح غير آمن على نفسه، وأرضه، فإنه سيضطر إلى الهجرة بحثا عن ملاذ آمن[3].

اجتاح الطاعون المنطقة من جديد عام 845 هـ / 1442 م، حيث أتى على الكثير من الناس، ولم يمنع منه أحد، وقد أكدت بعض الدراسات الطبية أن الطاعون، لم يكن أصيلا ببلاد المغرب، بل كان يكتسحه من الخارج، عبر السفن القادمة إليه سواء من أوروبا، أو المشرق، والتي كانت ترسو بموانئ المنطقة، حاملة معها جرثومة هذا الوباء، إما بواسطة القوارض[4]، التي تنتقل من السفن إلى الرصيف، أو عن طريق البحّارة المصابين، لذلك يرجح، أن يكون الوباء، قد انتقل إلى المغرب الأوسط

---

[1]- بلعربي، المرجع السابق، 23.

[2]- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت. 776 هـ / 1374 م)، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح. السعدية فاغية، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1989 م)، 61.

[3]- بلعربي، المرجع السابق، 23 - 24.

[4]- **القوارض**: هي الفئران ونحوها ، قرض الشيء قرضا: قطعه، قرضته الفأرة، وقُراضة الفأر: فُضالة ما قرضه من خبز ونحوه. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1102/3. **المعجم الوسيط**، 727.

من أوروبا، التي ظهر بها قبلا[1]. واستمر ذلك الوباء إلى عام 847 هـ / 1443 م، ولم تتوقف هجماته على الشمال الإفريقي، وكان مصحوبا بمجاعات، تركت وراءها، أعدادا ضخمة من الضحايا[2].

ونستنتج مما ذُكر، أن انتشار الأمراض بين سكان مدينة بونة (عنابة)، يمكن أن يكون أمرا طبيعيا، بالنسبة للأمراض العادية، لكن تفشي الأوبئة عبر دورات، يشكل أمرا خطيرا على صحتهم، ياتهم العامة، ويزعزع أمنهم، واستقرارهم، بمعنى أنه يتهدد كيان المدينة، ومكانتها الاقتصادية، والاجتماعية، وحتى السياسية، والعسكرية.

المبحث الثالث: أثرها على سكان المدينة:

ترتب عن تعاقب الحوادث الطبيعية، والسياسية على مدينة بونة (عنابة) آثار وخيمة على جميع المستويات، فتضررت صحة السكان، وتدنّى وضعهم المعيشي، وتعرضت المدينة إلى هزات، أعاقت نموها، وازدهارها.

أولا: اضمحلال دور ومكانة المدينة:

[1]- بلعربي، المرجع السابق، 24.

[2]- الترمانيني، عبد السلام، **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، (دمشق: دار طلاس، 1997 م)، 377/4، 406، 418، 452، 533، 633.

ونذكر هنا كيف انعكست الظروف البيئية الخطيرة على صحة السكان، حيث كان لانتشار الأمراض المعدية، الأثر البالغ على حركية، ونشاط السكان، وعلى مستواهم العلمي، والثقافي، وكان من العوامل الخطيرة، التي أدت إلى انحطاط بونة (عنابة)، وغيرها من المدن الإسلامية المطلة على البحر الأبيض المتوسط[1].

وبسبب حروب القرصنة[2]، والصراعات السياسية[3]، بدأ الضعف والاضمحلال، يدبّان تدريجيا في أوصال بونة (عنابة)، أي بمعنى آخر أن هذه المحن, كانت عقبة أمام ازدهار المدينة الاقتصادي، ونموها العمراني, لأن مثل تلك الغارات، كانت كثيرا ما تتسبب في انقطاع حركة التبادل التجاري بين المدينة، والبلدان المتعاملة معها[4]. لم تقتصر تلك الأضرار على مجالات العمران والاقتصاد، بل تعدتها إلى عناصر البيئة مثل: إتلاف الغابات، والمحاصيل الزراعية، والمواشي، وتلويث محيط المدينة.

ومن باب الاستدلال، نشير إلى الحالة التي صارت عليها بونة (عنابة)، عندما غزاها الأسبان سنة 942 هـ / 1535 م، حيث قضى جنودهم كامل الوقت في النهب الشامل، فاقتلعوا حتى صفائح المرمر[5] من حيطان المنازل، واستولوا على كل ما استعمل في المدينة من الأرحية الكبيرة، والصغيرة، أما الأمتعة الكثيرة، الثقيلة الوزن، والكبيرة الحجم، فقد فككت حتى يؤخذ حديدها، وتم حمل الصناديق على البواخر، ولم تسلم الأبواب، والنوافذ التي اقتلعت، ولم يسلم سور المدينة من التخريب، حيث تركت في الجانب البحري منه ثغرات[6].

وقد تكررت مثل هذه الحالات كثيرا، مما أرهق المدينة، وجعلت الكثير يرثُونها، مثل: محمد العبدري الذي زارها في القرن 07 هـ / 13 م، ولم يخفل بما شاهده، وذلك للحالة المؤسفة، التي وجدها عليها، حيث كانت أسيرة مجموعة نصرانية مسلحة، غزت المدينة بزورق صغير، لا تتجاوز حمولته عشرين فردا، أحكموا الحركة منها وإليها، ونكّلوا بأهلها، حيث أسروا العديد منهم، بغرض الحصول

---

[1]- برنشفيك، المرجع السابق، 394/2.

[2]- **القَرْصَنَةُ**: السطو على سفن البحار، القُرصان: لص البحر. **أنظر**: **المعجم الوسيط**، 726.

[3]- **THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM**, 512.

[4]- سعيدوني، المرجع السابق، 92.

[5]- **المرمر**: نوع من الرخام. **أنظر**: الفيروزابادي، **القاموس المحيط**، 131/2. **المعجم الوسيط**، 865.

[6]- دحماني، المرجع السابق، 122.

على الفدية[1]، فوصف المدينة قائلا: " ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة، تلاحظ من كثب فحوصا ممتدة، وتراعي من البحر جَزره، ومَدّه، تغازلها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر عن حلولها، فلم أقض وطرًا[2] من دخولها..."[3]

لذلك نتساءل لماذا أغضب هذا الوصف البعض، من بينهم أحمد بن قاسم البوني، الذي رد عليه بعد عدة قرون بقسوة، واتهمه بالكذب، واعتبر مشاهدته لمدينة بونة، أمرا لا يقبله عاقل[4]، ودافع عن المدينة من خلال إعادة وصفها لنا، فقال: " هي بلد جمعت بين البر والبحر، فهي كالحلي في ر، وبها من العلماء والصلحاء ما لا يحصى، ومدحها للمنصف لا يستقصى، مياهها عذبة، وثمارها كثيرة، يابسة ورطبة، وأوديتها كثيرة عذبة، جارية غزيرة كبيرة، ات منظر وبهاء، وجبل وسهل ها، تلاحظ من بعيد مشرقة فسيحة الفناء أيها السعيد، لا يضيق بها صدر، كأنها عند أهلها بدر... "[5]

ونشير هنا إلى أن غضب أحمد بن قاسم البوني، لم يكن مبررا إلى حد ما، لأن العبدري زار بونة بُعيْد فترة، كانت حبلى بالصراعات، فالمدينة عادت أحوالها إلى الانكماش، والتقهقر من جديد، منذ أن اقتطعها أبو العباس حاكم بجاية الحفصي لابن أخيه أبي عبد الله محمد سنة 762 هـ / 1361 م، ولهذا لم يبالغ العبدري عندما، وصفها بأسلوب أدبي مستفز، وهي تعاني هذه الأوضاع القاسية[6].

ويجب أن نذكر أن مثل هذه الظروف، يمكن أن تسري على مدينة بونة (عنابة) كغيرها، فكل البلاد معرضة إلى الازدهار تارة، والانحطاط تارة أخرى، خاصة وأن الجوائح الطبيعية، والبشرية المتكررة، لا تسمح للمنحنى البياني بالتطور التصاعدي باستمرار.

---

[1]- العبدري، محمد البلنسي (ت. بعد 688 هـ / 1289 م)، **الرحلة المغربية**، تح. أحمد بن جدّو، (قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث، منشورات كلية الآداب، د. ت.)، 33.

[2]- **الوَطَر**: ج. أوطار، كل حاجة كان لصاحبها فيها همة. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 6، ج. 54، 4866.

[3]- العبدري، **الرحلة المغربية**، 33.

[4]- البوني، **التعريف ببونة إفريقية**، 47.

[5]- نفسه، 96.

[6]- سعيدوني، المرجع السابق، 93.

ثانيا: تدهور حالة السكان:

لا ريب أن الكوارث الطبيعية، والحروب قد خلّفت عددا كبيرا من الضحايا، إلا أنه من الصعب، تقديم أرقام عن أعدادهم، في غياب المعلومات الدقيقة، فالمصادر اكتفت بمعلومات وصفية للخسائر البشرية ضمن عبارات[1].

ويمكن الإشارة هنا، إلى أن بونة (عنابة) كانت طيلة الفترة الإسلامية، تعتبر مدينة متوسطة، ليست بالكبيرة، ولا بالصغيرة حسب تقديرات أغلب الرحالة، والجغرافيين، فنجدها عند بداية التواجد العثماني، بف أن عدد سكانها تناقص، فلم يعد يتجاوز 3000 نسمة[2]، حسب ما نستخلصه من معلومات كتاب وصف إفريقيا، التي تشير، إلى أنه كان ببونة، في هذه الفترة حوالي 300 أسرة لا أكثر[3]، وهكذا يبقى الوضع إلى بداية القرن 11 هـ / 17 م، حيث وصفت أيضا، بأنها مدينة صغيرة جدا[4]. يبدو أن النمو البطيء لسكان المدينة، حال دون تطورها إلى مدينة كبيرة، وهي حالة كل المدن غير المستقرة، فإذا لم يتناقص عدد السكان بالموت، يتحقق بالهجرة، وهذا ما عانت منه مدينة بونة خلال الفترة التي بصدد الدراسة.

وقد وصف ابن الأثير المأساة التي عرفتها المنطقة في سنة 542 هـ / 1147 م بقوله: " وفيها اشتد الغلاء بإفريقية، ودامت أيامه، فإن أوله كان سنة 537 هـ / 1142 م، وعظم الأمر على أهل البلاد، أكل بعضهم بعضا، وقصد أهل البوادي المدن من الجوع، فأغلقها أهلها دونهم، وتبعه وباء، وموت كثير حتى خلت البلاد، وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد، وسار كثير منهم إلى صقلية، في طلب القوت ولقوا أمرا عظيما."[5] إن مثل هذه الظروف القاسية، كثيرا ما تدفع الشعوب إلى اللجوء إلى بلدان أخرى، بحثا عن الملاذ الآمن، الذي يوفر أسباب الحياة من غذاء ودواء وإيواء...

لا شك أن هذه الظروف البائسة، تضطر الإنسان إلى التفكير في الهجرة القسرية، والعزم عليها، ونذكّر بالاضطرابات السياسية، والزحف الهلالي بإفريقية، وتفكك السلطة السياسية، وتراجع العمران،

---

[1]- بلعربي، المرجع السابق، 24.

[2]- سعيدوني، المرجع السابق، 97.

[3]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 61/2.

[4]- سعيدوني، المرجع السابق، 97.

[5]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 349/9.

وكانت وجهة المجبرين على الهجرة صقلية، والأندلس، والمشرق، حيث فضلوا الغربة عن البقاء تحت رحمة الشقاء بشتى مظاهره، وأضحت صقلية في الغالب، ملاذا لأهل إفريقية، في تلك الظروف المؤلمة. فلم يمنع توتر الأوضاع في الحوض الأوسط للبحر المتوسط، من وجود هجرة كبيرة إلى صقلية، إذ عرف القرن 05 هـ / 11 م، حركات بشرية هامة، إلى الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط[1]. وهذا أمر بديهي، فالبلدان الآمنة، والمستقرة تشكل مناطق استقطاب للشعوب المسالمة، والتي عانت من ويلات الحروب، ومشقة الحياة.

وذكرت بعض المصادر الفقهية هجرة عدد كبير من الرجال، من سواحل بلاد المغرب إلى صقلية، طلبا للرزق، وهي في معظم الأحيان هجرة موسمية، تنتهي عادة بعودتهم إلى موطنهم في فصل الصيف، وينتمي هؤلاء إلى مختلف المدن الساحلية المنحدرين منها، مثل: بونة (عنابة)، وتونس، وسوسة، والمهدية، وصفاقس، وجربة، وطرابلس...، وكما ورد سابقا، اقترنت مختلف العمليات العسكرية، التي قام بها النورمانديون في السواحل بالسبي[2]، والتدمير للمباني، والتخريب للمزارع، ويأتي هذا الحدث كشاهد، على التحولات الطارئة في السياسة النورماندية، إزاء الصقليين ذوي الأصول الإفريقية، وقد تفطن المؤرخون لهذا المنعطف التاريخي، واعتبروه أول وهن، دخل على المسلمين بصقلية[3]. لم يكن النورمانديون شاذين عن بقية الدول الغازية، التي تستخدم كل الأساليب الوحشية ضد الشعوب الرافضة لوجودهم.

وقد ساهمت حركة السكان، في تغيير بنية المدينة الديمغرافية، فتركتها عناصر، ووفدت عليها أخرى، وكانت هي أيضا من العوامل المؤثرة على الحياة الاجتماعية، والاقتصادية لبونة (عنابة)، حيث كان لهذا التأثير جوانبه السلبية، والايجابية. أما الجوانب السلبية لتغير البناء السكاني، فهي ناتجة عن القبائل التي كانت تعيش بضواحي بونة (عنابة)، فبمرور الوقت شرع عدد كبير من أفرادها يستوطن المدينة، وكانت في أغلبها، تنتمي إلى قبيلة مرداس العربية، التي استقرت بسهول بونة منذ القرن 05 هـ / 11 م أثناء الهجرة الهلالية، وكانت تطغى على طباع أفرادها حالة البداوة، والخشونة، مما ترك أثرا سيئا

[1]- حسن، محمد ، المرجع السابق، 173- 174.

[2]- **السَبْيُ**: والسِّباءُ: الأَسْرُ، سبَى: ملَك، وتمتَّع بجاريته شبابَها كلَّه، وتسابى القومُ: سبَى بعضهم بعضا، والسبيَّةُ: المرأة المنهوبة. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 3، ج. 22، 1932- 1933.

[3]- حسن، محمد ، المرجع السابق، 175- 176.

على الحياة الاقتصادية للمدينة، خاصة ما اتصل منها بالنشاط الزراعي لسهل بونة (عنابة)، الذي تدهور، وضعف، وقلت عمارته. أما الجوانب الايجابية، فتمثلت في هجرة الأندلسيين إلى المنطقة، واستقرارهم بأحياء المدينة، حيث اشتغلوا في صنائع كثيرة، ومتنوعة، واحتكروا الأنشطة التجارية، التي أصبح أغلب الممارسين لها من العنصر الأندلسي، وبذلك كان لقدوم العنصر الأندلسي النشيط، آثار ايجابية بنّاءة على الوضع الاقتصادي في مدينة بونة (عنابة)[1]. وهي إشارة إلى خطورة النزوح الريفي، الحياة الحضرية في المدينة من طرف القبائل البدوية هذا من جانب، ومساهمة الكفاءات الأندلسية في إعادة بناء المدينة وتنميتها من جانب آخر.

ويستخلص من كل ذلك، أن غياب الأمن بمختلف أشكاله، يؤثر على تركيبة السكان العددية، والعنصرية، ويدفع أفراد المجتمع إلى ممارسة سلوكات طارئة، يعتقد أصحابها، أنها الملاذ الوحيد للنجاة، واستمرار الحياة.

ثالثا: الثورة على الحكام:

عُرف عن سكان بونة (عنابة)، كغيرهم من سكان بلاد المغرب، الاعتزاز بالنفس، والطيبة، والشراسة في آن واحد، فهم مبجّلون للحكام الشرفاء، والعادلين، ومتمردون على الفاسدين، والظالمين منهم، حيث كثيرا ما كانوا يثورون على العمال المقصرين، ويهددونهم بالقتل، والاستنجاد بالأجانب، حالة عدم الالتزام بواجباتهم، كان ذلك على وجه الخصوص، عندما تشتد الأحوال، وتتأزم الحياة[2].

نشير أن من نتائج هذه الأوضاع السيئة، التي أفرزتها الحوادث الطبيعية، والحروب، والصراعات السياسية، تمرد سكان المدينة، وشقهم عصا الطاعة على الحكام الحفصيين، وتمكنوا في الأخير من طرد عامل السلطان الحسن الحفصي، والاستنجاد بالعثمانيين[3]، فوجهوا الدعوة إلى خير الدين بربروس

---

[1]- سعيدوني، المرجع السابق، 94.

[2]- الوزان، **وصف إفريقيا**، 6/2. كربخال، **إفريقيا**، 08/3.

[3]- لم يستقر حكم العثمانيين ببونة (عنابة)، لأن انتصار الأسبان على تونس، دفعهم إلى احتلال المدينة، ولم يغادروها كما هو معلوم، إلا بعد خمس سنوات، وبذلك استتب أمرها للعثمانيين طيلة حكمهم لإيالة الجزائر. ويمكن التنبيه هنا، إلى أن المدينة لم تحظ بازدهار ملحوظ، بعد أن خربت تلك الأحداث البُنى التحتية لاقتصادها، رغم الجهود الصادقة التي بذلها الحكام الجدد، في بداية عهدهم للنهوض بالمدينة، وتحسين أوضاعها. **أنظر**: سعيدوني، المرجع السابق، 94.

سنة 940 هـ / 1533 م، علّه ينقذهم من هذه الظروف البائسة، التي كانوا يعانون منها، ولم يتأخر خير .ين، فلبّى دعوتهم واستقر بينهم، وشرع في إصلاح أحوالهم، ومعالجة أمورهم، استعدادا لمهاجمة تونس، وطرد الأسبان منها[1].

وصفوة القول أن هناك كوارث طبيعية، وأخرى من صنع الإنسان، تشكل مصدرا للمحن، والفتن، التي توقع الفساد في المدن، والبوادي، والأرياف، فتسقط الأرواح، ويخرب العمران، ويتشرد الناس، وتنتشر الأمراض، والأوبئة، وينعدم الأمن، وتنقطع الطرق، ويتدهور الاقتصاد. وهي تنعكس في النهاية، على البيئة الطبيعية والاجتماعية، مهددة بذلك سلامتها.

رابعا: الاهتمام بفقه النوازل ونظام الحسبة لحماية البيئة:

أشار أحد مؤرخي مدينة بونة (عنابة)، وهو أحمد بن قاسم البوني إلى أن هناك عدد كبير من العلماء، والفقهاء[2]، ينتمون إلى المدينة، وكان لهم باع في العلم، خاصة في مجالات الفقه، والتأليف، والفتوى، أبرزهم العالم الشهير أبي مروان عبد الملك البوني، الأندلسي الأصل، الذي استقر بالمدينة، وساهم في ازدهارها، ورعاية انشغالات الأهالي[3].

[1]- نفسه، 93 - 94.

[2]- أشهر فقهاء بونة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم التمتام، أحد أعيان المدينة، الذي يصنف من السادة الفقهاء، الحافظ لعلم الحلال، والحرام، والضالع في الدين، ذاعت شهرته أثناء القرن 08 هـ / 14 م، اصطحبه السلطان أبو الحسن المريني معه إلى فاس، ضمن مجموعة من الفقهاء، اختارهم من كل مدينة احتلها، أثناء توسعاته، وأصبح من خاصة الأمير، الذي كلفه بإمامة جامع القرويين بفاس. وعبد الرحمن بن علي أملال، ويعتقد أنه تقلد منصب الإفتاء بالمدينة في القرن 09 هـ / 15 م. وأبو إسحاق إبراهيم التمتام، ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري، كان بارعا في الأحكام، ومتفوقا في علم الفرائض. **أنظر**: البوني، **التعريف ببونة إفريقية**، 66 - 72.

[3]- نفسه، 49 - 59.

ورغم ندرة المعلومات عن هؤلاء الفقهاء، فإن العقل يرجح، أن سكان بونة (عنابة) وأقاليمها، قد استفتوا علماء المدينة في الوقائع اليومية التي واجهتهم، ليتخلصوا من الأمور المثيرة للغموض لق، التي يمكن أن تعكر صفو حياتهم، وتدخل ضمنها القضايا الخلافية التي تحدث بين الجيران، مثل: الأصوات المزعجة، وبناء المراحيض، والحمامات المنزلية، ورمي القمامة، وغيرها. وهي في معظمها نزاعات مرتبطة بالصحة والبيئة.

لقد تجلى تطبيق مبدأ منع الضرر على سكان المدن، من خلال دور المحتسبين، أو من يقوم مقامهم بخطة الحسبة، فضلا عن محاولات المخططين المعماريين المسلمين، بنقل الصناعات التي تقل الحاجة إليها، إلى خارج المدن، لتجنب الأخطار، التي قد تنتج عنها، من ضوضاء، أو روائح كريهة، أو دخان بل مدينة بونة (عنابة) تكون معنية بهذا الموضوع، فرغم ندرة المعطيات عن الفترة الإسلامية التي بصدد الدراسة، فإنه يمكن الاستعانة بمخطط للمدينة، يعود إلى القرن 09 هـ / 15 م، حيث نلاحظ أن هناك بعض الأنشطة الكبرى، توجد بالجهة الغربية، والجنوبية الغربية للمدينة، فمصانع مواد البناء والفخار، وسوق الحبوب، والمواشي الأسبوعي، تقع خارج سور المدينة، ا ورشات النجارة، والحدادة، فرغم وجودها داخل السور، إلا أنها جاءت بأطراف المدينة، قرب البوابات المؤدية إلى غابة جبل الإيدوغ، مصدر المواد الأولية من أخشاب، وخامات الحديد، ويوجد بين سفح الإيدوغ، وغرب سور المدينة جامع الحطاب. أما وجود سوق الفخارين خارج السور من الجهة الجنوبية الغربية، فمرتبط بطبيعة النشاط المصدر للأوساخ، وقرب ورشاته من وادي السيبوس، والضواحي الجنوبية الغنية بالرواسب الطينية، أما السوق الأسبوعي، الذي يستقبل كل جمعة أعدادا كبيرة من التجار، ومن سكان المدينة، وأقاليمها، فوجوده خارج السور، يجنب المدينة الكثير من الأذى، وذلك لضيق شوارعها، وعدم قدرتها على استيعاب العدد الكبير من رواد السوق[1].

فحالة مدينة بونة (عنابة) العمرانية، تجعلنا نستعين بالتوضيحات العامة، التي أشار إليها الدارسون للنمط العمراني للمدن الإسلامية، وتنظيمها، أن هذه المدن تتشابه في كافة بلدان العالم الإسلامي، سواء منها المدن التي أنشأها المسلمون، أو تلك المدن القائمة التي عملوا على أسلمتها، إ إلى الأحياء السكنية ذات الأسوار، القائمة بذاتها، ونظام البوابات التي تغلق ليلا، وعدم وجود مساحات مفتوحة، أو ميادين ضمن المدينة بوجه عام، والأحياء السكنية بوجه خاص، وطغيان

[1]- Derdour, op.cit, 358 - 359.

الشوارع، والأزقة الملتوية، والضيقة للغاية، كما أشاروا إلى المنزل الإسلامي، الذي يوجه بعيدا عن الشارع، ويشرف على فناء داخلي، وقد أرجعوا هذا التشابه، إلى عدة أسباب، منها الاعتبارات الأمنية، والمناخية، والخصوصية الاجتماعية[1].

وأثناء الفترة الإسلامية الطويلة، خاصة خلال العهد الحفصي، كان عامل المدينة، هو صاحب السلطات الأمنية، والإدارية، والمالية، حيث كان يخضع إليه الجيش، والشرطة، ويراقب دواوين المراسلة، والخراج[2]، والبريد[3]، وبيت المال. وتمثل العدالة المؤسسة الأساسية الثانية، فالقاضي الذي يعينه العامل، يخضع إلى نفوذ قاضي الجماعة، المتواجد بعاصمة الدولة، ويشرف القاضي على المحتسب، وهو عون قضائي يراقب أخلاقية، ومطابقة الخدمات، وكذلك نظافة الأحياء والطرق والشوارع...[4]

وإرجاءً للحديث عن خطة الحسبة ببونة (عنابة)، تشير عدة مصادر ومراجع، أن وظيفة الاحتساب لم تعد مستقلة ببلاد إفريقية، بل أدمجت مع وظائف سامية أخرى، فحسب العمري، أن والي المدينة، هو المسمى عند سكان السلطنة بالحافظ، والمحتسب[5]. ولا يستبعد قيام والي بونة بهذه المهمة، فالمدينة لم تكن من المدن الكبرى، وتعدد وظائف الوالي لا تعيق نشاطه، حيث من البديهي أن له مساعدين يخففون عنه أعباء السلطة.

لكن يمكن أن يكون ال ي، هو الأقرب للقيام بهذه المهمة، حيث أشارت المصادر، إلى وجود قضاة محليين في العهد الحفصي، في عدة مدن مثل: بجاية، وقسنطينة، وبونة (عنابة)... فقد

---

[1]- الهذلول، المرجع السابق، 74.

[2]- **الخَرَاجُ**: هو ما يُخْرِجُه القوم من مالهم في السنة بقدر معلوم، الإتاوة التي تؤخذ من أموال الناس، غلّة يؤديها الفلاحون المستفيدين من أرض السواد كل سنة، وهو ما حُصِّل من ريع أرض، أو كرائها، أو أجرة غلام، أو نحوها، ويختص غالبا بضريبة الأرض. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 2، ج. 14، 1126. عمارة، المرجع السابق، 187.

[3]- **البَرِيد**: ج. بُرُد، وهو اسم للمسافة التي بين محطتين يقطعها حامل البريد، وهي 04 فراسخ، أو 12 ميلا، أو 24 ألف ذراع، ويطلق على حامل الرسائل، وعلى أكياس، ورسائل البريد، والأصل على الدابة التي تحمل البريد، وبدأ البريد ينتظم في عهد الدولة العباسية سنة 166 هـ / 782 م، في عهد الخليفة المهدي (158- 169 هـ / 775- 785 م)، والبريد: لفظ فارسي معناه: الفرس المقصوص الذيل، المستخدم في نقل الرسائل الحكومية، وركوب الجباة. **أنظر**: عمارة، المرجع السابق، 89. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، (ط. 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996 م)، 76.

[4]- دحماني، المرجع السابق، 80.

[5]- العمري، **مسالك الأبصار**، 163.

كان لكل بلدة ذات أهمية، قاض معين بمقتضى ظهير سلطاني، بعد استشارة قاضي الجماعة، وكبار المتقلدين للخطط الدينية بتونس[1].

ويظهر أن نظام الحسبة باسمه، وباختصاصاته، استغني عنه تدريجيا في تونس، بنظام القضاء، والمفتين، ونظام الشرطة المدنية. ومنذ أن صارت تونس عاصمة للحفصيين، أخذ اسم المحتسب يختفي، وأصبح لا وجود له في الوثائق، وكان يوجد في تونس الحفصية إلى جانب قاضي الجماعة، وهو أعلى سلطة قضائية في تونس، عدد من القضاة المساعدين منهم قاضي المعاملات، واختصاصاته تدخل فيها بعض مهام المحتسب[2].

ارتباطا بهذا الموضوع، تشير عدة مصادر إلى وجود قضاة في مدينة بونة (عنابة)، ولا يستبعد أنه كان لهم دور في مجال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومن هؤلاء نذكر أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري، الذي لم يكن متفوقا في الفقه فقط، بل كان قاضيا عدلا في المدينة، قبل رحيله إلى فاس، وأبا عبد الله محمد بن أحمد التمتام، الفقيه القاضي، الذي عرف بعدله، وسعة اطلاعه، وهو ابن الفقيه أحمد التمتام[3]. انطلاقا مما سبق فإن وظيفة الحسبة، مازالت مستمرة بأشكال مختلفة، بغض النظر عن المسميات، فبقاؤها استمرار لدورها، في المحافظة على سلامة البيئة، واحترام الذوق العام.

تركز كتب الحسبة على مبدأ الحاجة، كعامل أساس في تحديد موقع السلعة داخل المدينة، حيث نصت على وجوب نقل الحرف والمنتجات، التي لا يوجد عليها طلب كبير في السوق، إلى خارج السور، أو إلى مواقع في المدينة، يسهل الوصول إليها عند الحاجة، شريطة عدم إلحاق الضرر. فالمحتسب مثلا: مطالب بمنع الجزارين من الذبح على أبواب دكاكينهم، تفاديا لتلويث الطرق بالدماء والروث[4]، فيعتبر ذلك من أضرار الطريق، وإيذاء الناس بالنجاسة، بل من واجبهم، أن يذبحوا في المذبح، وكذلك بالنسبة لسوق السمك، يجب أن يعزل عن الطريق العام، تجنبا لرائحته المنفرة، ونفس

---

[1]- برنشفيك، المرجع السابق، 121/2.

[2]- لقبال، موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها**، (ط.1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971 م)، 90.

[3]- البوني، **التعريف ببونة إفريقية**، 70- 71.

[4]- **الروث**: رجيع ذي الحافر من حمير، وبغال، وخيول، ونحوها، أي فضلاتها. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 3، ج. 20، 1763. **المعجم الوسيط**، 379.

لصرامة يجب أن يتعامل بها المحتسب مع الصباغين[1]، ويمنعهم من إقامة أفرانهم[2]، على الطريق، لما في أدخنتها من آذية، وأضرار على المارة. وانطلاقا مما سبق، يمكن رصد ثلاثة مبادئ تنظيمية أساسية، تتعلق بتوزيع مواقع الأنشطة، والسلع، والبضائع، والخدمات في الأسواق، الأول: مبدأ التماثل، أي م بتنظيم السوق، وفق أماكن السلع المتشابهة، قرب بعضها البعض، أما الثاني: مبدأ التكرار النسبي، ويتعلق بحاجة الناس إلى سلع معينة، وضرورة تواجد تلك الأنشطة، التي توفر مثل هذه السلع، حيث كان لذلك تأثيره، في اختيار مواقع تلك الأنشطة، أما الثالث: مبدأ تجنب الأذى، والضرر، فكان وراء تحديد مواقع كافة الحرف، والصنائع، النافثة للدخان، أو الباعثة للروائح الكريهة[3]. إن هذه المبادئ، تعبر عن أهمية نظام الحسبة في ضبط السلوكات العامة للسكان، خاصة في القضايا المرتبطة بحماية البيئة، من كل أنواع التلوث (الأرضي، والمائي، والهوائي).

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول، أنه إذا كانت كتب الفقه، والنوازل، والسياسة الشرعية، قد اهتمت بالاعتبارات النظرية، والتنظيمية، التي تخص المدينة الإسلامية، فإن كتب الحسبة، قد ركزت على الجانب التطبيقي لحماية تلك الاعتبارات، لصالح المدينة، وساكنيها، من حيث الجوانب المعمارية، والاجتماعية، والدينية، والصحية، والبيئية، وهذا ينطبق على مدينة بونة (عنابة)، مع مراعاة الفروق الطبيعية، والسياسية، والزمنية، التي أثرت على تركيبة المدينة الروحية، والمادية.

وأخيرا نشير إلى أن مدينة عنابة (بونة)، استطاعت الصمود أمام نوائب الدهر، فلم تنكسر أمام كوارث الطبيعية التي آذتها، ولم تستسلم للطامعين والغاصبين، فقاومت، وقررت الاستمرار من أجل أهلها، وتاريخها، وحافظت على اسمها، الذي ارتبط بجمال طبيعتها، وتنوع مواردها. وقد زكاها موقعها الجغرافي، لتكون من أبرز مدن البحر المتوسط استقطابا للسياح والتجار والمستثمرين.

---

[1]- **الصبَّاغ**: ج. صبّاغون، الصِّبغ: ما يُصبغ به، وصَبغت الثوبَ أَصبُغه، والصبّاغ: هو من يلوّن الثياب، ويصبغها، والصِّباغة: هي صناعة صبغ، وتلوين الخيوط، والمنسوجات على اختلاف أنواعها بالألوان. **أنظر**: الجوهري، **الصحاح**، 1322/4. محمد عمارة، المرجع السابق، 325.

[2]- **الفُرن**: ج. أفران، الفرن شيء يُختَبز فيه، الفرن: هو المَخبَز، وهو موقد للخبز، وغيره. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 5، ج. 38، 3405. **المعجم الوسيط**، 686.

[3]- الهذلول، المرجع السابق، 77.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

نظرت مصادر الحضارة الإسلامية من قرآن كريم، وأحاديث نبوية، وكتب تراث، وغيرها إلى البيئة نظرة كونية شاملة، واعتبرتها نعمة كبرى، سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان. وقد اهتم المسلمون بمفهومها الواسع، ومواردها المختلفة، سواء أكانت حية، أم غير حية، ووضعوا أسس التعامل معها، وسعوا إلى عدم الاعتداء عليها، واعتبروا ذلك فسادا في الأرض، وحذّروا من العواقب الوخيمة، التي تترتب عن التلوث، والإسراف، والاستخدام الفاحش لموارد الطبيعة.

وانطلاقا مما تقدم، تبيّن أن العلاقة بين البيئة، والعمارة علاقة تبادلية، فالبيئة تؤثر في نمط العمارة، ومواد بنائها، وتفاصيلها المعمارية الخارجية والداخلية. أما العمارة فتؤثر في الخصائص المناخية للمواقع التي بنيت فيها.

ويمكن الإشارة هنا، إلى هذه الدراسة، التي اتخذت مدينة عنابة (بونة) نموذجا للمدينة الإسلامية الجزائرية منذ القرن الخامس الهجري، من حيث إبراز عوامل النشأة، والازدهار، والأفول، وأهم المعالم التي أثرت عليها، وتأثرت بها، وارتباط ذلك كله بالاعتبارات البيئية. وعليه قد انتهى البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، تم حصرها فيما يأتي:

- **النتائج:**

1. كان للبعد البيئي أثر واضح على تخطيط المدن الإسلامية، مما ساعد على نموها وازدهارها، فالمسلمون شيدوا عدة مدن تجسدت فيها شروط بيئية كثيرة مثل: المكان المرتفع، والمياه العذبة، والهواء النقي، والقرب من البحر والغابات والمراعي والأراضي الزراعية، وقد انطبقت هذه المواصفات على مدينة عنابة (بونة).
2. رغم أن عنابة (بونة) كانت مدينة متوسطة الحجم، فإن نسيجها العمراني توفرت فيه خصائص الحواضر الكبرى، مثل: وقوعها داخل السور، والشوارع الضيقة والملتوية ذات النهايات المقفولة، والبناء المتضام الذي تتجاور فيه المباني وتتلاصق، والجدران السميكة، لذلك لجأ المعماريون إلى إقامة الأفنية داخل المنازل، والفتحات الخارجية الضيقة، لتوفير الهواء والإضاءة الطبيعية والظلال، والتغلب على الضوضاء، وضمان الخصوصية الاجتماعية للسكان.
3. روعي في تصميم مدينة عنابة (بونة) إبعاد الأسواق، والحرف، والصناعات الملوثة للبيئة عن

الأحياء السكنية، حيث تم بناؤها في الجهة الغربية، والجنوبية الغربية، لتجنيب السكان الضوضاء، والأبخرة، والأدخنة، والقاذورات، ومن أمثلة ذلك سوق النجارين، وسوق الحدادين، وسوق الفخارين، وسوق الجيارين، والسوق الأسبوعي.

4. استخدم سكان المدينة مواد بناء تساعد على امتصاص رطوبة الهواء، وحفظ الحرارة، ومنع تأثير أشعة الشمس، والعزل الحراري، كالآجر، والحجارة، والجبس، والجير، والجص، والأخشاب، وتم اللجوء إلى وسائل لحماية أسفل الجدران من المياه الجارية والرطوبة، واستخدام الطلاء لحماية المنشآت الطينية.
5. نظرا للحاجة الماسة إلى الماء وعلاقته بالطهارة الدينية، فإن سكان المدينة اهتموا بهذا المرفق الحيوي، وركزوا على حفر الآبار، وبناء الصهاريج التي كانت غالبا ما تتغذى من مياه الأمطار المنسابة من سطوح المنازل المستوية، وهي إشارة إلى صعوبة الحصول على الماء، ولعل ذلك يعود إلى موقع المدينة الجديد.
6. لم تكن مدينة عنابة (بونة) في منأى عن الأمراض والأوبئة بسبب التلوث والحروب والكوارث الطبيعية، إضافة إلى نقص الوعي البيئي بين السكان الذين لم يستفيدوا من توجيهات دينهم وتراث أجدادهم.
7. رغم استبعاد وجود جهاز مستقل لنظام الحسبة في مدينة عنابة (بونة)، فإن هذه الوظيفة – التي تهتم بالشؤون الحضرية ومتابعة الجوانب التخطيطية للمدينة– يرجح وجودها ضمن الأجهزة الإدارية والأمنية بغرض المحافظة على الطرقات واتساعها، ونظافة الشوارع، ومراقبة المباني وارتفاعها، وحماية المارة من مختلف الأنشطة الخطيرة، ومراقبة الأسواق.
8. تمتعت مدينة عنابة (بونة) بمكانة حضارية في حوض البحر المتوسط بفعل موقعها الاستراتيجي، ومواردها الكثيرة والمتنوعة، فكانت مطمعا لأمم كثيرة، بهدف نهبها والسيطرة عليها، فقاومت لتبقى، رغم عدم الاستقرار.

- **التوصيات:**

1. إنقاذ المدينة القديمة (بونة) من عوائد الدهر، فهي مهددة بالزوال وتحتاج إلى تكاتف جهود السلطات المحلية والجهات المختصة في علم الآثار لإعادة ترميمها.
2. السعي لدى اليونسكو لتصنيفها ضمن التراث العالمي والاستفادة من تجربة هذه المنظمة العالمية في حماية الآثار والمحافظة عليها.
3. الاستفادة من التاريخ الاقتصادي للمدينة وإعادة الاعتبار لبعض المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها عنابة (بونة) في الماضي مثل: الكتان، والعناب الذي منه حملت المدينة اسمها الحالي.
4. تجسيد ما اهتدى إليه أسلافنا من فكر بيئي متطور، والحفاظ على البيئة لتحسين ظروف الحياة الحضرية، وإنشاء مدن مريحة، ومزدهرة، ومنسجمة مع خصوصيات السكان الاجتماعية، والاقتصادية، والصحية، والأمنية.
5. نشر الوعي البيئي بين السكان، واعتبار الحفاظ على البيئة واجب ديني على كل فرد، حتى تتآزر كل القوى الرسمية والشعبية لتكريس هذا المسعى.
6. سن تشريعات ردعية لتساهم في حماية البيئة ومعاقبة المخالفين وتكريم أصدقاء البيئة من أشخاص طبيعيين وأشخاص معنويين.
7. إدراج مادة التربية البيئية في مختلف مراحل التعليم، وذلك حسب الفروق العقلية والنفسية للتلاميذ، لإعداد جيل يتعامل بإيجابية مع بيئته الطبيعية.
8. عقد المؤتمرات الدولية، والمحاضرات، والندوات، وتوزيع النشرات التي تركز على أهمية البيئة، وأساليب المحافظة عليها.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

فضلت تقديم بعض المواد المكملة للبحث كملاحق، رأيت أنها ضرورية لتمكين القارئ من الاطلاع على بعض التفاصيل التي ترتبط بالمعطيات التي تضمنها المتن، ومتابعة قراءة الموضوع، وذلك لأهميتها في إيضاح بعض الجوانب، التي ترتبط بموضوع تاريخي جغرافي كالذي بين أيدينا، خاصة وأن هذه السندات والوثائق ذات طابع ميداني، تجعل البحث أكثر متعة ونفع بعيدا عن المعلومات الجافة، وقد وظفت نصّيْن وخرائط وصور قمت بالتقاطها بنفسي من مدينة عنابة العتيقة وإقليمها لأضع القارئ في الصورة وأجنبه الخيال إن استطعت.

الملحق رقم (01)

وصف المجال الجغرافي والطبيعي لمدينة بونة (عنابة)، وإبراز دورها الاقتصادي.

« ومدينة بونة مدينة مقتدرة، ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، ومقدارها في رقعتها كالأربس، وهي على نحر البحر، ولها أسواق حسنة، وتجارة مقصودة، وأرباح متوسطة، وفيها خصب ورُخص موصوف، وفواكه وبساتين قريبة، وأكثر فواكهها من باديتها، والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها كما لا قدر له، وبها معادن من حديد كثيرة، ويحمل منه إلى الأقطار الغزير الكثير، ويزرع بها الكتان، ولها عامل قائم بنفسه، ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرابطة. ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع. وبها من العسل والخير والمِيْرِ ما تزيد به على ما داناها من البلاد المجاورة لها وأكثر سوائمهم البقر، ولهم إقليم واسع وبادية وحوزة بها نتاج كثير، وقلّ من بها تفوته الخيل السائمة للنتاج ».

المصدر: ابن حوقل (ت. 367هـ/979م)، **صورة الأرض**، ص 77.

الملحق رقم (02)

التطور التاريخي والمكاني لمدينة بونة (عنابة) وعلاقته بالبيئة والحياة الاجتماعية والاقتصادية.

« ومدينة بونة أولية، وهي مدينة أقشتين (القديس أوغسطين) العالم بدين النصرانية، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي، وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال، ولها مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمار وزرع، وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة، وفي بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة في صخر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب أكثر أهلها، وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتين، وهي مستنزه حسن، ويطل على بونة جبل زغوغ (إيدوغ)، وهو كثير الثلج والبرد ومن العجائب أن فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وإن عمّ الجبل كله، ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل، وأكثر لحمانهم البقر، إلا أنها يصحّ بها السودان ويسقم البيضان، وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأورية وغيرهما، وأكثر تجارها أندلسيون، ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار ».

المصدر: البكري (ت. 487هـ/1094م)، **المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص 54-55.

الملحق رقم (03)

خريطة توضح موقع عنابة ومجالها الطبيعي الذي يتميز بتنوعه البيئي.

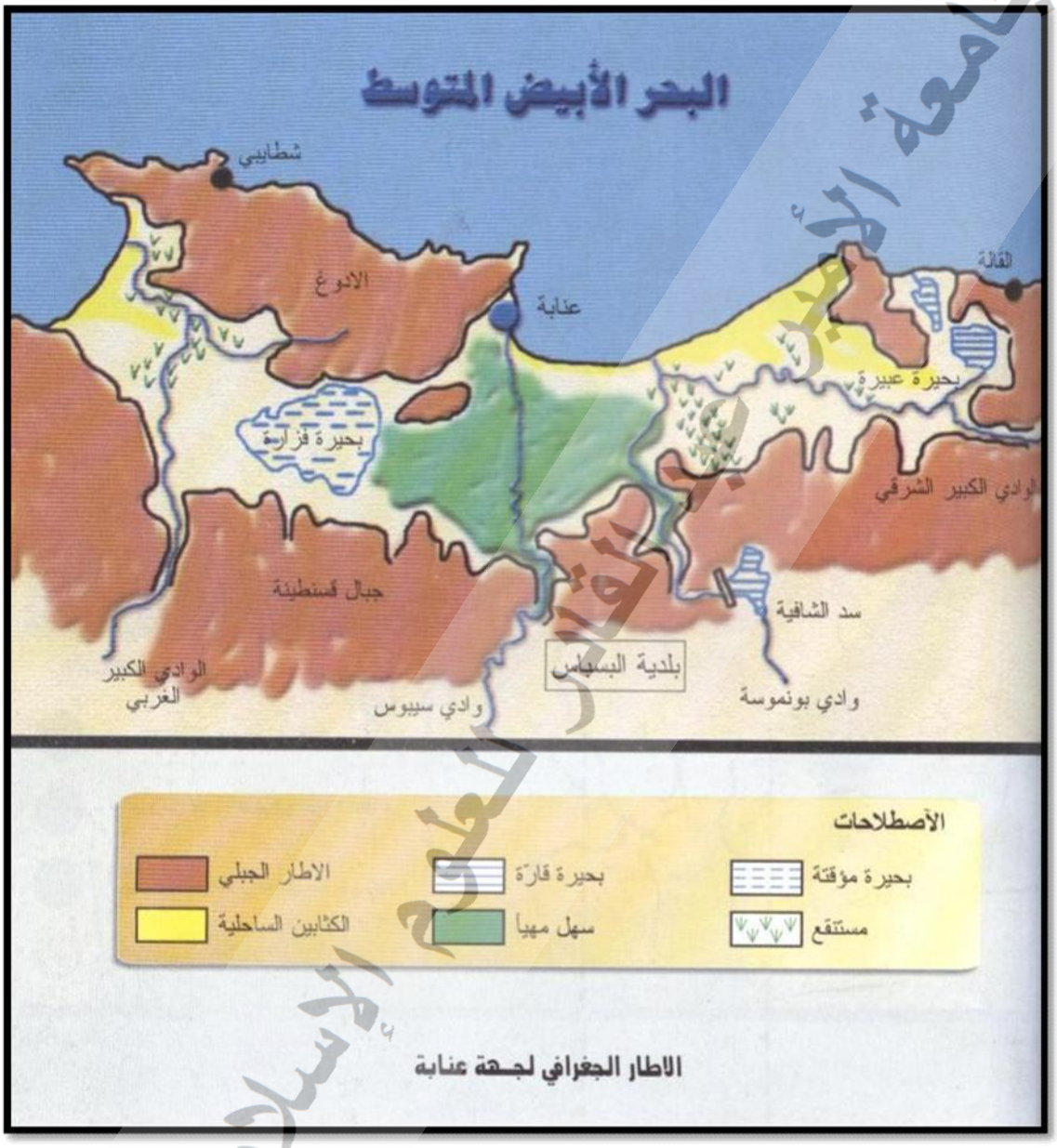

الاطار الجغرافي لجـهة عنابة

المصدر: سعيد دحماني، **من هيبون – بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**، ص 21.

الملحق رقم (04)

مخطط لمدينة بونة (عنابة) في القرن 09 هـ/15م، يبرز توزيع أسواق المدينة وفق العاملين البيئي والصحي.

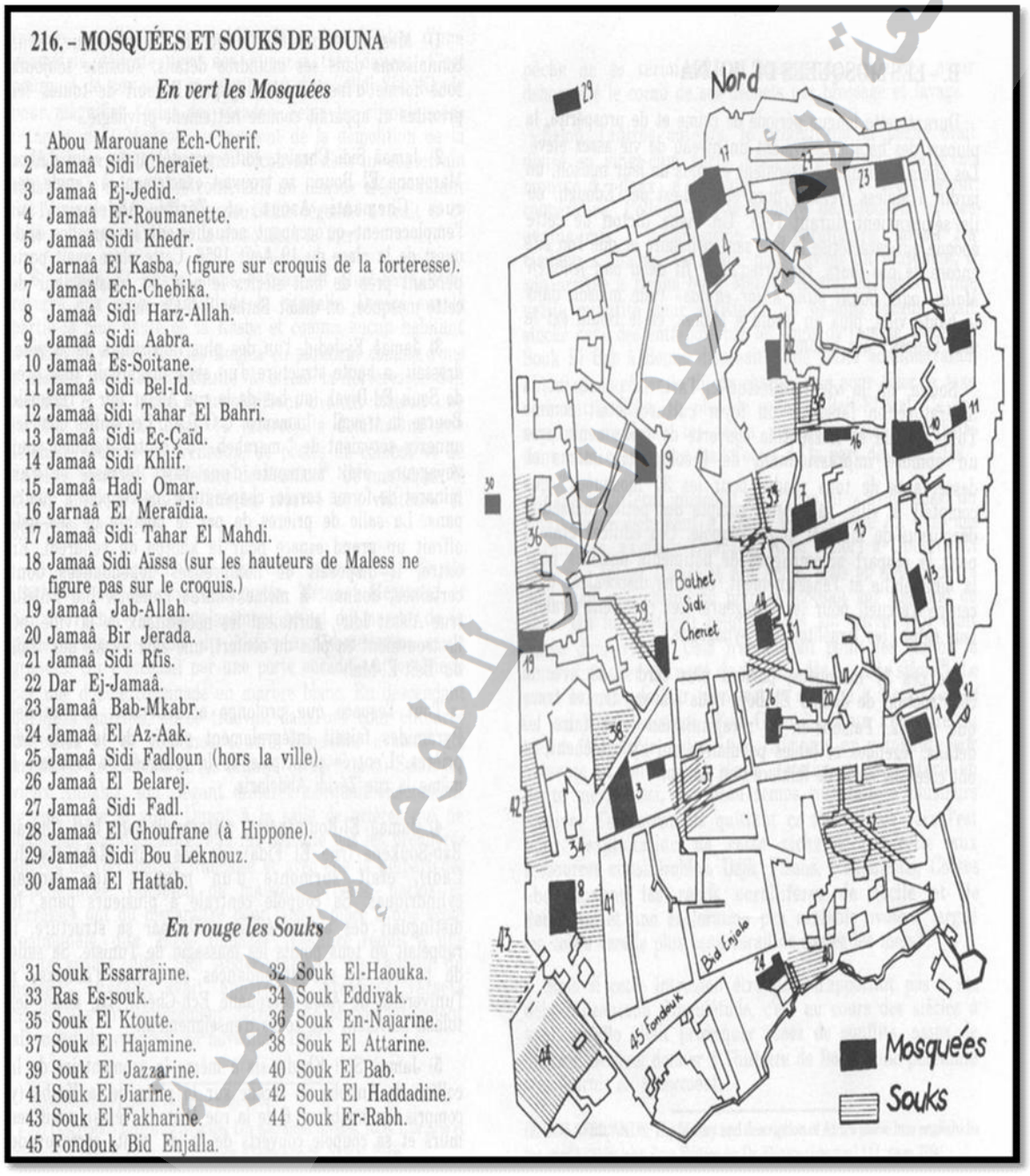

المصدر:

- H’sen Derdour, **ANNABA, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes, 358-359**

الملحق رقم (05):

مخطط المدينة في القرن 11هـ/17م، يوضح الاختلاف البسيط لمعالمها عن فترة الدراسة.

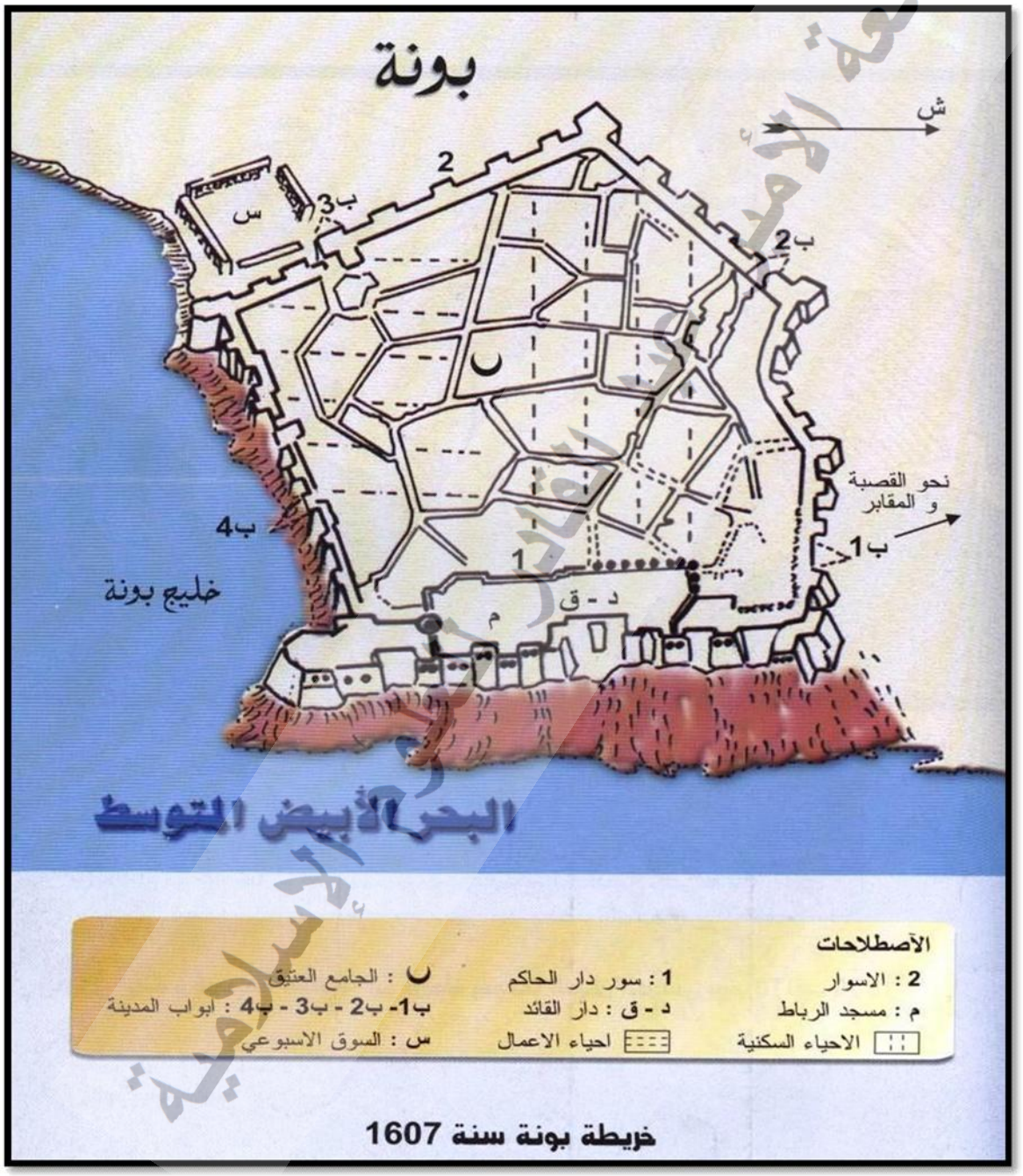

المصدر: سعيد دحماني، **من هيبون – بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**، ص187.

الملحق رقم (06):

خريطة ظهير عنابة (بونة) الغني بالموارد الطبيعية الذي تنازعته القبائل

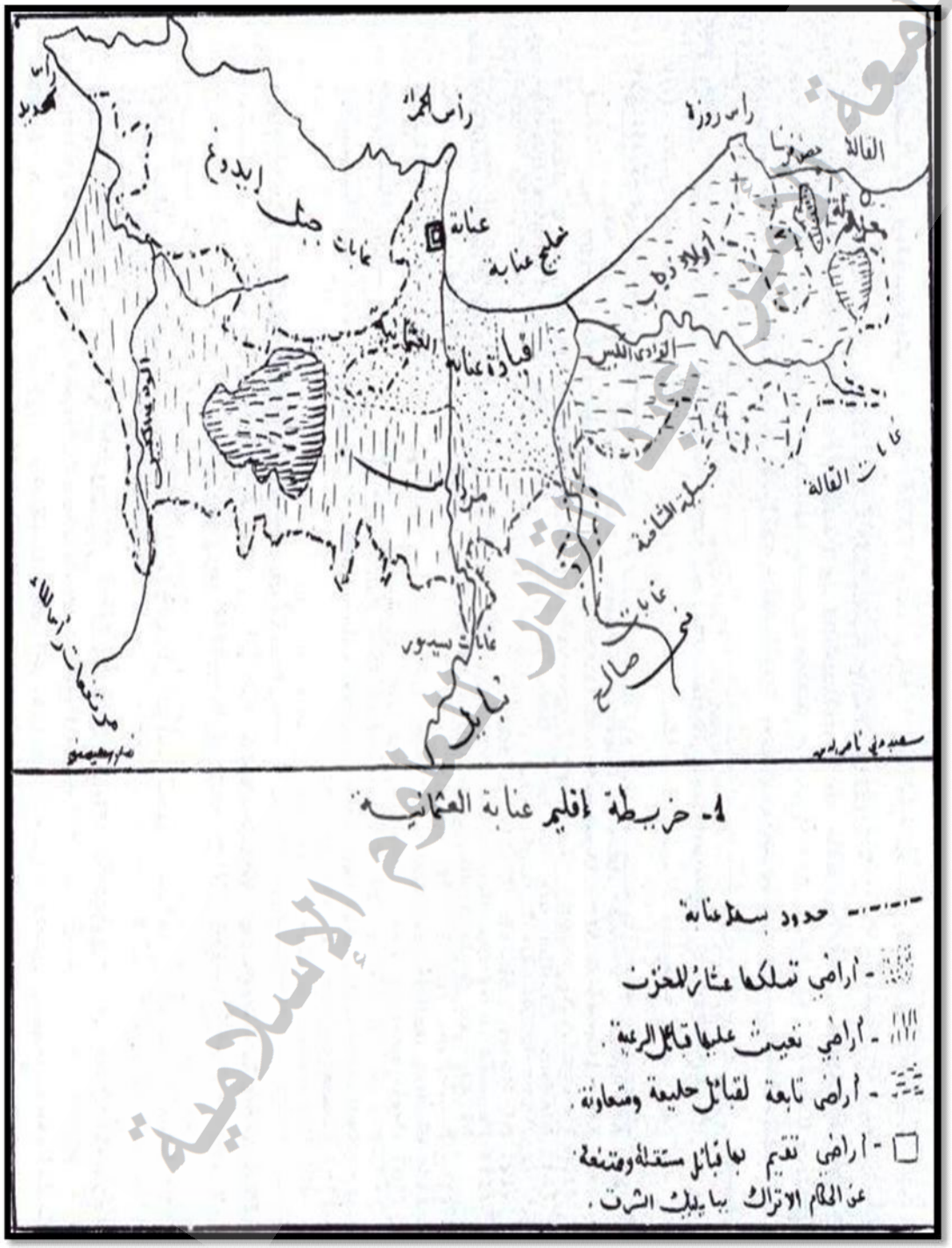

المصدر: ناصر الدين سعيدوني، **"الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني"**، مجلة الأصالة، ع. 35/34، 107.

الملحق رقم (07)

مجموعة من الصور قام الباحث بالتقاطها من مدينة عنابة (المدينة العتيقة حاضرا، بونة ماضيا) ومحيطها يوم 2010/12/29م، تتناول بعض المشاهد التي تخدم إشكالية البحث

الصورة رقم (01): مسجد أبي مروان الشريف الذي اقترن اسمه بتاريخ المدينة الاسلامية، أقيم بأعلى مكان فيها.

الصورة رقم (02): مسجد صالح باي (الإنشاء: 1206هـ/1791م) بعد ترميمه سنة 1430هـ/ 2009م، وتظهر في الداخل قاعة الوضوء، رمز الطهارة عند المسلمين.

الصورة رقم (03): إقامة مفتي المدينة، تقع قرب مسجد أبي مروان، وهي شاهدة على دور الفقهاء قبل تاريخ اللافتة في الحياة اليومية للسكان، منها القضايا المرتبطة بحماية البيئة.

الصورة رقم (04): مشاهد للمدينة في الصباح الباكر قبل شروق الشمس، تبرز معانقة عمرانها لجبالها وخليجها.

الصورة رقم (05): مشاهد لمدينة عنابة عند شروق الشمس، تبرز مكوناتها من مساكن ومرافق وميناء.

الصورة رقم (06): أشد أزقة قصبة المدينة انحدارا، تم انجازه بشكل مدرج لتيسير حركة السكان، وهو دليل على ارتفاع موضع المدينة، وهو يساعد على جريان مياه الأمطار.

الصورة رقم (07): بقايا مسكن من الداخل، يشير المشهد إلى طريقة تسقيف المباني، اعتمادا على مادة الخشب بشكل كبير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصورة رقم (08): أحد شوارع القصبة الضيقة المنحدرة قليلا، مما يسمح بجريان المياه، ويوفر الظل لمستخدميه.

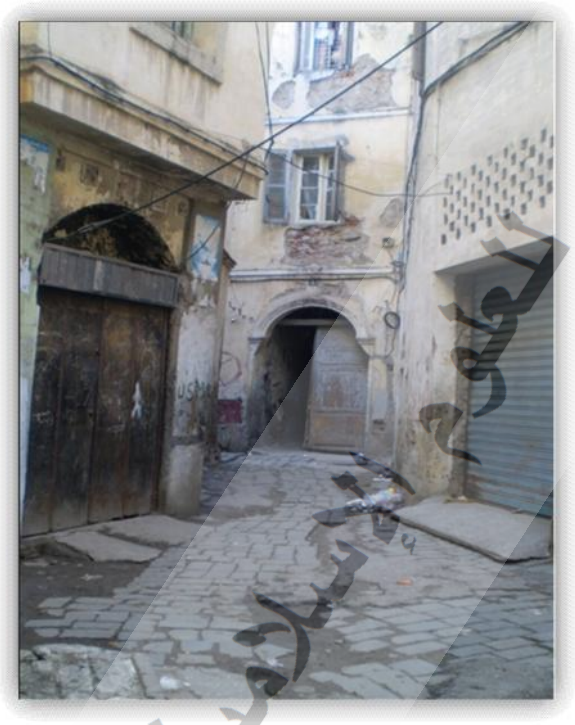

الصورة رقم (09): مشهد يشير إلى الأزقة الملتوية التي توجد بالمدينة لاعتبارات أمنية واجتماعية ومناخية.

الصورة رقم (10): بقايا سور المدينة، الذي يشرف شرقا على الميناء.

الصورة رقم (11): مشاهد لميناء المدينة، الذي كان ومازال بوابتها الرئيسة نحو الخارج، وكان مصدر ازدهارها التجاري، ومنفذا للغزو الأجنبي، والأمراض والأوبئة.

الصورة رقم (12): مشاهد للقلعة الحفصية من عدة زوايا، تشرف على المدينة من الشمال في موضع أعلى.

الصورة رقم (13): مشاهد للقلعة الحفصية من الداخل، التي فقدت شموخها بفعل الإهمال وطول السنين.

الصورة رقم (14): مشهد لسهل عنابة الخصب الذي يمثل مجال المدينة الزراعي عبر تاريخها.

الملحق رقم (08)

مجال المدينة الطبيعي، مصدر قوتها، حوار البحر مع الجبل والغابة والمرعى والسهل.

المصدر: شبكة ومنتديات زاد المسافر، عنابة الساحرة، www.travelzad.com

الملحق رقم (09)

مشاهد لواد السيبوس في نهاية مجراه، تبرز التنوع البيئي بضفتيه.

المصدر: منتدى مجموعات بانوراميو، مصب واد سيبوس، www.panoramio.com

الملحق رقم (10)

مشاهد لبحيرة فزارة من عدة زوايا، والتي صُنفت كمنطقة رطبة عالمية في عام 2003م، لدورها في التوازن البيئي.

ا

المصدر: منتديات سياحة، ولاية عنابة (موسوعة الصور)، www.sea7h.net

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم – رواية حفص–

ثانيا: المصادر:

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي (ت. 630 هـ / 1232 م)، **الكامل في التاريخ**، تح. محمد يوسف الدقاق، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987 م)، مج. 4.

2- إخوان الصفاء (عاشوا في القرن 04 هـ / 10 م)، **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**، سلسلة الأنيس، (الجزائر: موفم، 1992 م)، ج. 2.

3- ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (ت. 729 هـ / 1328 م)، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تع. إبراهيم شمس الدين، (ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 م).

4- الإدريسي، الشريف (ت. 560 هـ / 1164م)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (ليدن: مطبعة بريل، 1866 م).

5- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت. 256 هـ / 869 م)، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، مج. 3، ج.7.

6- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841 هـ / 1438 م)، **فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تح. محمد الحبيب الهيلة، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002 م)، مج. 4.

7- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت. 779 هـ / 1377 م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (ط.1، القاهرة: المطبعة الخيرية، 1323 هـ).

8- البكري، أبو عبيد الله (ت. 487 هـ / 1094 م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، (القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، د.ت.).

9- البوني، أحمد بن قاسم (ت. 1139هـ / 1726 م)، **التعريف ببونة افريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف**، تع. سعيد دحماني، (عين مليلة: دار الهدى،2001 م).

10- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت. 279 هـ / 892 م)، **الجامع الكبير** (سنن الترمذي)، تح. شعيب الأرنؤوط، وهيثم عبد الغفور، (ط.1، دمشق: دار الرسالة العالمية، 2009 م)، ج. 4.

11- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. 255 هـ / 868 م)، **البخلاء**، تح. طه الحاجري، (ط.7، القاهرة: دار المعارف، د.ت.).

12- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. 255 هـ / 868 م)، **الحيوان**، تح. عبد السلام محمد هارون، (ط. 2، مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلي وأولاده، 1966 م)، ك. 1، ج. 4.

13- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت. 396 هـ / 1005 م)، **الصحاح**، تح. أحمد عبد الغفور عطّار، (ط.4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990 م)، مج. 1.

14- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. 900 هـ / 1494 م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، (ط.2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984 م).

15- ابن حنبل، أحمد (ت. 241 هـ / 855 م)، **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تح. شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995 م)، ج. 1.

16- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت. 367 هـ / 977 م)، **صورة الأرض**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.).

17- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت. 776 هـ / 1374 م)، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تح. السعدية فاغية، (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1989 م).

18- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت. 808 هـ / 1406 م)، **المقدمة**، (بيروت: دار الجيل، د.ت.).

19- ابن الرامي البناء، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي (ت. 734 هـ / 1334 م)، **الإعلان بأحكام البنيان**، تح. فريد بن سليمان، (تونس: مركز النشر الجامعي، 1999 م).

20- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد (ت. 272 هـ / 885 م)، **سلوك المالك في تدبير الممالك**، تح. عارف أحمد عبد الغني، (دمشق: دار كنان، 1996 م).

21- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت. 1205 هـ / 1790 م)، **تاج العروس**، تح. عبد الستار أحمد فراج، (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1965 م)، ج. 1.

22- ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت. 741 هـ / 1340 م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972 م).

23- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت.911 هـ / 1506 م)، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، (ط.4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1984 م)، ج. 1.

24- ابن سهل، أبو الإصبغ عيسى (ت. 486 هـ / 1093 م)، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، تح. يحيى مراد، (القاهرة: دار الحديث، 2007 م).

25- ابن سينا، أبو علي الحسين (ت. 428 هـ / 1037 م)، **القانون في الطب**، (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.)، ج. 1.

26- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت. 790 هـ/ 1388 م)، **الموافقات في أصول الشريعة**، (ط.1، بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.)، ج. 2.

27- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت. 589 هـ / 1193 م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشره السيد الباز العريني، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945 م).

28- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت.424 هـ / 1032 م)، **آداب الحسبة والمحتسب**، تح. فاطمة الإدريسي، (ط.1، بيروت، دار ابن حزم، 2005 م).

29- ابن عبد ربه، أحمد بن عمر الأندلسي (ت. 328 هـ / 939 م)، **العقد الفريد**، تح. عبد المجيد الترحيني، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988 م)، ج. 3.

30- العبدري، محمد البلنسي (ت. بعد 688 هـ / 1289 م)، **الرحلة المغربية**، تح. أحمد بن جدّو، (قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث، منشورات كلية الآداب، د. ت.).

31- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت. 520 هـ / 1126 م) وآخرون، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تح. ليفي بروفنسال، (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955 م).

32- العمري، شهاب الدين احمد بن يحي ابن فضل الله (ت. 749 هـ / 1348 م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح. حمزة أحمد عباس، (ط.1، أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2002 م)، س. 4.

33- الغزالي، أبو حامد الطوسي (ت. 505 هـ / 1111 م)، **الحكمة في مخلوقات الله**، تح. محمد رشيد رضا قباني، (ط.3، بيروت: دار إحياء العلوم، 1986 م).

34- أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت. 732 هـ / 1331 م)، **تقويم البلدان**، (بيروت: دار صادر، د.ت.).

35- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت. 817 هـ / 1414 م)، **القاموس المحيط**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.)، ج. 1.

36- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت. 276 هـ / 889 م)، **عيون الأخبار**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1996 م)، مج. 1.

37- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت.821 هـ / 1418 م)، **صبح الأعشى**، (القاهرة: دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، 1915 م)، ج. 5.

38- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت. 751 هـ/ 1349 م)، **الطب النبوي**، تح. محمد علي القطب، (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، 2005 م).

39- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت. 774 هـ/ 1372م)، **تفسير القرآن العظيم**، تح. مصطفى السيد محمد وآخرون، (ط.1، القاهرة: مؤسسة قرطبة، 2000 م)، ج. 6، ج. 8، ج. 9، ج. 14.

40- كربخال، مارمول (عاش في القرن 10 هـ / 16 م)، **إفريقيا**، تر. محمد حجي و آخرون، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1988- 1989 م)، ج. 3.

41- ابن ماجة (ت. 273 هـ / 886 م)، **سنن ابن ماجة**، تح. خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، مج. 1.

42- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت. 450 هـ / 1058 م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح. سمير مصطفى رباب، (صيدا، بيروت:المكتبة العصرية، 2003 م).

43- مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن 06 هـ / 12 م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع. سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت.).

44- مجهول (عاش في القرن 10 هـ / 17 م)، **الهدايا الملكية**، تر. سعيد دحماني، (عين مليلة، الجزائر: دار الهدى، 2002 م).

45- المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت. 647 هـ / 1249 م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، (ليدن: مطبعة بريل، 1881 م).

46- المسعودي، أبو الحسين بن علي (ت. 346 هـ / 957 م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تقديم محمد السويدي، سلسلة الأنيس، (الجزائر: موفم، 1989 م)، ج. 2.

47- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت. 261 هـ / 874 م)، **الجامع الصحيح**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، مج. 1، ج.1.

48- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. 380 هـ / 990 م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تع. محمد أمين الضناوي، (ط.1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م).

49- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت. 1041 هـ / 1631 م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1988 م)، مج. 2.

50- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت. 711 هـ / 1311 م)، **لسان العرب**، تح. عبد الله علي الكبير وآخرين، (القاهرة : دار المعارف، د.ت)، مج. 1، ج. 5.

51- الوزان، الحسن بن محمد (ت. بعد 957 هـ / 1550 م)، **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي، محمد الأخضر، (ط.2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983 م)، ج. 1، ج. 2.

52- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت.914 هـ / 1508 م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح. محمد حجي وآخرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981 م)، ج. 9.

53- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت. 626 هـ / 1228 م)، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، 1977 م)، ج. 1، ج. 4.

ثالثا: المراجع باللغة العربية:

1- آغا، شاهر جمال، **الزلازل، حقيقتها وآثارها**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أوت 1995 م) ع. 200.

2- أكبر، جميل عبد القادر، **عمارة الأرض في الإسلام، مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية**، (ط.3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998 م).

3- بالباس، ليوبولدو تورس، **المدن الأسبانية الإسلامية**، تر. إليو دورو دي لابنيا، (ط.1، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003 م).

4- بالحميسي، مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، (ط. 2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981 م).

5- برنشفيك، روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م**، تر.

حمادي الساحلي، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988 م)، ج. 2.

6- بلغيث، محمد الأمين، **فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي**، (ط.1، الجزائر: أنتير سينيبي،2007 م).

7- التر، عز الدين سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، تر. محمود علي عامر، (ط.1، بيروت: دار النهضة العربية، 1989 م).

8- الترمانيني، عبد السلام، **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، (دمشق: دار طلاس، 1997 م)، ج. 4.

9- جندلي، محمد بن إبراهيم، **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا**، (ط.1، عنابة: مطبعة المعارف،2007 م)، ك. 1.

10- ابن جنيدل، سعد بن عبد الله، **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم**، (ط.1، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1424 هـ / 2003 م).

11- جيرة، عبد الرحمن، **الإسلام والبيئة**، (ط.1، القاهرة: دار السلام، 2000 م).

12- الجيزاني، محمد بن حسين، **فقه النوازل**، دراسة تأصيلية تطبيقية، (ط. 2، الرياض: دار ابن الجوزي، 2006 م)، ج. 1.

13- الجيلالي، عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، (ط. 2، الجزائر، بيروت: مكتبة الشركة الجزائرية، دار مكتبة الحياة، 1965 م)، ج. 1.

14- حارش، محمد الهادي، **التاريخ المغاربي القديم**، السياسي، والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995 م).

15- حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط.14، بيروت، القاهرة: دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، 1996 م)، ج. 1.

16- حسن، محمد، **الجغرافيا التاريخية لإفريقية**، من القرن الأول إلى التاسع هـ / VII – XV م،

(ط.1، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004 م).

17- حسن، محمد إبراهيم، **دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط**، (الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب، 1999 م).

18- الحلبوسي، سعدون سلمان نجم، **الفلسفة التربوية البيئية**، دراسة في تطور الفكر التربوي البيئي منذ بدء التاريخ حتى الفكر الفلسفي المعاصر، (فاليتا، مالطا: منشورات ELGA، 2002 م).

19- الحمد، رشيد؛ وصباريني، محمد سعيد، **البيئة ومشكلاتها**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1979 م)، ع. 22.

20- خالدي، عبد الحميد، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003 م).

21- الخربوطلي، علي حسني، **الحضارة العربية الإسلامية**، (ط.2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994 م).

22- خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم**، (ط.2، الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1985 م).

23- الخضري بك، محمد، **إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء**، تع. زهير الكبي، (ط.1، بيروت: دار الفكر العربي، 1992 م).

24- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، (ط.1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996 م).

25- الخطيب، هشام إبراهيم، **الوجيز في الطب الإسلامي**، (عمّان، باتنة: دار الأرقم، دار الشهاب، 1988 م).

26- أبو خليل، شوقي، **أطلس القرآن**، (ط.1، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 2003 م).

27- خير الله، شوقي، **قرطاجة العروبة الأولى في المغرب**، (ط.1، د.م.: مركز الدراسات العلمية/ المركز العلمي، 1992 م).

28- دحماني، سعيد، **من هيبون– بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**، (ط.1، عنابة: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 2007 م).

29- الدنيا، علي، **مبادئ الجيولوجيا**، (قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، 1993 م)، ج. 1.

30- أبو زريق، علي راضي، **الإنسان والبيئة**، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، 1416 هـ).

31- الزقرطي، إبراهيم موسى، **أسس الأسماء الجغرافية**، (عمّان: المركز الجغرافي الملكي الأردني، 1997 م).

32- سالم، السيد عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب: العصر العباسي الأول**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993 م)، ج. 3.

33- السرطاوي، فؤاد عبد اللطيف، **البيئة والبعد الإسلامي**، (ط. 1، عمّان: دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 1999 م).

34- سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (ط.1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 م)، ج. 2.

35- السعدني، محمود إبراهيم، **حضارة الرومان** (منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول الميلادي)، (ط.1، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998 م).

36- السعود، راتب، **الإنسان والبيئة**، دراسة في التربية البيئية، (عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2004 م).

37- شحاتة، عبد الله، **رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة**، (ط.1، القاهرة : دار الشروق، 2001 م).

38- الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، (ط.5، الجزائر: موفم، 1990 م)،ج. 3.

39- ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تح. محمد الطاهر الميساوي، (ط. 2، الأردن: دار النفائس، 2001 م).

40- عثمان، محمد عبد الستار، **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988 م)، ع. 128.

41- العربي، إسماعيل، **المدن المغربية**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت.).

42- عزب، خالد محمد مصطفى، **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، سلسلة كتاب الأمة، (ط.1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، يوليو-أغسطس1997 م)، ع. 58، السنة 17.

43- عمارة، محمد، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، (ط.1، بيروت، القاهرة: دار الشروق، 1993 م).

44- عيسى بك، أحمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، (ط.2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981 م).

45- الغنيم، عبد الله يوسف، **سجل الزلازل العربي: أحداث الزلزال وأثرها في المصادر العربية**، (ط.1، الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية، 2002 م).

46- فارس، محمد، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، (ط.1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م).

47- الفاسي، علال، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، (ط.5، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993 م).

48- فايد، يوسف عبد المجيد، **مناخ لبنان بين البحر والجبل**، (بيروت: جامعة بيروت العربية، 1972 م).

49- فركوس، صالح، **المختصر في تاريخ الجزائر**، من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م.- 1962 م)، (عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003 م).

50- الفقي، محمد عبد القادر، **البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث**، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، 1993 م).

51- فون مالتسان، هاينريش، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر. أبي العيد دودو، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979 م)، ج. 2.

52- فيلالي، عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، (الجزائر: موفم، 2002 م)، ج. 1.

53- قدّاش، محفوظ، **الجزائر في العصور القديمة**، تر. صالح عبّاد، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993 م).

54- القرضاوي، يوسف، **رعاية البيئة في شريعة الإسلام**، (ط.1، القاهرة: دار الشروق، 2001م).

55- كردوس، صلاح الدين، **أسس الجغرافيا الطبيعية**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 م).

56- الكرمي، حافظ أحمد عجاج، **الإدارة في عصر الرسول** ﷺ، دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، (ط.1، القاهرة: دار السلام، 2006 م).

57- لقبال، موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها**، (ط.1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971 م).

58- مازيل، جان، **تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)**، تر. ربا الخش، (ط.1، اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، 1998 م).

59- مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، (ط.1، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987 م).

60- المبارك، هاني، وأبو خليل، شوقي، **دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية**، (ط.1، بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، 1996 م).

61- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (ط.4، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، 2004 م).

62- محمّدين، محمد محمود، **التراث الجغرافي الإسلامي**، (ط.3، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1999 م).

63- المطوي، محمد العروسي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982 م).

64- مقري، عبد الرزاق، **مشكلات التنمية والبيئة والعلاقات الدولية**، (ط.1، الجزائر: دار الخلدونية، 2008 م).

65- المنجد في اللغة والأعلام، (ط.39، بيروت: دار المشرق، المكتبة الشرقية، 2002م).

66- منصور، أحمد صبحي، **الحسبة دراسة أصولية تاريخية**، (ط.1، القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، 1995 م).

67- الميلي، مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح محمد الميلي، (ط.3، الجزائر، بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الغرب الإسلامي، 1989 م)،ج. 1.

68- لنجار، عبد المجيد عمر، **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، (قطر: مركز البحوث والدراسات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999 م).

69- هوفمان، مراد، **الإسلام كبديل**، تعريب عادل المعلم، (ط.1، القاهرة: دار الشروق، 1997 م).

رابعا: الرسائل الجامعية:

1- البابا، مؤمن أنيس عبد الله، **البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (01 – 656 هـ / 622 – 1258 م)**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ)، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1430 هـ / 2009 م.

2- المطيرات، عادل مبارك، **أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظريتي الضرورة والظروف الطارئة** (بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة قسم الشريعة الإسلامية)، كلية دار العلوم،

جامعة القاهرة، 1422 هـ / 2001 م.

خامسا: المقالات والدوريات:

1– أوزدمير، إبراهيم، "**البيئة في القرآن الكريم**"، مجلة حراء، ع. 07، السنة 02، أبريل– يونيو 2007 م، ISIKOZEL Egitim, T. اسطنبول–تركيا.

2– بورويبة، رشيد، "**عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،ع. 35/34، السنة 05، يونيو– يوليو 1976 م.

3– البوعبدلي، المهدي، "**جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو – يوليو 1976 م.

4– الجيزاني، محمد بن حسين بن حسن، "**الاجتهاد في النوازل**"، مجلة العدل، وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية، ع. 19، السنة 05، رجب 1424 هـ.

5– الجيلالي، عبد الرحمن، "**حول مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ع. 35/34، يونيو — يوليو 1976م.

6– حاجيات، عبد الحميد، "**عنابة في عهد الحفصيين**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو — يوليو 1976م.

7– دودو، أبو العيد، "**عنابة في نظر الرحالين الألمان**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو – يوليو 1976 م.

8– سعيدوني، ناصر الدين، "**الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو –

يوليو 1976 م.

9- شنيتي، محمد بشير، "**هيبون القديمة**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة 05، يونيو – يوليو 1976 م.

10- الصباغ، ليلى، "**عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34 ، السنة الخامسة، يونيو – يوليو 1976 م.

11- العلواني، مصطفى، "**الإسلام والبيئة**"، مجلة التراث العربي، ع. 101، السنة 26، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، جانفي 2006 م.

12- الكعاك، عثمان، "**عنابة قبل الإسلام**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع. 35/34، السنة 05، يونيو- يوليو 1976 م.

13- الهذلول، صالح بن علي، "**التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة الإسلامية**"، المنهل، دارة المنهل للصحافة والنشر جدة، ع. 519، مج. 56، أكتوبر– نوفمبر 1994م.

سادسا: المراجع باللغة الأجنبية:

1- **Atlas de poche**,(Paris**: Librairie Larousse**,1982).

2- Derdour, H’sen, **ANNABA 25 siècles de vie quotidienne et de luttes**, (2ème éd, Batna: imprimerie, A. Guerfi, S.D.) T.1.

3- **Learner’s dictionary**, (London: Collins Cobuild, 1996).

4- **Nouveau petit Larousse**, (Paris: Liberairie Larousse, 1972).

5- Shaw (Th), **Voyage Dans La Regence D’ Alger**, Traduit J. MAC CARTHY (Paris: Marlin, 1830).

6- THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, the international union of reprint, (Leiden: Brill ,1986), V.1.

سابعا: إنترنت:

1- بلعربي، خالد، "**المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني**"، دورية كان التاريخية، ع. 04، يونيو 2009 م، (www.hostoricalkan.co.nr).

2- منتدى مجموعات بانوراميو، **مصب واد سيبوس**، www.panoramio.com

3- منتديات سياحة، **ولاية عنابة** (**موسوعة الصور**)، www.sea7h.net

4- شبكة ومنتديات زاد المسافر، **عنابة الساحرة**، www.travelzad.com

الفهارس العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	30	23
	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾	61	18
	﴿ ثمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	74	21
	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ...﴾	143	23
	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	164	21
آل عمران	﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	121	12
المائدة	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ	32	16

	النَّاسَ جَميعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَميعاً وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بالبَيِّنَات ثُمَّ إِنَّ كَثيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾		
الأنعام	﴿ وَمَا من دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ من شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾	38	17
	﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ منَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا به نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا منْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ منْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمنَ النَّخْلِ من طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	99	18
الأعراف	﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ من سُهُولِهَا قُصُوراً ﴾	74	11
	﴿...وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	85	23
	﴿ ويَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	129	23
	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199	40
يونس	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ﴾	87	11
هود	﴿... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾	61	23
يوسف	﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾	105	15

الحجر	﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾	22	22
	﴿ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ﴾	82	19
النحل	﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾	08 -05	17
	﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾	10	21
	– ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	14	22
	– ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	15	19
الإسراء	﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً، وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً، وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴾	33 -31	16

	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾	70	23
الأنبياء	﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾	30	20
الحج	﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾	45	21
الشعراء	﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾	151-152	23
الروم	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ... ﴾	41	23
الأحزاب	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾	72	23
سبأ	﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾	12	19
فاطر	﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾	27	19
يس	﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾	34	21
الزمر	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾	21	21

الجاثية	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	13	23
ق	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾	09	21
الذاريات	﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾	48	19
الرحمن	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾	22	22
الحديد	﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾	25	19
الملك	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾	30	21
نوح	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ﴾	19- 20	19
النازعات	﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾	30- 33	19
عبس	﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً، وَعِنَباً وَقَضْباً، وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً، وَحَدَائِقَ غُلْباً، وَفَاكِهَةً وَأَبّاً، مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.... ﴾	24- 32	18
الغاشية	﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾	17	17
التين	﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾	01	19

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية:

الحديث	الصفحة
اتقوا الملاعن الثّلاثَ: البَرَاز في الموارد، والظّلِّ، وقارعة الطريقِ.	25
إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها.	27
إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا.	26
إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن يقوم حتى يغرسها فليفعل.	26
الإيمان بضع وسبعون بابا، فأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله.	24
البصاق في المسجد خطيئة، وكفارته دفنه.	25
وتميط الأذى عن الطريق صدقة.	24
وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل.	25
حق لله على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده.	24
خمّروا الآنية، وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة ربما جرّت الفتيلة، فأحرقت أهل البيت.	27
خمس فواسق يقتلن في الحرم، العقرب، والفأرة، والحديا، والغراب، والكلب العقور.	25
دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.	26
السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب.	24
طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّات أولاهن بالتراب.	27
الطهور شطر الإيمان.	24
غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركِيٍّ يلهث، قال كاد يقتله العطش،	26

فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك.	
فرّ من المجذوم، كما تفر من الأسد.	27
الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط.	24
لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون.	27
لا ضرر ولا ضرار.	40
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.	25
لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثمّ يغتسل منه.	25
اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيّء الأسقام.	27
ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة كان له به صدقة.	26
من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق.	26
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.	12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس الأعلام:

حرف الألف

ابن الأثير: 54، 103.
أحمد التمتام: 109.
ابن الإخوة: 36.
إخوان الصفاء: 33، 38.
الإدريسي: 65، 68.
أسامة بن زيد: 29.
أوغسطين (القديس): 53، 54، 55، 74.

حرف الباء

البخاري: 30.
برنشفيك: 75.
بطليموس: 53.
أبو البقاء: 67.
أبو بكر الصديق: 29.
البكري (أبو عبيد الله): 54، 55، 58، 61، 62، 63، 64، 69.
البوني (أحمد بن القاسم): 101، 106.

حرف التاء

التمقروتي: 67.

حرف الجيم

الجاحظ: 33، 34.

حرف الحاء

الحارث بن العزيز: 86.
حسان بن النعمان: 54، 55.
أبو الحسن المريني: 98.
الحسن بن محمد: 88، 105.
أبو حفص: 87.
الحميري: 66، 69.
حنبعل: 52.
ابن حوقل: 55، 62.

حرف الخاء

ابن الخطيب: 98.
ابن خلدون (عبد الرحمن): 33، 35، 65، 67، 93، 97.
خير الدين بربروس: 88، 105.

حرف الدال

دردور (حسن): 76.

حرف الراء

الرازي (أبو بكر): 31.
ابن الرامي: 44.
الرشيد (الحفصي): 88.
روجار: 86.

حرف الزاي

زاوي بن زيري: 55، 58، 64.

أبو زكرياء الأول: 87، 88.
أبو زكرياء الثاني: 88.

حرف السين

ابن سهل: 41، 43.
سيبيون (الإفريقي): 52.
ابن سينا: 34.

حرف الشين

شو (الرحالة): 49، 53، 63.
الشيزري: 37.

حرف العين

أبو العباس (الحفصي): 102.
ابن عبد الرؤوف: 37.
عبد الرحمن بن عوف: 30.
العبدري: 101، 102.
أبو عبد الله الأنصاري: 108.
أبو عبد الله التمتام: 109.
أبو عبد الله محمد: 102.
أبو عبيدة بن الجراح: 29.
عثمان بن عفان: 54.
عثمان الكعاك: 74.
عضد الدولة: 31.
عقبة بن نافع: 55.
ابن علناس (الناصر): 86.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو علي عمر: 87.
عمر بن الخطاب: 29، 30، 32.
عمرو بن العاص: 30.
العمري: 75، 108.

حرف الغين

غايا: 52.
الغزالي (أبو حامد): 19، 22.

حرف الفاء

فاغنر: 74.
أبو الفداء: 63.
فون مالتسان: 48.
فيليب (المهدوي): 86.

حرف القاف

ابن القاسم: 43.
القرضاوي: 13.
القلقشندي: 50.
ابن قيم الجوزية: 34.

حرف الكاف

كربخال (مارمول): 50، 61، 64، 69، 70، 73، 78.

حرف اللام

لويس التاسع: 96.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حرف الميم

ماسينيسا: 52.
مالك بن أنس: 43.
المجريطي (مسلمة بن أحمد): 14.
المراكشي (عبد الواحد): 50.
أبو مروان: 59، 70، 71، 72، 88، 106.
المسعودي: 32.
مسيبسا: 49.
المنصور (أبو جعفر): 30.
المنصور (يعقوب): 87.

حرف النون

الناصر (الموحدي): 87.

حرف الواو

الوزان (ليون الإفريقي): 50، 54، 61، 63، 69، 70، 73، 77.

حرف الياء

أبو يحي زكرياء: 88.
يحي بن العزيز: 86.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الأماكن والبلدان:

حرف الألف

أُبْنى: 29.
الأحقاف: 15.
أسبانيا: 52 ، 88، 95.
الإسكندرية: 67.
إفريقيا: 85، 94.
إفريقية: 50، 54، 75، 86، 87، 96، 103، 108.
انجلترا: 98.
الأندلس: 14، 41، 90، 91، 103.
أنطاكية: 91.
أوروبا: 98، 99.

حرف الباء

باب قسنطينة (باب الخميس): 78.
باجة: 54.
بجاية: 68، 76، 77، 80، 87، 88، 102، 108.
البحر الأبيض المتوسط: 58، 78، 79، 82، 83، 85، 90، 91، 93، 100، 103.
بحيرة فزارة: 60، 82.
برقة: 91.
بسكرة: 76.
البصرة: 30، 34.
بغداد: 30، 31.
بلد العناب: 50.
البندقية: 78.

بوجمعة (واد): 61، 77، 92.
بيد إنجالا (فندق): 78.
بئر النشرة: 61.
بيزة: 78، 85.
بيسان: 47.

حرف التاء

تازة: 98.
تونس: 75، 76، 77، 80، 86، 88، 91، 96، 103، 105، 108.
تيفاش: 76.

حرف الجيم

جبال الهيملايا: 82.
جامع الحطاب: 107.
جامع أبي مروان: 70، 71.
جبل الإيدوغ: 60، 67، 76، 88، 92، 106، 107.
جبل عابد: 88.
جربة: 103.
الجزائر: 58، 71، 74.
جنوة: 78.
جون الخروبة: 61.

حرف الحاء

الحجاز: 32.
الحِجر: 15.
حماة: 47.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حمامات القايد: 79.
حي بئر جرادة (نهج الجزائر): 74.
حي حمام القايد (نهج الملكي): 74.
حي عبرة (نهج الفداء): 74.
حي العقبة (نهج القديس أوغسطين): 74.
حي كوشة العصافري (نهج دالي علي): 74.

حرف الخاء

خليج بونة (جون): 58، 61، 80، 82.
خليج المرجان: 61.

حرف الراء

رأس بوفحل: 79، 80.
رأس روزا (الوردة): 58.
رأس غارد (رأس الحمراء): 48، 58.
رباط أبي مروان: 59، 70، 71، 72.
روسيا: 84.
روما: 53.

حرف الزاي

الزاب: 88.
زاما: 52.

حرف السين

سبتة: 59، 89.
سردينيا: 79، 85.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سلا: 67.
سور المدينة: 67، 69، 70، 71، 73، 76، 77، 78، 101، 106، 107، 109.
سوسة: 103.
سوق الجزارين: 77.
سوق الجيارين: 77.
سوق الحبوب: 78، 106.
سوق الحجامين: 76.
سوق الحدادين: 77.
سوق الحوكة: 76.
سوق السراجين: 76.
سوق السمك: 109.
سوق العطارين: 76.
سوق الفخارين: 77، 107.
سوق المواشي: 78، 106.
سوق النجارين: 76.
السيبوس (واد): 58، 61، 64، 76، 92، 107.

حرف الشين

الشام: 29، 32، 47، 91، 98.
شمال إفريقيا: 51، 52، 53، 94.

حرف الصاد

صفاقس: 103.
صقلية: 85، 86، 91، 103، 104.
الصين: 32.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حرف الطاء

طرابلس: 67، 103.

حرف العين

العراق: 32.
عكا: 47.
عمّان: 47.
عمواس: 29، 30.
عنابة (بونة): 47، 49، 50، 51، 56، 58، 59، 60، 62، 64، 65، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 76، 77، 78، 79، 80، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 99، 100، 102، 103، 104، 106، 107، 108، 110.

حرف الغين

غابة الإيدوغ: 80، 106.
غرناطة: 88.

حرف الفاء

فارس: 32.
فاس: 75، 98، 109.
فرنسا: 96، 98.
فيورنتينا: 78.

حرف القاف

قابس: 91.
القالة: 76، 82.
القبائل (منطقة): 76.

قبرص: 91.
قرطاج: 54.
قرطاجة: 52.
القسطنطينية: 91.
قسنطينة: 87، 88، 108.
القطب الشمالي: 83.
القل: 68.
القلعة (الحفصية): 61، 69، 70، 72، 88.
القوقاز: 82.
القيروان: 55.

حرف الكاف

كاغلياري: 85.
الكهف: 15.
الكوفة: 30.

حرف الميم

مالطا: 85.
المحيط الهادي: 82.
مدار السرطان: 83.
المدائن: 30.
المدينة المنورة: 28، 30.
مراكش: 75، 91.
مرسى ابن الألبيري (شاطئ الرج الجنوي): 79.
مرسى الخروبة: 79.
مرسى خليج بونة: 80.

المشرق (بلاد): 31، 80، 85، 97، 98، 99، 103.

مصر: 11، 32، 63، 91، 98.

المضيق السرديني: 79.

المغرب (بلاد): 32، 41، 62، 75، 80، 83، 85، 90، 92، 94، 95، 97، 98، 99، 103، 104.

مكة: 28.

المهدية: 66، 86، 103.

ميناء المدينة (بونة): 48، 78، 79، 80.

حرف الهاء

الهند: 32، 94.

هيبون (هبو، هيبو): 47، 48، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 58، 92.

حرف الياء

يافا: 48.

اليمن: 32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
المقدمة:	01 - 09
الفصل الأول: البيئة ومدينة عنابة:	10-56
المبحث الأول: الفكر البيئي في الحضارة الإسلامية:	11- 46
أولا: مفهوم البيئة لغة واصطلاحا:	11- 14
1. لغة:	11- 12
2. اصطلاحا:	12- 14
ثانيا: البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية:	14- 28
1. البيئة في القرآن الكريم:	15-24
أ. الإنسان:	16- 17
ب. الحيوان:	17
ج. النبات:	18-19
د. الأرض:	19- 20
هـ. الماء:	20-22
و. الهواء:	22-24
2. البيئة في السنة النبوية:	24-28
أ. الطهارة والنظافة العامة:	24-25
ب. مكافحة تلوث المياه:	25
ج. الرفق بالحيوان:	25-26
د. الغرس والزرع والعناية بالنبات:	26
هـ. الوقاية من الأخطار والأمراض المعدية:	27-28
ثالثا: البيئة في التاريخ الإسلامي ومصادر التراث:	28-46
1. البيئة في التاريخ الإسلامي:	28-32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ. الرسول ﷺ ووباء المدينة:	28
ب. الأمن البيئي من خلال جهود بعض خلفاء المسلمين:	31-29
• وصية الخليفة أبي بكر ط لجيش أسامة بن زيد:	29
• الخليفة عمر بن الخطاب ط وطاعون عمواس:	30-29
• أبو جعفر المنصور وتخطيط مدينة بغداد:	31-30
ج. البيئة وبناء البيمارستانات:	32-31
2. البيئة في مصادر التراث:	39-32
أ. فساد الهواء:	33-32
ب. السكن الصحي وغير الصحي:	35-34
ج. المؤسسات والمرافق العامة:	39-36
3. فقه النوازل والقضايا البيئية:	46-39
أ. أذى الطرق والشوارع والأسواق:	41-42
ب. أضرار الدخان والرائحة والضوضاء:	42-46
المبحث الثاني: التعريف بمدينة عنابة:	47-56
أولا: أصل التسمية وتطورها:	47-51
ثانيا: تأسيس المدينة وتطورها التاريخي:	51-56
1. العصر القديم:	52-54
2. العصر الإسلامي:	54-56
الفصل الثاني: البيئة والتخطيط العمراني لمدينة عنابة:	57-80
المبحث الأول: العوامل البيئية المؤثرة في اختيار موقع المدينة:	58-68
أولا: مصادر المياه:	60-61
ثانيا: ارتباط الموقع بالإقليم:	62-63
ثالثا: العامل المناخي:	63-64
رابعا: الوسط الرعوي والغابوي:	64-65

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: حصانة المكان الطبيعية والبشرية:	68-65
المبحث الثاني: الاعتبارات البيئية وتخطيط المدينة:	80-69
أولا: سور المدينة:	70-69
ثانيا: الجامع ودار الإمارة:	72-70
ثالثا: الأحياء السكنية والشوارع:	76-72
رابعا: الأسواق الحرفية والتجارية:	78-76
خامسا: الفنادق والحمامات:	79-78
سادسا: ميناء المدينة:	80-79
الفصل الثالث: الكوارث الطبيعية وأثرها على البيئة:	110 -81
المبحث الأول: أسباب الكوارث الطبيعية التي أصابت المدينة:	89-82
أولا: البنية الجيولوجية الضعيفة:	83-82
ثانيا: التقلبات الجوية:	84-83
ثالثا: الفتن والحروب:	89-85
المبحث الثاني: أنواعها:	99-90
أولا: الزلازل:	92-90
ثانيا: الفيضانات:	92
ثالثا: الجفاف:	93
رابعا: الجراد:	94
خامسا: الأمراض والأوبئة:	99-95
المبحث الثالث: أثرها على سكان المدينة:	110-100
أولا: اضمحلال دور ومكانة المدينة:	102-100
ثانيا: تدهور حالة السكان:	104-102
ثالثا: الثورة على الحكام:	105-104
رابعا: الاهتمام بفقه النوازل ونظام الحسبة لحماية البيئة:	110-106
الخاتمة	114 -111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق	136 -115
قائمة المصادر والمراجع	152 -137
الفهارس العامة	172 -153
أولا: فهرس الآيات القرآنية:	158 -154
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية:	160 -159
ثالثا: فهرس الأعلام:	165-161
رابعا: فهرس الأماكن والبلدان:	172-166
فهرس المحتويات	176 -173

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية